هذا العدد

بقلم سعادة الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة

عزيزي القارىء

لقد تعددت مدارس التأريخ وتباينت . فمن المؤرخين من يفضل أسلوب السرد أو مدرسة السرد . ومنهم من يفسر التاريخ تفسيرا اقتصاديا . ومنهم من يفسره تفسيرا اجتماعيا . ومنهم من يفسره على أساس الحوادث ويدرس على أساسها الشخصيات ، باعتبارها بنت الأحداث . ومنهم من يفعل العكس معتبرا الأشخاص هم صناع الأحداث ، وعلى الرغم مما لدى كل منهج من أسباب قد تكون وجيهة ، إلا أن حصر وجهة النظر في زاوية واحدة ، يجعلها ضيقة ويجعل مدى الرؤية محدودا ، مما يؤدى إلى اغفال جوانب قد تكون هامة وقد تساعد الباحث أو المؤرخ على رؤية الحدث بصورة أشمل وأكمل .

إن دراسة جوانب النشاط الانساني لقطاع من الناس في دولة ما ، أمر لا غنى عنه للمؤرخ فهو يساعده على الاحاطة بالظروف التى كانت تحكم التيارات العامة ، التى أثرت فيها . ولكن أن يكون جانب واحد من جوانب النشاط الانساني هو أساس كل شيء ، هو المؤثر وهو صانع الأحداث وصانع التاريخ ، فذلك افتئات على الواقع وتجن عليه . من هنا فان المدرسة التحليليه هى في اعتقادنا أفضل المدارس . فهي تورد الحدث ثم تبحث وراءه عن الأسباب وعوامل التأثير ، إن أسلوبها أشبه بوضع الحدث تحت الميكروسكوب لفحصه فحصا دقيقا ، لا يترك منه شيئا ولايغفل منه عن شيء . ثم هو ينظر للحدث نظرة كلية فنحن ندرك الآن أن العالم كله يكاد يكون وحدة واحدة . وأن تأثيرات الأحداث الكبيرة تكاد تلف الكرة الأرضية كلها وتترك بصماتها هنا وهناك . ونحن لا نقول إن العالم في القرون الماضية كان كذلك . ولكن لا شك أن العوامل الخارجة عن بؤرة الحدث نفسه كان لها بعض التأثيرات التى تتباين قوة وضعفا حسب تقدم الزمن وترابط الأجزاء .

والمدرسة التحليلية تعتمد على ما يمكن أن نطلق عليه منطق الحدث . وهو المنطق الذى يساعد المؤرخ في الوصول الى تفسير للأحداث يقترب في كثير من

الأحيان الى الواقع وخاصة في الحالات التي تندر فيها المصادر أو تتضارب أو تختفي .

ومنطق الأحداث في الأسلوب التحليلي لا يستمد اصوله من واقع مجموعة واحدة أو بيئة واحدة . وإنما هو يمتد ليشمل المقارنة بين موضوع الدرس وبين شبيهه في ظروف مماثلة في أماكن مماثلة مما يضيف للكتابة التاريخية شيئا من الثراء وسعة الأفق .

لقد كان العلامة ابن خلدون مؤرخا عالميا بما وضعه في مقدمته ، من أسس للتاريخ تقترب اقترابا شديدا من المدرسة التحليلية . فهو وان كان لم يضع الحدث بداية ثم يحلله الا أنه وصل لنفس النتيجة عندما حشد التفاصيل التي تؤدي بالضرورة إليه . لقد ظلم بعض المؤرخين الكثيرين من أبطال التاريخ عندما اعتبروا التاريخ هو تاريخ رجال . وجعلوا هؤلاء الرجال مسئولين عن سير التاريخ وظلموهم بذلك لأنهم اغفلوا تماما الظروف الضاغطة التي كان يحيا في ظلها الرجل والتي جعلته في موقف أو آخر يتخذ قرارا قد لا يكون هو القرار الذي يريده او الذي يتمناه .

عزيزي القارىء :

إننا في « الوثيقة » نفضل دائما الأسلوب التحليلي ونتمنى أن ياتي يوم تنحي فيه كل الكتابات التاريخية هذا المنحى وقد بدأنا في اعدادنا السابقة بدراسة تحليليه عن البرتغاليين . فلم يكن الظهور البرتغالي في الخليج مجرد أسطول اتبع خطى المكتشفين الجغرافيين وانما كان لهذا التواجد أسباب دافعة وأهداف كان يرنو إلى تحقيقها . حقيقة إن الكثير من الدراسات لم تتبع نفس الأسلوب ولكن ذلك بسبب أن الكتابة التاريخية نفسها ما زالت تتبع اكثر من مدرسة . وصحيح أن أسلوب التحليل لا يقدم للقارىء « حدوته » أو « قصة » ولكننا يجب أن ندرك أن هناك فرقا بين كتابة التاريخ وكتابة القصة .

وبالله التوفيق

عبدالله بن خالد آل خليفة

البحرين ..

البحرين قبل الاسلام ـ العصر الجاهلي

كان شبه الجزيرة العربية فى العصر الجاهلى الذى سبق الاسلام ذا صلة قوية بالنفوذ العسكرى والسياسى والاقتصادى الذى ساد العالم المتحضر فى تلك الفترة التاريخية والذى جاورها وحدّها من الشرق والغرب ، فقد كانت السلطة الايرانية الكسروية محاذية لشبه الجزيرة العربية من الشرق يماثلها قوة عظمى من الغرب هى السلطة الامبراطورية الرومانية ، وكان الحضر من العرب مرتبطين بهاتين القوتين يدينون لهما بالولاء والطاعة ، فكانت اليمن والعراق والبحرين تابعة للنفوذ والولاء الفارسى المجوسى يقابلها فى الطرف الآخر المحاذى الولاء العربى للسلطة الرومانية المسيحية الشرقية بالاضافة الى ذلك فان ولاء الاجزاء الأخرى من شبه الجزيرة العربية كان موزعا بين القوتين العظميين من خلال نفوذهما المباشر أو غير المباشر على ملوك وحكام وأمراء أو قبائل شبه الجزيرة العربية المرابطة والقريبة من هذه الدول العظمى .

أواسط الجزيرة العربية لم يتأثر بالنفوذ الاجنبي الا بقدر محدود جدا ارتبط الى حد ما باستعمال المسكوكات الفضية الأجنبية المتداولة فى التجارة وبقيت الحال على طبيعتها الفطرية المتأصلة ، الا أن هذه الحرية الاستقلالية لم تشكل وحدة متكاملة ذات قوة وسلطان تصل الى مستوى الدول القوية ، وانما استمر الحال فى كون أواسط شبه الجزيرة العربية مقرا للقبائل العربية المتفرقة والمدن الحضرية المعتمدة على التجارة الواردة والعابرة وعلى الحج الى مدينة مكة لعبادة الاوثان فى الكعبة ، وقد اقتصر الاتصال

في صدر الإسلام

بقلم الدكتور عبد اللطيف جاسم كانو
ـ البحرين

الخارجى والتطور الحضارى على القوافل التجارية التى كانت معروفة فى فصول الشتاء والربيع والصيف .

بالاضافة الى هذه التقسيمات السياسية فقد شهد شبه الجزيرة العربية العديد من الديانات والعقائد المختلفة فى العصر الجاهلى منها :

اليهودية والنصرانية والمجوسية والوثنية ولقد ارتبط بهذه الديانات طقوس وعادات وتقاليد وتعاليم دينية اثرت على الأوجه المختلفة للحياة المعيشية فى المناطق المختلفة من شبه الجزيرة العربية ، ولقد عرفت الديانة النصرانية فى الشام وفلسطين وسيناء ، والديانة اليهودية فى خيبر ويثرب واليمن والبحرين ، والمجوسية فى الطرف الشرقى لشبه الجزيرة العربية أما الوثنية فقد كانت منتشرة بين القبائل المختلفة وكانت مكة مركز العبادة وقاعدة التقديس لاصنام الوثنية التى كانت تجمع اليها القبائل العربية .

ولقد تأثر سكان البحرين بالديانات المتواجدة فى شبه الجزيرة العربية فاعتنقوا الوثنية واليهودية والنصرانية والمجوسية ، كما أن بعضهم قد اعتنق عقيدة عقيمة جاءت اليهم من بلاد الفرس هى عبادة الخيل ، أما الوثنية وهى عبادة الأصنام فقد كانت هى الديانة الرسمية لجزر البحرين لفترة زمنية طويلة فى العصر الجاهلى لا تزال بقاياها متواجدة فى مدافن عالى الأثرية كما أن البحرين قد سميت باسم « أوال » نسبة الى الصنم الأعظم الذى كان العرب يتبركون به وكان منصوبا فى جزيرة البحرين يأتى العرب اليه للحج وتقديم القرابين ، ولقد سميت جزيرة أخرى من ارخبيل البحرين باسم صنم آخر هو صنم « المحرق » الذى نصب فى جزيرة المحرق ليكون مركزا للتعبد الوثنى .

وفى العصر الجاهلى الأخير قبل دخول الاسلام الى البحرين كان أهل البحرين يعتنقون ثلاث ديانات هى : اليهودية والنصرانية والمجوسية ، وكانت جزر البحرين فى هذه الفترة التاريخية تحت الحكم الفارسى المجوسى ، الا أن النصارى كانوا يتعبدون فى الكنائس والأديرة التى كانت متواجدة وبقيت كذلك حتى بعد دخول الاسلام الى البحرين ، وقرية

« الدير » في المحرق هي نسبة الى دير مسيحي كان في جزيرة المحرق وكذلك كان يوجد كنيسة في قرية سماهيج المحرقية .

سكان البحرين وأميرها عند ظهور الاسلام

كانت البحرين تابعة للنفوذ الفارسي المجوسي وكان سكانها في هذه الفترة التاريخية عربيا من عبد القيس وبكر بن وائل وبني تميم وكان أميرها الموالي للفرس هو المنذر بن ساوى ، وقد تحدث الامام أبي الحسن البلاذري في كتابه فتوح البلدان عن هذه الفترة التاريخية فقال : « كانت أرض البحرين في مملكة الفرس ، وكان بها خلق كثير من العرب من عبد القيس ، وبكر بن وائل وتميم مقيمين في باديتها ، وكان على العرب بها من فارس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن ساوى أحد بني عبد الله بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة ، وعبد الله بن زيد هذا هو الأسبذي نسبة الى قرية بهجر يقال لها الأسبذ ، ويقال : انه نسب الى الاسبذيين وهم قوم يعبدون الخيل بالبحرين » .

شروق نور الاسلام على العالم

في هذا البحر المتلاطم من الديانات المختلفة والخزعبلات والخرافات والعادات والتقاليد السقيمة كانت تعيش شبه الجزيرة العربية وكانت هذه هي الحال قبل ظهور الرسالة المحمدية الخالدة التي بدأ نورها يشرق على العالم في أواخر القرن السادس الميلادي لينقذ الانسانية والبشرية من هذا الضياع ولينير الطريق السوي القويم طريق المحبة والاخاء والمساواة والعدل .

نزل الوحي على النبي محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم في غار حراء في عام 610 م ، وكانت هذه هي البداية التي أوجدت نقطة التحول والتغير في مسيرة التاريخ الانساني حيث أشرق نور الاسلام ليغير مجرى التاريخ ويوجد البديل الأمثل ، والدين القويم ... وهكذا بدأت رسالة محمد النبي الأمي ، خاتم الانبياء وسيد المرسلين ورسول الله الى العالم أجمع ليوحد الانسانية والبشرية على دين سماوي واحد هو دين المحبة والتوحيد والسلام .

لقد كانت بداية الدعوة الاسلامية كلها حياة جهاد ومتابعة ومثابرة وترسيخ للدين الاسلامي الحنيف ولقد كانت السنوات الأولى بعد نزول الوحي سنوات كفاح مستمر سجل فيها التاريخ حقبة مهمة من أهم معالم التاريخ الانساني فقد سطع نور الاسلام يشع في الكون ويدعو الناس للدين الجديد ، وقد من الله على المسلمين بعزة الاسلام وانتشار الدعوة الاسلامية .

الدعوة للاسلام

في السنة السابعة من الهجرة النبوية الشريفة استقر رأى النبي صلى الله عليه وسلم أن ينتقل بالدعوة الاسلامية الى الآفاق والأمصار المجاورة وذلك بتحرير رسائل نبوية شريفة وارسالها الى الاباطرة والملوك والأمراء يدعوهم فيها للتحرر من عبودية النار والأوثان والدخول في دين الله دين السلام وقد اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم هذا القرار

السياسي الحكيم بعد أن رجع من الحديبية في شهر ذي الحجة من السنة السادسة الهجرية بعد اتمام الصلح مع قريش وعدم تمكن المسلمين من الدخول الى مكة في ذلك العام .

لقد أرسل النبي صلى الله عليه وسلم تسع رسائل نبوية شريفة داعيا فيها الى الاسلام والايمان والتوحيد بالله والشهادة بأن محمدا عبده ورسوله ، فقد بعث دحية بن خليفة الكعبي الى قيصر ملك الروم ، وبعث عبد الله بن حذافة السهمي الى كسرى ملك الفرس ، وبعث عمرو بن أمية الضمري الى النجاشي ملك الحبشة ، وبعث حاطب بن ابي بلتعة الى المقوقس ملك القبط في مصر ، وبعث عمرو بن العاص السهمي الى جيفر وعبد ابني الجلندى في عمان واليمن ، وبعث سليط بن عمرو العامري الى ثمامة بن اثال وهوذة بن على الحنفين لملكي اليمامة ، وبعث العلاء بن الحضرمي الى المنذر بن ساوى أمير البحرين ، وبعث شجاع بن وهب الاسدي الى الحارث بن أبي شمر الغساني ملك تخوم الشام .

وقد اختلفت الروايات والمؤرخون في توقيت ارسال هذه الرسائل النبوية الشريفة ، فقد قيل انها أرسلت جميعها في آن واحد وفي يوم واحد وبتاريخ واحد هو شهر محرم من السنة السابعة الهجرية ، وقيل انها ارسلت في أوقات متفرقة ولكنها متقاربة من هذا التاريخ (محرم سنة سبع هجرية) والواقع انه من المعقول والمقبول ان يكون الرأي الأخير هو أقرب الى الصواب بدليل ان دحية بن خليفة الكعبي قد حضر غزوة خيبر وهي في شهر صفر وذلك قبل رحيله مع الرسالة النبوية الى هرقل عظيم الروم .

ومن هنا يتضح لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث العلاء الحضرمي برسالة نبوية شريفة الى المنذر بن ساوى يدعوه فيها للدخول الى الاسلام وقد كان ذلك في حوالى محرم الحرام سنة سبع هجرية الموافق : مايو 628 ميلادية .

« سلام على من اتبع الهدى » فحوى الرسالة النبوية الأولى لأهل البحرين

لقد كانت الرسالة النبوية الأولى بسيطة مختصرة ولكنها شاملة المعنى واضحة المعالم ، تدعو المنذر بن ساوى أمير البحرين وقومه الى الاسلام الذي هو سلام على من اتبع الهدى ، تبدأ الرسالة بالبسملة ثم الدعوة لاعتناق الدين الاسلامي الحنيف ، فأسلم تسلم ، وهذا هو نص الرسالة النبوية الشريفة :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله الى المنذر بن ساوى ،

سلام على من اتبع الهدى ،

أما بعد :

فاني ادعوك الى الاسلام ، فأسلم تسلم ، يجعل الله لك ما تحت يدك ، واعلم ان ديني سيظهر الى منتهى الخف والحافر . »

الله
رسول
محمد

تسليم الرسالة النبوية الشريفة

غادر العلاء الحضرمي المدينة المنورة يحمل رسالة النبى صلى الله عليه وسلم الى البحرين فى اوائل السنة الهجرية السابعة ولا بد ان يكون قد وصلها فى شهر صفر من نفس السنة ، وقد كان اللقاء الأول الذى تم بين مبعوث النبي صلى الله عليه وسلم وبين المنذر بن ساوى بعد ان سلم اليه رسالة النبى صلى الله عليه وسلم ، يوما مشهودا فى تاريخ المنطقة العربية التى كانت تدين بدين المجوسية فان هذا القادم يحمل معه رسالة الصدق والاسلام ، رسالة تدعو الى الحق والاسلام .

الاسلام : « عجبت بالأمس ممن يقبله ، وعجبت اليوم ممن يرده »

لقد استقبل المنذر بن ساوى مبعوث النبي صلى الله عليه وسلم العلاء الحضرمي ودار بينهما حديث مبني على العقل والمنطق والبصيرة ، حديث رواه السهيلى فقال :

قال العلاء الحضرمي :

« يا منذر انك عظيم العقل فى الدنيا ، فلا تصغرن عن الآخرة ، ان هذه المجوسية شر دين ليس فيها تكرم العرب ، ولا علم أهل الكتاب ينكحون ما يستحيا من نكاحه، ويأكلون ما يتكرم عن أكله ، ويعبدون فى الدنيا نارا تأكلهم يوم القيامة ، ولست بعديم عقل ، ولا رأى فانظر هل ينبغى لمن لا يكذب ان لا تصدقه ولمن لا يخون ان لا تأمنه ، ولمن لا يخلف ان لا تثق به ، فان كان هذا هو النبي الأمي صلى الله عليه وسلم الذى والله لا يستطيع ذو عقل ان يقول : ليت ما امر به نهى عنه ، أو ما نهى عنه أمر به ، أو ليته زاد فى عفوه ، أو نقص من عقابه ، ان كل ذلك منه علي أمنية أهل العقل وفكر أهل البصر » .

فقال المنذر:

« لقد نظرت فى هذا الأمر الذى فى يدي فوجدته للدنيا دون الآخرة ، ونظرت فى دينكم فوجدته للآخرة والدنيا ، فما يمنعني من قبول دين فيه امنية الحياة وراحة الموت ، ولقد عجبت أمس ممن يقبله ، وعجبت اليوم ممن يرده ، وان من (أعظم) ما جاء به ان يعظم رسوله ، وسانظر » .

الرسالة الأولى : أحب أهل البحرين الاسلام

بعد هذا الحديث العقلانى المتنور الذى لعب فيه العلاء الحضرمي دور المناقش البارع حيث قبح المجوسية وافعالها واستعمل المنطق والعقل مع امير لديه صفات التعقل والحكمة حيث وصفه العلاء بقوله : « يا منذر انك عظيم العقل فى الدنيا فلا تصغرن عن الآخرة » ولقد كان نتيجة هذا اللقاء العقلانى ان عرض المنذر الاسلام على أهل البحرين فمنهم من « أحب الاسلام واعجبه ودخل فيه » ، وعلى اثر ذلك كتب المنذر بن ساوى رسالة جوابية الى النبى الكريم حملها اليه العلاء الحضرمي هذا نصها :

« أما بعد ،

يا رسول الله :

فانى قرأت كتابك على أهل البحرين ، فمنهم من أحب الاسلام وأعجبه ودخل فيه ومنهم من كرهه ، وبأرضي مجوس ويهود ، فأحدث فى ذلك أمرك » .

ويلاحظ من صيغة الرسالة ان المنذر بن ساوى قد اعتنق الاسلام فقد بدأ الرسالة الجوابية بالتصديق المعلن فى أول سطر فيها حيث خاطب النبي صلى الله عليه وسلم بعبارة : « يا رسول الله » .

وهذا التعبير لا يصدر الا عن مسلم مؤمن بالرسالة المحمدية .

الرسالة الثانية : شرح وتفصيل

بعد استلام رسالة المنذر كتب النبي صلى الله عليه وسلم رسالة جوابية ارسلها مع العلاء الحضرمي هذا نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله الى المنذر بن ساوى ،

سلام عليك فاني أحمد الله اليك الذى لا اله غيره ، واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ،

أما بعد :

فانى اذكرك الله عز وجل ، فانه من ينصح فانما ينصح لنفسه ومن يطع رسلي ويتبع أمرهم أطاعني ، ومن نصح لهم فقد نصح لي وان رسلي قد اثنوا عليك خير الله [1] وانى قد شفعتك فى قومك فاترك للمسلمين ما اسلموا عليه وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم ، وانك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية » .

الله
رسول
محمد

هذه الرسالة النبوية الشريفة الثانية تبين ستة أمور لا لبس فيها ولا اختلاف هى :

1 ـ مخاطبة النبى صلى الله عليه وسلم للمنذر بن ساوى على انه مسلم حسن اسلامه ، تشهد بشهادة الاسلام ووحدانية الله حيث قال عليه السلام : « فانى أحمد الله اليك الذى لا اله غيره ، وأشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ، اما بعد : فانى أذكرك الله عز وجل » .

2 ـ طلب النبي عليه الصلاة والسلام من المنذر : أن يكون ناصحا نصوحا لرسل النبي ، وان اطاعة الرسل المرسلة للتفقيه فى الأمور الدينية والدنيوية أمر مهم لا بد منه وهو مطالب بأن يقوم به ، لأن اطاعة رسل النبي واتباع أمرهم هي اطاعة واتباع لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

3 ـ ان الرسل الذين عادوا من البحرين ومنهم العلاء الحضرمي قد « أثنوا عليك » وتحدثوا عنك بعبارات الثناء والتقدير .

4 ـ قد قبل النبي صلى الله عليه وسلم شفاعة المنذر في قومه وعفا عن أهـل الذنوب ، « واني قد شفعتك في قومك ، فاترك للمسلمين ما اسلموا عليه ، وعفـوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم » .

5 ـ ابقاء المنذر بن ساوى أميرا على المنطقة في العهد الاسلامي ، « وانك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك » .

6 ـ فرض الجزية على من لم يدخل الاسلام من يهود ومجوس ، « ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية » والواقع ان الجزية كانت تؤخذ على أهل الكتاب قبل هذه الرسالة ، وقد فرضت لأول مرة في الاسلام على مجوس أهل البحرين وهجر ، ثم أخذها بعد ذلك الخليفة عمر رضي الله عنه من مجوس فارس ، وأخذها الخليفة عثمان رضي الله عنه من بربر .

البحرين المسلمة

الرسالة النبوية الشريفة الثانية قد أوضحت الطريق وبينت المعالم وأعطت سفير النبي صلى الله عليه وسلم ، الصحابي الجليل العلاء الحضرمي صلاحية أمور التفقيه في الدين واتخاذ القرارات المرتبطة بالجزية وبالتعامل اليومي للحياة المعيشية المرتبـطة بأمـور الدين ولهذا فقد أقبل أهل البحرين أفواجا على الاسلام بقلوب طيبة خاشعة قدوتهم الحسنة أميرهم العربي المنذر بن ساوى الذي أسلم وحسن اسلامه وأعيد تعيينه واليا على البحرين من قبل النبي صلى الله عليه وسلم ليكون الأمير الأول للبحرين في العهد الاسلامي الجديد .

لقد تحدث الامام أحمد البغدادي (الشهير بالبلاذري) عن اسلام أهل البحـرين فقال : « وكتب معه (أي مع العلاء الحضرمي) الى المنذر بن ساوى وسيبخت مرزبان هجر يدعوهما الى الاسلام أو الجزية فأسلما وأسلم معهما جميع العرب هناك وبعض العجم ، فاما أهل الأرض من المجوس واليهود والنصارى فانهم صالحوا العلاء وكتب بينه وبينهم كتابا نسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم
هذا ما صالح عليه العلاء بن الحضرمي أهل البحرين ، صالحهم على ان يكفونا العمل ويقاسمونا التمر فمن لم يف بهذا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين »
واما جزية الرؤوس فانه اخذ بها من كل حالم دينارا » .

وهكذا نرى ان اهل البحرين اهل خير وبركة قد دخلوا في دين الله أفواجا بدون قتال أو حرب أو مطامع ، وكانت البحرين من أوائل المناطق العربية التي استجابت لرسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم وللدعوة الاسلامية ودخلت الاسلام وطبقت الجزية على من لم يسلم من اليهود والنصارى والمجوس ، ويتحدث في هذا الموضوع الاستاذ محمد حسين هيكل في كتابه حياة محمد فيقول :

« واما أمراء العرب فقد رد أمير اليمن وعمان على رسالة النبي ردا فاحشا ، **ورد أمير البحرين ردا حسنا وأسلم** ، ورد أمير اليمامة مظهرا استعداده للاسلام اذا هو نصب حاكما ، فلعنه النبي لمطامعه ، ويذكرون انه لم يلبث الا عاما بعد ذلك ثم مات » .

وقد روى عن العلاء الحضرمي قال بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البحرين وكنت آتي الحائط بين الاخوة ، قد اسلم بعضهم ، فأخذ من المسلم العشر ومن المشرك الخراج .

شخصية سفير رسول الله : الصحابى الجليل العلاء الحضرمي

لا بد من وقفة قصيرة هنا للتعرف على شخصية سفير رسول الله الصحابى الجليل العلاء الحضرمي ، كاتب الوحى ، وسفير النبي ، وقائد جيش أبي بكر الصديق ، ذي الكفاءة والمقدرة ، والعقل والمنطق ، ارتبط اسمه بالبحرين منذ السنة السادسة الهجرية وعاش فيها فترة متفرقة طويلة من الزمن الى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان خلال هذه الفترة رحمه الله ، سفيرا وقائدا ، ومجاهدا ، وعظيما ، كما كان كاتبا ومعلما وجابيا وأميرا .

العلاء الحضرمي اسمه الكامل هو العلاء بن عبدالله بن عماد الحضرمي حليف بنى عبد شمس [2] المتوفى سنة 21 هجرية(642 ميلادية) أصله من حضرموت ولكنه ولد فى مكة المكرمة ونشأ وترعرع فيها وأسلم فى بداية الدعوة الاسلامية دون ان يشاركه أخواه عامر وعمرو نعمة الاسلام وكان رضي الله عنه من الصحابة المقربين ومن كتاب الوحى وكتاب النبي صلى الله عليه وسلم وهو شخصية صحابية جليلة فذة ، وقد كان فصيح الكلام قوي البيان ذا حكمة ومنطق واطلاع متميز فى أمور الدين .

العلاء الحضرمي هو أول مسلم ركب البحر للغزو ، وهو أول من بنى مسجدا فى « أرض خارج الجزيرة العربية » ويعتقد انه مسجد الخميس فى البحرين ، وأول من ضرب الجزية على الكفار وأول من نقش خاتم الخلافة ، وقد سير الاسطول البحري الاسلامى الأول الى شواطىء فارس سنة 17 هجرية وفى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان المنذر بن ساوى واليا على البحرين من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان العلاء الحضرمي أميرا مقربا للمنذر يعاونه فى تصريف أمور الدين والدنيا عندما يكون فى البحرين ، وبعد وفاة المنذر بن ساوى عينه على ولاية البحرين الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه ومن بعده أقره الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الا ان هذه الرواية تختلف بالنسبة لهذا الموضوع فقد قيل انه استمر فى البحرين الى ان مات ودفن فيها ، ولكن الرواية الثانية تقول ان الخليفة عمر رضي الله عنه ولاه البصرة وفى اثناء السفر الى البصرة مات فى الطريق قبل ان يصل اليها فى قرية من أرض تميم هى على مقربة من الكويت الآن .

لقد كان رحمه الله مجاب الدعوة محبوبا من الرعية أقام العدل ونشر الاسلام ، وقد اخذ الصدقة من الاغنياء وردها للفقراء حسب توجيهات النبي صلى الله عليه وسلم وان استمراره فى الولاية فى عهد الخليفتين لدليل يؤكد على ان العلاء الحضرمي كان ذا مكانة وصلة مستمرة بالخلافة والرعية وشخصية مهمه من شخصيات المسلمين الذين رفعوا راية الاسلام فى الأمصار بقوة وصلابة ومقدرة وكفاءة .

رسالة نبوية أخرى تتعلق بأمور الدين

استمر تبادل الرسائل بين النبي صلى الله عليه وسلم والمنذر بن ساوى وقد سجلت أربع رسائل نبوية شريفة اخرى أرسلها النبى صلى الله عليه وسلم الى المنذر يبين فيها أمور الدين المختلفة وفيما يلى نص هذه الرسائل :

ـ **الرسالة الثالثة** : تتعلق بالانسان المسلم وهذا نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله الى المنذر بن ساوى ،

سلام عليك ،

فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو ،

امـــا بعـــد :

فان كتابك جاءنى وسمعت [3] ما فيه ، فمن صلى صلاتنـا واستقبل قبلتنـا وأكل ذبيحتنا ، فذلك المسلم الذى له ما لنا وعليه ما علينا ، ومن لم يفعل فعليه دينار قيمة المعافري ، والسلام عليك ورحمة الله ، يغفر الله لك » .

ـ **الرسالة الرابعة** : تتعلق بأعمال المنذر الصالحة والثناء الطيب الذى نقله رسل النبي صلى الله عليه وسلم عنه ، وهذا نصها :

« الى المنذر بن ساوى

امـــا بعـــد :

فان رسلى قد حمدوك وانك مهما تصلح اصلح الله اليك واثابك على عملك وتنصح لله ولرسوله ، والسلام عليك »

ـ **الرسالة النبوية الخامسة** : الى المنذر بن ساوى تتعلق بالجزية على مجوس هجر وعلى توجيه المسلمين عن الامتناع عن الأكل من ذبائح المجوس التى لم يذكر اسم الله عليها وعن التزوج من النساء المشركات بالله ، وهذا نص الرسالة النبوية الشريفة :

« اعرض عليهم الاسلام فان اسلموا فلهم ما لنا وعليهم ما علينا ، ومن أبى فعليه الجزية من غير أكل لذبائحهم ولا نكاح لنسائهم . »

ـ **الرسالة النبوية السادسة** : تتعلق بفرض أربعة دراهم وعباءة :

« افرض على كل رجل ليس له أرض أربعة دراهم وعباءة »

هذه الرسائل النبوية الشريفة تؤكد صلة النبي صلى الله عليه وسلم بكل ما يتعلق بأمور الدولة الاسلامية بعد اتساع رقعتها كما تبين الدقة والوضوح فى اصدار القرارات الصائبة الدقيقة وتبين كذلك ان المرء بعد نطقه بالشهادتين واعلان اسلامه فانه يعامل بالمثل فى جميع الحالات لا فرق بين غنى وفقير ، ولا منصب أو مظهر ولا لون أو جنس فالناس فى الاسلام أصبحت سواسية وقد أكد على هذه الحقيقة النبي صلى الله عليه وسلم فى الرسائل بقوله : « فان اسلموا فلهم ما لنا وعليهم ما علينا » ، كما تبين هذه الرسائل ان الجزية قائمة على كل من لم يعتنق الاسلام .

تعريف البحرين

فى العصر الاسلامى الأول كان يطلق اسم البحرين على اقليم اسلامى متكامل الأرجاء

واسع المساحة خصيب الأراضي مترامي الأطراف يحده الساحل الغربي للخليج العربي ليكون الحدود الطبيعية للدولة الاسلامية ، ولقد كانت جزر البحرين المترامية الاطراف هي المركز الحضاري والرئيسي لهذا الاقليم منذ القدم ، كما ان موقعها المتميز ما بين اطراف الاقليم الممتد من البصرة الى عمان قد اعطاها ثقلا اضافيا رئيسيا لتكون البوابة الرسمية لهذا الاقليم ومركزا حيويا مهما على المستوى الاقتصادي والصناعي والزراعي .

لقد كانت البحرين الرقعة الجديدة التي اضيفت الى الدولة الاسلامية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وكان الاتصال بها يتم مباشرة بالكتابة الى المنذر بن ساوى ثم اصبحت فيما بعد اقليما اسلاميا مستقلا في عهد الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، اما في ولاية الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد اشتركت مع الأهواز في ولاية مشتركة هي الولاية الأولى ولاية الأهواز والبحرين وفي العصر الأموي تغير الوضع وقسمت الدولة الاسلامية الى خمس ولايات كانت البحرين تابعة للولاية الثالثة المسماة بولاية العراقين (العربي والعجمي) وكانت البحرين مشتركة في العراق العجمي الذي كان يضم فارس وعمان والبحرين ، وتغير الأمر فيما بعد في العصر العباسي وأصبحت البحرين قسما من الولاية الثانية التابع للبصرة واقليم دجله .

خراج البحرين

لقد كانت البحرين من المناطق المهمة في شبه الجزيرة العربية فهي تقع على الخليج العربي واقتصادها مرتبط بالاقتصاد البحري الحر ، كما ان المياه العذبة والزراعة وخصوبة الأرض تشكل موارد اقتصادية رئيسية وخاصة زراعة التمور التي اشتهرت بها المنطقة ، ويقال ان رطب المرزبان المتواجد في جزر البحرين كان اصلها من المدينة المنورة ، وقد جاء بها الى جزر البحرين سيبخت مرزبان هجر ، أي امير هجر ، بعد ان زار المدينة المنورة في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

لقد كتب النبي صلى الله عليه وسلم الى المنذر بن ساوى يطلب منه ان يرسل خراج البحرين مع كل من قدامة وأبي هريرة المبعوثين من قبل النبي صلى الله عليه وسلم لاستلام ما تجمع من الخراج والعودة به ، وهذا نص الرسالة النبوية في هذا الخصوص :

« اما بعد :

قد بعثت اليك قدامة وأبا هريرة، فادفع اليهما ما اجتمع عندك من جزية أرضك والسلام » (وكتب أبي) [4] .

كما كتب النبي صلى الله عليه وسلم رسالة أخرى الى العلاء الحضرمي يخبره فيها بأمر رسالة المنذر ويطلب منه ان يعجل بارسال الجزية التي اجتمعت من اهل البحرين ، وفيما يلي نص الرسالة النبوية الشريفة :

« الى العلاء بن الحضرمي ،

اما بعد :

فاني قد بعثت الى المنذر بن ساوى من يقبض منه ما اجتمع عنده من الجزية ، فعجله وابعث ما اجتمع عندك من الصدقة والعشور والسلام »

(وكتب ابي بن كعب) .

ويتحدث الامام البلاذرى عن المبلغ الذى أرسل الى النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « بعث العلاء بن الحضرمي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مالا من البحرين يكون ثمانين الفا (80,000) [5] ، ما اتاه أكثر منه قبله ولا بعده ، فأعطى منه العباس عمه » ويقال أول خراج دخل الى المدينة المنورة هو خراج اهل البحرين ، وقد تبين لنا ان الجزية قد فرضت على من لم يسلم وهى دينار واحد على كل رجل بالغ : (راجع اتفاقية الصلح بين العلاء الحضرمي وأهل البحرين : » .

وفد البحرين الى النبي صلى الله عليه وسلم

لقد سارع العرب فى الدخول الى الاسلام وانتشر فى شبه الجزيرة العربية وقد جاءت الوفود الى النبي صلى الله عليه وسلم من جميع المناطق والقبائل والبطون ولقد شاركت البحرين بارسال وفد الى النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان دعاهم الى ذلك ، ولقد أفرد ابن سعد فى طبقاته الكبرى لوفادات العرب على الرسول (كتاب الطبقات الكبير لابن سعد) اكثر من خمسين صفحة تحدث فيها عن هذه الوفود وقد تحدث عن وفد البحرين فقال : [6]

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الى أهل البحرين فقدم عليه عشرون رجلا منهم ، على راسهم عبدالله بن عوف الأشج وقد تكون الوفد من ثلاث مجموعات بالاضافة الى الرئيس ورجل آخر هو بشر الجارود وكان نصرانيا ، المجموعة الأولى وتتكون من ثلاثة اشخاص من بنى تميم ، والمجموعة الثانية مكونة ايضا من ثلاثة اشخاص من بني تميم اما المجموعة الثالثة فهي من بنى عبدالقيس وتتكون من اثني عشر رجلا .

قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدموا اليه يا رسول الله وفد عبد القيس ، فقال : مرحبا بهم ، نعم القوم عبد القيس ، فاقبلوا جميعا حين ذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم جالس فى المسجد ، فقالوا : نسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاءوا فى ثيابهم واناخوا رواحلهم على باب رملة بنت الحرث ، فسلموا على رسول الله ، فسألهم الرسول صلى الله عليه وسلم : ايكم عبدالله الاشج ؟

قالوا : اتاك يا رسول الله ، وكان قد وضع ثياب سفره وأخرج ثيابا حسانا فلبسها وكان رجلا دميما ، فلما جاء ، نظر رسول الله الى رجل دميم ، فقال عبدالله : يا رسول الله انه لا يستقى فى سواك الرجال ، انما يحتاج من الرجل ما هو اصغر به : « لسانه وقلبه » .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيك خصلتان يحبهما الله .

فقال عبدالله ما هما يا رسول الله ؟

قال : الحلم والاناة .

فقال عبدالله: يا رسول الله ، اشىء حدث أم جبلت عليه .

قال : بل جبلت عليه .

كانت ضيافة رسول الله للوفد عشرة ايام استفاد منها عبدالله الاشج فقد اخذ يسائل رسول الله عن الفقه والقرآن ، فكان رسول الله يدنيه منه اذا جلس وكان يأتى أبى بن كعب فيقرأ عليه ، وأمر رسول الله للوفد بجوائز ، وفضل عليهم الاشج فاعطاه اثنتي

عشرة أوقية ونشا ، وكان ذلك أكثر ما كان رسول الله يجيز به الوفد .
ولقد شارك الوفد منقذ بن حيان العبدي وهو ابن أخت الأشج ولم يكن مع الوفد ، وقد مسح النبي صلى الله عليه وسلم وجهه .
أما أعضاء الوفد الذى تشرف بمقابلة النبي صلى الله عليه وسلم فهم :

1 ـ عبدالله بن عوف الأشج ـ رئيس الوفد
2 ـ الجارود ، بشر بن عمرو بن حنش المعلى
3 ـ صحار بن عباس العبدى من بنى مره
4 ـ سفيان بن خولي بن عبد عمرو من بني عبد القيس
5 ـ عبيده بن مالك بن همام بن شيابه
6 ـ الزراع بن الوازع العبدى
7 ـ ابا العبدي (أو غسان العبدي)
8 ـ جابر بن عبدالله العبدي
9 ـ عمرو بن المرجوم من بني عبد القيس
10 ـ شهاب بن المتروك من بني عبد القيس
11 ـ عمرو بن عبد القيس من بني عامر
12 ـ طريف بن ابان بن سلمه من بنى جويله
13 ـ عمر بن شعيث من بني عبد القيس
14 ـ همام بن معاوية من بني عبدالقيس
15 ـ همام بن عبد عمرو من بني عبدالقيس
16 ـ عامر بن عبد قيس من بني عامر بن من عبدالقيس
17 ـ عقبة بن مروه من بني عبد القيس
18 ـ الحارث بن جندب العبدي بن الديل
19 ـ همام بن معاوية بن شيابه من بني عبد القيس .
20ـ محارب بن مزيدة بن مالك من عبد القيس .

اسلام أول نصراني من البحرين على يد الرسول (ص)

لقد شارك وفد البحرين الذى قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة عضو بارز مهم يدين بالنصرانية هو بشر بن عمرو بن حنش الجارود (٧) وهو من أشراف الجاهلية وكان نصرانيا ، وعند مقابلته مع الوفد للنبي صلى الله عليه وسلم في المسجد النبوي في المدينة دعاه النبي صلى الله عليه وسلم للدخول في الاسلام وقد استجاب لهذه الدعوة النبوية الشريفة بعد الاستفسار المنطقي السليم من النبي صلى الله عليه وسلم حيث دار بينهما الحديث التالي :
قال الجارود : « اني كنت على دين ، واني تارك ديني لدينك افتضمن لي ديني ؟ » .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انا ضامن لك ان قد هداك الله الى ما هو خير منه » .

فأسلم الجارود بعد هذا الحديث وحسن اسلامه وعاد الى البحرين ليكون الداعية وليدافع عن دين الله بقوة وحماس وصلابة . فهو الذى لم تؤثر فيه ردة قومه بعد وفاة

النبي صلى الله عليه وسلم وبقى مدافعا عن الاسلام بقلب ملؤه الثقة والايمان ، وكان له دور رئيسي في حروب الردة .

قام في قومه من بني عبدالقيس وسألهم عن سبب ردتهم فقالوا :

لو كان محمد نبيا لما مات .

فقال لهم : أتعلمون انه كان لله انبياء فيما مضى ؟

قـــالوا : نعم ، قال : تعلمونه او ترونه ؟

قالوا : لا ، بل نعلمه .

قال : فما فعلوا ؟

قالوا : ماتوا

قال : فان محمدا صلى الله عليه وسلم مات كما ماتوا ، وانا أشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله .

قالوا : ونحن نشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ، وانك سيدنا وافضلنا ، وثبتوا على اسلامهم(٨) .

هذا الموقف الشجاع لرجل ذى عقل وحكمة وذكاء غير اتجاه قومه من طريق الردة والضلال والضياع الى طريق العودة والايمان ، فعاد بنو عبدالقيس الى الاسلام ودافعوا عن العقيدة الاسلامية ضد اهل الردة .

ولقد سارع الجارود وقومه لنجدة العلاء الحضرمي لمحاربة أهل الردة من بكر بن وائل ولكنه قد أسر فكتب الى المسلمين وهو في اسره يصف لهم حال المرتدين حيث قال : « ان هؤلاء القوم الذين انا في اسرهم ضباع في الليل ، وأسود في النهار » ، ولقد ساعد هذا الوصف الحقيقي للمرتدين ، على انتصار المسلمين فيما بعد حيث اقتحموا معاقل أهل الردة وهم سكارى في ليلهم .

وقد شارك الجارود في الحملة البحرية التى غزت فارس من البحرين في سنة 17 هجرية وكان قائدا للفرقة الاولى للحملة المكونة من ثلاث فرق واستشهد في بر فارس بعد ان عبروا الخليج العربي في أول معركة مع العدو .

البحرين في عهد الخلفاء الراشدين

هناك بعض الحوادث المهمة في تاريخ البحرين ارتبطت بعهد الخلفاء الراشدين وأهم هذه الحوادث بدأت بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وتولية ابى بكر الصديق للخلافة حيث ارتدت أطراف الجزيرة العربية عن الاسلام وكانت البحرين هي احد معاقل المرتدين ، فحاربهم العلاء الحضرمي وانتصر عليهم ، أما في عهد خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فهناك حادثتان لهما ارتباط مباشر بالاحداث الاسلامية أولاهما : غزوة فارس في البحر وثانيتهما : تنحية ابي هريرة عن ولاية البحرين ، أما في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه فان أهم حادث هو ارسال نسخة من مصحفه « الامام » الى البحرين لتكون المرجع الرسمي للمسلمين في هذا الاقليم الاسلامي المهم ، أما في عهد الخليفة على بن ابي طالب فان أهل البحرين كانوا له في العون في حروبه الثلاثة إبان خلافته .

القرار الحكيم

تتحدث المراجع المختلفة عن أن اهل البحرين قد ارتدوا كما ارتد غيرهم من العرب بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بقليل وقد حدثت ردة أهل البحرين مباشرة بعد وفاة اميرهم العربي المسلم المنذر بن ساوي وكان ذلك بعد فترة قصيرة من وفاة سيد المرسلين ، وقد تمكن الجارود بن المعلى ان يقنع قومه من عبد القيس بالعودة الى الاسلام والثبوت فيه وقد تمكن من ذلك كما ذكر وقد استمرت بقية القبائل على الردة بقيادة الحطم بن ضبيعة حيث اجتمعوا بالبحرين وملكوا عليهم المنذر بن النعمان بن المنذر الملقب بالغرور .

وفي سنة احدى عشرة هجرية اتخذ الخليفة الاول ابوبكر الصديق رضي الله عنه قراره الحكيم بتشكيل احد عشر لواء لقتال المرتدين فارسل الجحفل السادس بقيادة العلاء الحضرمي ليقاتل الحطم بن ضبيعة والمرتدين معه من اهل البحرين ويردهم الى الاسلام ، وقد ارسل الخليفة ابو بكر الصديق مع العلاء الحضرمي وبقية قواد الجحافل ، كتابا(٩) منه الى المرتدين من العرب هذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

« من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى من بلغه كتابي هذا من عامة وخاصة ، اقام على اسلامه أو رجع عنه . سلام على من اتبع الهدى ولم يرجع بعد الهدى الى الضلالة والعمى ، فاني أحمد اليكم الله الذى لا اله الا هو ، واشهد ان لا اله الا هو وحده لا شريك له ، وان محمدا عبده ورسوله ، نقر بما جاء به ونكفر من ابى ونجاهده .

« اما بعد فان الله تعالى ارسل محمدا بالحق من عنده الى خلقه بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين .

فهدى الله بالحق من أجاب اليه وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم باذنه من ادبر عنه حتى صار الى الاسلام طوعا أو كرها ، ثم توفي الله رسوله صلى الله عليه وسلم وقد نفذ امر الله ونصح لامته وقضى الذى عليه .

وكان الله قد بين له ذلك ولاهل الاسلام في الكتاب الذى انزل ، فقال « انك ميت وانهم ميتون » (الزمر 30) وقال « وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفئن مت فهم الخالدون » (الانبياء34) ، وقال للمؤمنين « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين » (آل عمران114) ، ومن كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله وحده لا شريك له فان الله له بالمرصاد ، حي قيوم لا يموت ولا تأخذه سنة ولا نوم ، حافظ لامره ، منتقم من عدوه يجزيه ، واني أوصيكم بتقوى الله وحظكم ونصيبكم من الله ، وما جاءكم به نبيكم صلى الله عليه وسلم وان تهتدوا بهداه ، وان تعتصموا بدين الله فان كل من لم يهده الله ضال وكل من لم يعافه مبتلى ، وكل من لم يعنه الله مخذول ، فمن هداه الله كان مهتديا ومن أضله كان ضالا » .

قال الله تعالى « من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا » (الكهف 17) ، ولم يقبل منه في الآخرة صرف ولا عدل وقد بلغني رجوع منكم عن دينه بعد ان أقر بالاسلام وعمل به اغترارا بالله وجهالة بأمره واجابة للشيطان .

قال الله تعالى « واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ، أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا » (الكهف 51) ، وقال : « ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير » (فاطر6) ، واني بعثت إليكم (فلانا) في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين باحسان وأمرته ان لا يقاتل احدا ولا يقتله حتى يدعوه الى داعية الله فمن استجاب له وأقر وكف وعمل صالحا قبل منه واعانه عليه ، ومن أبى أمرت ان يقاتله على ذلك ثم لا يبقي على أحد منهم قدر عليه وان يحرقهم بالنار ويقتلهم كل قتله ، وان يسبي النساء والذراري ولا يقبل من أحد الا الاسلام ، فمن اتبعه فهو خير له ومن تركه فلن يعجز الله . وقد أمرت رسولي ان يقرأ كتابي في كل مجمع لكم ، والداعية الاذان ، فاذا اذن المسلمون فأذنوا كفوا عنهم وان لم يؤذنوا عاجلوهم وان اذنوا اسألوهم ما عليهم فان ابوا عاجلوهم وان اقروا اقبلوا منهم واحملوهم على ما ينبغي لهم » .

معركة الحق على ارض البحرين

تجمع المشركون كلهم الى الحطم بن ضبيعة وتجمع المسلمون تحت قيادة العلاء الحضرمي وجعلوا يتراوحون على القتال ثم يرجعون الى خنادقهم ، واستمر القتال بين جيوش المسلمين والمرتدين اكثر من شهر ، وفي احدى الليالي سمع المسلمون ضوضاء شديدة فارسل العلاء الحضرمي ، مخبرا لينبئهم بالخبر هو عبدالله بن حدف فعاد واخبرهم بأن المشركين سكارى ، فخرج المسلمون عليهم واقتحموا الخندق ، وقاتلوهم قتالا شديدا في معاقلهم واستولوا على ما في معسكرهم وشتتوا شملهم وقتل قائدهم الحطم وانتصر المسلمون ، وتابع العلاء الحضرمي محاربة المرتدين الفارين فعبر الى دارين حيث تمركز المشركون والتقى معهم في معركة فاصلة كان نصر الله فيها حليف المسلمين ، وهكذا قضي على فتنة اهل الردة وعاد الاسلام والسلام الى ربوع البحرين بعد ملحمة من القتال على ارض الخلود انتصر فيها الحق واندحر الباطل .

رسالة النصر

وقد كتب العلاء الحضرمي الى الخليفة ابي بكر الصديق رضي الله عنه يخبره بانتصار المسلمين في رسالة مختصرة هذا نصها :

« اما بعد :

فان الله تبارك اسمه قد سلب عدونا عقولهم واذهب ريحهم بشراب اصابوه من النهار ، فاقتحمنا عليهم خندقهم فوجدناهم سكارى فقتلناهم الا الشديد ، وقد قتل الله الحطم » .

العدو أمامكم والبحر من خلفكم - غزو فارس من البحرين

بعد وفاة المنذر بن ساوى أصبح العلاء الحضرمي واليا على البحرين في عهد الخليفة ابى بكر الصديق رضي الله عنه واستمرت هذه الولاية في خلافة الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث اقره عليها في بداية خلافته ، ولكنه استاء من تصرف العلاء الحضرمي بغزو فارس من البحرين دون اذن منه فعزله ، والواقع أن غزو فارس من البحرين يشكل انطلاقة تاريخية مهمة لاعلاء كلمة الله ، ومع أن الحملة البحرية لم تنجح الا أن المبدأ السليم الذي سلكه العلاء الحضرمى فى تجهيز الاسطول البحري الاسلامي الاول لدليل اكيد على أن المسلمين في وسعهم وفي مقدرتهم خوض معارك البحر بقوة وعزيمة ، ولا بد أن هذه الانطلاقة الاولى قد كونت القناعة الحقيقية والرغبة الصادقة لخوض البحر من جديد في العصر الاسلامي التالي حيث اوجدت هذه الحملة البحرية الاولى الدروس الواقعية والخبرة الميدانية لانجاح الحملة البحرية الثانية عندما غزا المسلمون في سنة 92 هجرية شبه جزيرة ايبيريا بقيادة القائد الشجاع طارق بن زياد لتبدأ الخطوة الاولى في فتح الاندلس .

لقد جهز العلاء الحضرمي في البحرين جيشا قويا مقاتلا كما جهز أسطولا بحريا كاملا بجنوده وعدته ومعداته ، ولقد كانت السفن الشراعية التي نقلت الجيش هي أساس الحملة ، ولا بد أن هذه السفن البحرية كانت بقيادة ربابنه (نواخذة) بحرينيين من أهل البحر الذين مخروا الخليج وعرفوا سواحله وضواحله واعماقة واسيافه ، مما أسفر عن وصول الحملة المكونة من أسطول كبير من السفن الى بر فارس بأمان وسلامة ودون أى جادث يذكر ، وكانت الحملة مكونة من ثلاث فرق رئيسية بقيادة ثلاثة من خيرة رجال المسلمين على النحو التالي :

الفرقة الاولى : بقيادة الجارود بن المعلى

الفرقة الثانية : بقيادة السوار بن همام

الفرقة الثالثة : بقيادة خليد بن المنذر بن ساوى

وقد كانت القيادة العامة لهذه الحملة البحرية تحت امرة قائد الفرقة الثالثة المجاهد خليد بن المنذر بن ساوى .

بعد الوصول الى بر فارس وعبور الخليج العربي ، اندفع المسلمون للجهاد في سبيل الله فقابلهم العدو بقيادة الهربذ في مدينة اصطخر الفارسية المهمة وقبل بدء المعركة وقف القائد الاعلى للجند خليد بن المنذر خطيبا في المسلمين المجاهدين ليحثهم على القتال والصبر والنصر ، ولقد كانت كلماته كالتي قالها طارق بن زياد بعد خمسة وسبعين عاما من هذا التاريخ والتي ارتبطت بمواجهة العدو والارض ، لقد قال خليد (10) رحمه الله :

اما بعد :

فان الله اذا قضى امرا جرت به المقادير حتى تصيبه ، وان هؤلاء القوم لم يزيدوا على ان دعوكم الى حربهم ، وانما جئتم لمحاربتهم ، والسفن والارض لمن غلب ، فاستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين » .

صلى المسلمون الظهر وبدأ القتال بينهم وبين الفرس فقتل من قواد المسلمين الجارود بن المعلى قائد الفرقة الاولى والسوار بن همام قائد الفرقة الثانية ، واستمر

القائد الاعلى للمسلمين في ادارة المعركة ، فأشتد القتال ولم تسفر المعركة في نهاية مطافها عن النصر المطلوب فأراد المسلمون العودة الى سفنهم على الساحل فلم يتمكنوا لأن الفرس قد اغرقوا الاسطول البحري الاسلامي الاول ، فخرجوا بجموعهم يريدون البصرة للالتحاق بالمسلمين ولكن قائد الفرس شهرك لحق بهم وسد الطريق أمامهم ، فعسكروا وتجنبوا القتال .

أشتد غضب الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما بلغه ما قام به العلاء الحضرمي وما حدث لجند المسلمين في أرض فارس ، فكتب له يعزله ويتوعده « وامره بأمر يشق عليه حمله ، وهو ان يلحق فيمن معه بجند سعد بن أبي وقاص » وقد فعل ، وكتب عمر رضي الله عنه الى الصحابي عتبة بن غزوان والي البصرة يأمره بارسال جيش لمساعدة جند المسلمين المتواجدين في بر فارس بقيادة خليد بن المنذر بن ساوى وقد كانت رسالة الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه شديدة قوية تحدث فيها في عصيان العلاء الحضرمي له وعن انه لم يرد وجه الله بهذا الجهاد ، وهذا نص الرسالة :

« ان العلاء بن الحضرمي حمل جندا من المسلمين فاقطعهم أهل فارس ، وعصاني ، واظنه لم يرد وجه الله بذلك ، فخشيت عليهم ان لا ينصروا ، وأن يقلبوا ، وينشبوا ، فاندب الناس واضممهم اليك قبل أن يجتاحوا » .

لقد أخبر عتبة بن غزوان المسلمين بكتاب الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ودعاهم للجهاد فتشكل جيش قوامه اثنا عشر الف مقاتل من المسلمين بقيادة أبي سبرة بن أبي رهم وشارك في هذا الجيش عاصم بن عمر ، وعرفجة بن هرثمه ، والاحنف بن قيس ، وسار هذا الجيش لا يلقاه معارض الى أن التقى بالجيش البحريني بقيادة خليد قريبا من طاوس فعسكر هناك للقتال .

بدأ القتال فأيد الله بنصره المسلمين وانهزم المشركون بقيادة شهرك شر هزيمة ، وكانت هذه الغزوة خير شرف لثابتة أهل البصرة لما أظهروه من قوة وشجاعة وبأس ضد العدو القوي على أرضه وبقوة سلاحه المتطور ، عاد أهل البحرين الى قبائلهم عن طريق البصرة بعد هذا النصر المبين ، وهكذا نرى ما انتهت اليه حملة الاسطول الاسلامي الاول لغزو فارس عن طريق الخليج العربي.

هل كان العلاء الحضرمي مخطئا

التاريخ لا يرحم فهو دائما بجانب الغالب المنتصر وقد خسر العلاء الحضرمي الاسطول البحري الاسلامي الاول بعد ان اغرق من قبل العدو الفارسي على سواحله بعد وصول المسلمين بر فارس وبدأ القتال ، وهنا في نظري تحددت نتائج النصر في هذه الحملة البحرية الاولى ، ومهما يكن من أمر ، فان هناك بعض النقاط المهمة التي لا بد من تسجيلها لتوضيح الرؤية والمعالم . ويمكن تلخيص بعض هذه النقاط على النحو التالي :

- يبين لنا التاريخ ان الحملتين البحريتين التاريخيتين قد لاقتا نفس المعارضة الشديدة ، لركوب القادة البحر ، فقد كان غضب الخليفة عمر بن الخطاب شديدا على العلاء الحضرمي وأدى هذا الغضب الى عزله ، وبعد هذه الحادثة بخمسة وسبعين عاما عندما عبر طارق بن زياد البحر الى الاندلس تكررت نفس الملامة ، الا ان طارق لم يعزل لأن النصر كان حليفه ، ويتحدث عن هذا الموضوع ابن الحسن البلاذري فيقول

« ثم ان موسى بن نصير كتب الى طارق كتابا غليظا لتغريره بالمسلمين وافتتانه عليه بالرأي في غزوه ، وأمر أن لا يجاوز قرطبه ، وسار موسى الى قرطبة من الاندلس فترضاه طارق فرضى عنه ، فافتتح طارق مدينة طليطلة وهي مدينة مملكة الاندلس » .

- لقد كان هدف العلاء الحضرمي من ارسال حملة عسكرية بحرية لغزو فارس هو تثبيت سلطان المسلمين على ضفتي الخليج والقضاء على المشركين من الضفة الشرقية للخليج وذلك لتفادي الغزوات الفارسية البحرية المستقبلية على ديار المسلمين . ويتحدث عن هذا الموضوع كتاب البحرين عبر التاريخ[11] فيقول « وبالاضافة الى المنافسة البناءة بينه وبين سعد بن أبى وقاص ، فاننا نرجح ان العلاء كان يرمي الى تثبيت الاسلام في ضفتي الخليج حينما قام بفتح ساحل فارس عنوه وخالف بذلك تعليمات أمير المؤمنين عمر ، وقد تكون سلامة النية وتقديره الخاص لقوته البحرية يشفعان له » .

- انه من الطبيعى والمنطقي لرجل عاش طوال حياته في قلب الجزيرة العربية أن يكون حذرا وهيابا للبحر ، كما أن عددا ليس بالقليل من المجاهدين المسلمين لم يروا البحر او يركبوه من قبل ، لهذه الاسباب فان الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان لا يأذن بركوب البحر غازيا ، ولكن المهم في هذا المجال أن يكون التقدير متروكا للقائد الذي عاش في المنطقة البحرية وعرف الامكانية والعوائق ، ولقد تبين لنا أن الاسطول البحري قد عبر الخليج العربى الى بر فارس بقيادة بحرية حكيمة مطلعة على أمور البحر تعرف مغاويره وضواحله مما ساعد على وصول الاسطول الاسلامى الاول الى بر فارس بأمان وسلام دون مشقة أو ضياع او غرق ، وهذا بطبيعة الحال يؤكد ان خطورة الغزو لم تأت من ركوب البحر وانما جاءت نتيجة لقوة العدو المتربص .

- تمكن مسلمو البحرين من صناعة اسطول بحري قوي متكامل لنقل المجاهدين والعدة والعتاد للحرب ، كما تمكن الربابنة (النواخذة) من تسيير سفنهم الشراعية في الاتجاه الصحيح متفادين ضحالة المياه والرقوق والجزر الرملية والمرجانية وهذا بحد ذاته يؤكد على الامكانية الذاتية التي كان في الامكان أن تستغل للفتوحات الاسلامية البحرية لو أن النجاح حالف هذه الحملة البحرية الاسلامية الاولى .

- تكونت للمسلمين خبرة بحرية جيدة ساعدت طارق بن زياد على الاستفادة منها ، فقد علم ان بالامكان ركوب البحر والوصول وانما المهم في عملية الغزو البحري أن تكون قويا أمام العدو ولهذا فقد أحرق سفنه بمعرفته أمام المسلمين المجاهدين قبل بدء الجهاد وقال قولته المشهورة العدو من أمامكم والبحر من خلفكم .

- في كلتا الحملتين البحريتين المهمتين في التاريخ الاسلامى خسر المسلمون الاسطول البحري بعد الوصول الى الساحل ، فقد اغرق العدو الفارسي الاسطول البحري الاسلامي الاول على ضفاف الساحل الايرانى بدون مشقة أو قتال ، كما أحرق القائد طارق بن زياد الاسطول البحري الاسلامي الثاني على مرأى من المسلمين المجاهدين بعد أن عبر مضيق جبل طارق الى البر الاسباني من القارة الاوروبية .

عمر بن الخطاب يسأل والي البحرين - من أين لك هذا ؟

هناك حادثة تاريخية معروفة تروى عن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع عامله على البحرين الصحابي الجليل أبو هريرة[12] عند عودته الى المدينة المنورة من البحرين بعد أن عزله الخليفة عمر بن الخطاب من ولايته .

وتتلخص القصة كما يرويها ابو هريرة عن نفسه فيقول :

استعملني عمر بن الخطاب رضي الله عنه على البحرين فاجتمعت لي اثنـا عشر الفا (درهم) . فلما قدمت على عمر ،

قال لي : يا عدو الله وعدو المسلمين سرقت مال الله

قال أبو هريرة : « لست بعدو الله ولا المسلمين ولكني عدو من عاداهما ولم اسرق مال الله »

قال عمر : « فمن اين اجتمعت لك عشرة آلاف درهم» .

قال أبو هريرة : « خيل تناسلت وعطاء تلاحق وسهام اجتمعت »

وقد أخذ الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه المبلغ بأكمله من ابى هريرة ورده الى بيت المال .

هذه الحادثة التاريخية العابرة تدل على المستوى الذي كان يتعامل به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنـه مع ولاتـه على الامصـار ، ومع أن الصحـابي الجليل أبوهريرة قد فند كيفية حصوله على المال الذي جاء به معه الى المدينة ، الا أن هذا لم يشفع له عند عمر بن الخطاب ، فصادر المبلغ بأكمله (12,000 درهم) ورده الى بيت المال .

كما أن هذه الحادثة تبين ناحية أخرى من حياة البحرين في عهد الخليفة عمـر بن الخطاب رضي الله عنه ، فالحياة الاقتصادية قد مكنت أبا هريرة أن يستثمر المال في الخيل ليكوّن له مردودا مجزيا في اثناء مدة تواجده في البحرين في عهد عمر بن الخطاب التي لا تزيد عن الثلاث أو الاربع سنوات .

لقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم قدامة وأبا هريرة لنقل اول خراج للبحرين الى المدينة المنورة وقد كان ذلك في ولاية المنذر بن ساوى وقد اقتدى الخليفة عمر رضي الله عنه برسول الله صلى الله عليه وسلم فولى قدامه بن مظعون الجمحي على الجباية والاحداث وولى ابا هريرة على الصلاة والقضاء ، ثم عزل قدامة وحده على شرب الخمر وولى أبا هريرة للقيام بالصلاة والاحداث والقضاء في البحرين .

« الإمام » في البحرين

من الاعمال الجليلة التى تمت في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه جمع كتاب الله في مصحف سمى « الامام » وقد كان الهدف من هذا الجمع هو ايجاد المصحف الموثق الدقيق الذي تجتمع الامة الاسلامية على قراءته ، وقد تم الفراغ من هذا العمل الخير في السنة الخامسة والعشرين الهجرية وبعد الانتهاء من نسخ المصاحف الموثقة أمر الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه باجماع الأمة على أن تحرق جميـع

المخطوطات القرآنية والمصاحف المختلفة والرقوق التي كانت متواجدة لدى الصحابة ، وقد تم ذلك .

اختلفت الروايات عن عدد المصاحف التي نسخت تحت اشراف الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه فقيل أنها اربعة مصاحف ارسلت الى الكوفة والبصرة والشام وترك واحدا عنده ، وقيل أنها سبع نسخ من المصحف الكريم فبعث واحدا الى مكة ، وآخر الى الشام ، وآخر الى اليمن ، وآخر الى البحرين ، وآخر الى البصرة ، وآخر الى الكوفة ، وترك بالمدينة واحدا[13] .

والواقع ان الرواية التي تقول بأن الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه قد نسخ سبعة مصاحف هي في الواقع أقرب الى الحقيقة والمنطق ، اذ انـه لا يعقل أن يخص الخليفة مواقـع معينة من الدولة الاسـلامية دون الاخـرى وخاصـة وأن مكة واليمن والبحرين كانت من المراكز الاسلامية المهمة في تلك الفترة التاريخية من ظهور الاسلام بالاضافة الى أن المسلمين كانوا ينظرون ويتعطشون الى نسخ من القـرآن الكريم من مصدره الحقيقي المؤكد وهو مصحف عثمان الموثق والمختوم من الخليفة عثمان رضي الله عنه ، وأن هذا المصحف « الامام » هو المرجع الاصلي لاستنساخ مصـاحف الاقاليم الاخرى وهو كذلك المرجع الرسمي المؤكد للعرض والتدقيق والمقارنة لبقية المصـاحف المخطوطة في الاقليم .

العوامل المؤكدة لفوز البحرين بمصحف الامام

لقد كانت البحرين منطقة مهمة منذ بداية التاريخ الاسلامي لما اعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهمية مؤكدة ، حيث ارسل الى أميرها المنذر بن ساوى سبع رسائل نبوية شريفة بالاضافة الى الاهمية الاخرى التي ارتبطت بتسلسل الاحداث الاسلامية التى سجل بعضها في هذا البحث ، فالبحرين قد كانت دوما مركزا حضاريا وتجاريا مهما فى الرقعة الاسلامية ولهذه الاسباب فانه ليس بالغريب ولا بالمستغرب أن يرسل الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه احد مصاحفه السبعة الى ولاية البحرين الاسلامية .

ومهما يكن من أمر فان هناك اسبـابا منـطقية عـديدة ، بـالاضافـة الى الروايات التـاريخية ، تسـاند الرأى القـائل ان مصحف « الامـام » قـد أرسـل الى البحـرين الاسلامية ، ويمكن تسجيل ثلاثة أسباب منطقية تساند هذا الراى على النحو التالي :

1 ـ كانت البحرين واحدة من الولايات الاسلامية المهمة في صدر الاسلام وكانت أهميتها الحضارية والاقتصادية والبشرية تعادل الولايـات الاخرى كـاليمن والبصرة .

2 ـ كانت البحرين مركزا زراعيا مهما بالاضافة الى مركـزها التجـاري والبحري وكـانت ملتقى الطرق البريـة والبحريـة وقاعـدة حقيقية لمـزج الحضـارات الانسانية .

3 ـ لقد ارتد أهل البحرين عن الاسلام في عهد الخليفة الاول ابي بكر الصديق رضي الله عنه ، ومن المنطلق اذن أن يكون مصحف « الامام » بين ظهورهم ليقوم النهج وليكون المرجع الرسمي الموثق للقراءة والتدقيق والنسخ والنقل .

300 فارس شاركوا في حرب البصرة وصفين

خلافة الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه لم تطل أكثر من خمس سنوات شكلت الحروب فيها فترة زمنية طويلة لم تترك المجال لامير المؤمنين علي بن أبى طالب رضي الله عنه ان يثبت العلم والرخاء في انحاء الولايات الاسلامية ومع ذلك فقد كان أهل البحرين خير نصير لامام العدل والورع فقد انحاز الى صفوف علي بن أبي طالب في حرب البصرة وصفين حكيم بن جبله العبدي الذي جاء ومعه ثلاثمائة فارس من عبد القيس وربيعه ، للمشاركة في الحروب الثلاث التي خاضها الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنه .

ولقد اتخذ الخليفة علي بن ابي طالب رضي الله عنه مجموعة من اهل البحرين ليكونوا من كبار أصحابه منهم صعصعة بن صوحان العبدي ، ورشيد الهجري والحارث بن مرة الذي غزا السند في عهد الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، كما كان من انصاره من أهل البحرين ابان بن سعيد بن العاص ، وعمر بن أم سلمة ، ومعبد بن العباس بن عبد المطلب[14] .

ولاة البحرين في صدر الاسلام

لقد ولى على البحرين العديد من كبار الشخصيات الاسلامية في صدر الاسلام كما عزل منهم كذلك ، لاسباب مختلفة ، ولقد كانت البحرين من المراكز الاسلامية المهمة لهذا فان انتخاب شخصيات الولاة كان يتم من قبل الخلفاء الراشدين بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولقد تعدد الولاة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

(توفى في 12 ربيع الاول سنة 11هجرية الموافق 8 يونيو 632) .

ولى النبي صلى الله عليه وسلم :

- **المنذر بن ساوى** في السنة السابعة الهجرية بعد اسلامه وظل واليا على البحرين الى وقت وفاته التي حدثت في السنة الحادية عشرة الهجرية بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بقليل ويقال أنها في نفس شهر ربيع الاول من السنة الحادية عشرة الهجرية . وقد كان العلاء الحضرمي أميرا يعاون المنذر بن ساوى في أثناء ولايته للبحرين .

وهناك رواية أخرى تقول أن :

- **العلاء الحضرمي** كان واليا على البحرين من قبل النبي صلى الله عليه وسلم ولكن رسول الله قد عزله وولى بعده ابان بن سعيد بن العاص بن أمية ، وقد قيل كذلك ان العلاء الحضرمي كان على ناحية من البحرين وكان ابان بن سعيد بن العاص على ناحية أخرى فيها .

أنه من المعروف ان النبي صلى الله عليه وسلم في رسالة المنذر بن ساوى قد أقره على ولاية البحرين بعد اسلامه حيث قال صلى الله عليه وسلم « انك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك » كما أن المصادر لم تذكر ان النبي قد عزل المنذر بن ساوى وولى مكانه العلاء الحضرمي لهذا فانه من المؤكد أن المنذر بن ساوى بقى واليا على البحرين الى اوائل خلافة ابى بكر الصديق حيث وافته المنية .

- أول وال للبحرين في العهد الاسلامى : **المنذر بن ساوى**

- عهد الخليفة الأول ابى بكر الصديق رضي الله عنه

(11 - 13 هجرية الموافق 632 - 634 ميلادية)

- **العلاء الحضرمي** ثانى ولاة البحرين في العصر الاسلامى بعد وفاة المنذر بن ساوى عين الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه العلاء الحضرمى واليا على البحرين ، كما عينه ليكون القائد الاعلى لحروب الرده مع أهل البحرين ، وبعد قيادته الحكيمة وانتصاره على المشركين ، طلب أهل البحرين من ابي بكر الصديق رضي الله عنه أن يظل العلاء الحضرمى واليا عليهم ، ففعل وقد استمر العلاء الحضرمي واليا على البحرين طوال خلافة ابى بكر الصديق رضي الله عنه .

وهناك حديث آخر عن تولية العلاء الحضرمي للبحرين رواه ابن سعد عن عبد الرحمن بن يربوع حيث قال :

« قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لابان بن سعيد رضي الله عنه حين قدم المدينة : ما كان حقك أن تقدم وتترك عملك بغير اذن امامك ثم على هذه الحالة ؟ ولكنك أمنته . فقال ابان : أما اني والله ما كنت لاعمل لاحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو كنت عاملا لاحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت عاملا لابي بكر رضي الله عنه لفضله ، وسابقته ، وقديم اسلامه ولكن لا اعمل لاحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وشاور ابو بكر رضي الله عنه اصحابه فيمن يبعث الى البحرين ، فقال له عثمان بن عفان رضي الله عنه : ابعث رجلا قد بعثه رسول الله صلي الله عليه وسلم اليهم . فقدم عليهم باسلامهم ، وطاعتهم وقد عرفوه وعرفهم ، وعرف بلادهم يعني : العلاء الحضرمي رضي الله عنه . فأبى ذلك عمر رضي الله عنه عليه وقال : اكره ابان بن سعيد بن العاص فانه رجل قد خالفهم[15] .

فأبى ابوبكر الصديق رضي الله عنه أن يكرهه وقال: لا افعل ، لا اكره رجلا يقول لا اعمل لاحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم . واجمع ابوبكر بعثة العلاء بن الحضرمي - رضي الله عنهما - الى البحرين » .

خلافة أبى بكر الصديق

● ثاني ولاة البحرين في العهد الاسلامي : **الصحابي الجليل العلاء الحضرمي**

- عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

(13 - 23 هجرية الموافق 634 - 655 ميلادية) .

1 - **العلاء الحضرمي** لقد اقر الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولاية العلاء الحضرمي الا انه قد عزله بعد غزوه لفارس عن طريق البحر بدون اذن منه وقد كانت ولايته في عهد الخليفة عمر رضي الله عنه حوالى اربع سنوات ونصف .

وهناك رواية مهمة تقول : أن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد ولى العلاء الحضرمي البصرة مكان عتبة بن غزوان الذي ارسل جيشا قوامه اثنا عشر الفا من المجاهدين لنصرة جند البحرين بقيادة خليد بن المنذر بعد عبورهم

الى بر فارس عن طريق البحر ، وقد كتب الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه للعلاء الحضرمي وهو في البحرين[16] يعينه فيها واليا بدلا من عتبه بن غزوان ، ويفند فيها أسباب التعيين ، كما اشتملت الرسالة كذلك على عبارات الرضى والتفهم والنصح والتبصر في الامور ، وهذا نص الرسالة :

« سر الى عتبه بن غزوان فقد وليتك عمله ، واعلم انك تقدم على رجل من المهاجرين الاولين الذين قد سبقت لهم من الله الحسنى لم اعزله ان لا يكون عفيفا طيبا ، شديد البأس ، ولكنني ظننت انك اغنى عن المسلمين في تلك الناحية منه . فاعرف له حقه ، وقد وليت قبلك رجلا فمات قبل أن يصل فان يرد الله تعالى ان تلي وليت ، وان يرد أن يلي عتبه ، فالخلق والامر لله رب العالمين . واعلم ان امر الله محفوظ يحفظه الذي أنزله ، فانظر الذي خلقت له ، فاكدح له ودع ما سواه فان الدنيا امد ، والآخرة ابد ، فلا يشغلنك شيء مدبر خيره عن شيء باق شره ، واهرب الى الله من سخطه فان الله يجمع لمن يشاء الفضيلة في حكمه وعمله . نسأل الله لنا ولك العون على طاعته والنجاة من عذابه » .

2 ـ ومن الولاة الذين عينهم الخليفة عمر بن الخطاب على البحرين : الربيع بن زياد بن أنس الحارثي وكان شجاعا تقيا ، يقال أن الخليفة عمر بن الخطاب قال لأصحابه : دلوني على رجل اذا كان في القوم اميرا فكأنه ليس بأمير ، واذا لم يكن بأمير فكأنه أمير ، فقالوا : ما نعرفه الا الربيع بن زياد ، فقال : صدقهم ،

3 ـ وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عين كذلك بالاضافة الى العلاء الحضرمي والربيع الحارثي ثلاثة ولاة يذكرهم كل من العمري بن الهيثم وابو مخنف على النحو التالي :

« ثم ان عمر ولى قدامة بن مظعون الجمحي (خال حفصه وعبدالله بن عمر بن الخطاب) جباية البحرين ، وولى ابا هريرة الاحداث والصلاة (والقضاء) ثم عزل قدامة وحده على شرب الخمر ، وولى ابا هريرة الصلاة والاحداث (والقضاء) ثم عزله وقاسمه ماله [17] ثم ولى عثمان بن أبى العاص البحرين وعمان » .

وقد توفي الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعثمان بن أبى العاص الثقفى واليا على البحرين وما والاها .

ـ قدامه بن مظعون بن حبيب الجمحي القريشي ، صحابي هاجر الى الحبشة وشهد بدرا وأحد والخندق ، عزله عمر عن البحرين لشربه الخمر ، واقام عليه الحد في المدينة بشهادة الجارود وابى هريرة وزوجته هند بنت الوليد .

ـ ابو هريرة هو عبد الرحمن بن صخر الازدي الدوسي كان أكثر الصحابة حفظا للحديث ، نشأ يتيما ضعيفا في الجاهلية ، واسلم سنة سبع هجرية ولزم النبى صلى الله عليه وسلم ، يقال ان عزله من البحرين من قبل الخليفة عمر بن الخطاب كان نتيجة لما رآه من طبعه فهو لين العريكة مشغول بالعبادة توفي في المدينة سنة 59 هجرية .

ـ عثمان بن العاص بن بشر بن عبد بن دهمان ، من ثقيف ، صحابى من أهل الطائف واسلم في وفد ثقيف فاستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على الطائف وهو الذى منع ثقيفا عن الردة فقد خطب فيهم وقال : كنتم آخر الناس اسلاما فلا تكونوا اولهم

ارتدادا ، له فتوح وغزوات بالهند وفارس ، سكن البصرة بعد ان عزله الخليفة عثمان وتوفي فيها في عام 51 هجرية .

خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

- ثاني ولاة البحرين في العهد الاسلامي : **الصحابي الجليل العلاء الحضرمي**
- ثالث ولاة البحرين في العهد الاسلامي : **الربيع بن زياد بن انس الحارثي**
- رابع ولاة البحرين في العهد الاسلامي (على الجبايه والاحداث) : **قدامة بن مظعون الجمحي**
- خامس ولاة البحرين في العهد الاسلامي (على الصلاة والقضاء والاحداث) : **الصحابي الجليل ابو هريرة (عبد الرحمن بن صخر الازدي)**
- سادس ولاة البحرين في العهد الاسلامي : **عثمان بن ابي العاص الثقفي**

عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه

(23 – 35 هجرية الموافق 643 – 655 ميلادية)

- اما في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه فقد استعمل عثمان بن ابى العاص الثقفى الذي كان واليا على البحرين في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فترة قصيرة ثم عزله ، واستعمل بعد ذلك عبدالله بن قيس الفزاري .

خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه

- سادس ولاة البحرين في العهد الاسلامى : **عثمان بن أبى العاص الثقفى**
- سابع ولاة البحرين في العهد الاسلامي : **عبدالله بن قيس الفزاري**

عهد الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه

(35 – 40 هجرية الموافق 655 – 660 ميلادية) .

- في خلافة علي بن ابى طالب رضي الله عنه فقد استعمل اثنين من الولاة هما عمر بن ابى سلمة (وهو ابن ام سلمة زوجة رسول الله) والنعمان بن عجلان الزرقي .
- وعمر بن عبدالله بن ابى سلمة بن عبدالاسد المخزومى ، من الصحابة الكرام ولد في الحبشة ورباه النبي صلى الله عليه وسلم ، وله اثنا عشر حديثا وشهد مع علي وقعة الجمل وتوفي بالمدينة سنة 83 هجرية .
- أما النعمان بن عجلان بن النعمان بن عامر بن زريق الانصارى الزرقى فهو صحابي جليل شهد وقعة صفين وكان لسان الانصار وشاعرهم وقد توفي سنة 83 هجرية .

خلافة علي بن أبى طالب رضي الله عنه

- ثامن ولاة البحرين في العهد الاسلامي : **عمر بن عبدالله بن سلمة**
- تاسع ولاة البحرين في العهد الاسلامي : **النعمان بن عجلان الزرقى**

تسعة ولاة على البحرين في العهد الاسلامي الاول

لقد استعمل على البحرين تسعة ولاة في العهد الاسلامي الاول ففى عهد النبي صلى الله عليه وسلم بعد اسلام اهل البحرين عين النبي واليا واحدا استمر في الولاية الى وقت وفاته وفى عهد الخليفة الاول استعمل واليا واحدا كذلك ، وتغير الحال في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث عين خمسة ولاة بالاضافة الى العلاء الحضرمي الذي بدأ خلافته باقراره من عهد الخليفة ابي بكر الصديق ، أما في عهد الخليفة عثمان بن عفان فانه لم يستعمل الا واليا واحدا بالاضافة الى الوالي السابق لعهد الخليفة عمر رضي الله عنه وفي خلافة أمير المؤمنين علي بن أبى طالب رضي الله عنه فانه قد ولى على البحرين اثنين من الصحابة الاجلاء .

ويمكن للمرء أن يسجل ولاة البحرين فى عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعهد الخلفاء الراشدين على النحو التالي :

1 ـ المنذر بن ساوى

2 ـ الصحابي الجليل العلاء الحضرمي

3 ـ الربيع بن زياد بن أنس الحارثي

4 ـ قدامة بن مظعون الجمحى

5 ـ الصحابي الجليل ابو هريرة (عبد الرحمن بن صخر الازدى)

6 ـ الصحابي الجليل عثمان بن أبى العاص الثقفى

7 ـ عبدالله بن قيس الفزاري

8 ـ الصحابى الجليل عمر بن عبدالله بن سلمة

9 ـ الصحابي الجليل النعمان بن عجلان الزرقي .

المراجع العامة المتعلقة بالبحث

1 -	كتاب فتوح البلدان	: للامام أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي (الشهير بالبلاذرى شركة طبع الكتب العربية - القاهرة 1900)
2 -	البحرين عبر التاريخ الجزء الأول	: الشيخ عبدالله بن خالد الخليفة وعبد الملك الحمر المنامة - 1982
3 -	البحرين درة الخليج العربي	: محمود بهجت سنان - بغداد 1963
4 -	مجلة الوثيقة	: الاعداد الاول والثاني والثالث مركز الوثائق التاريخية - المنامة 1982 و 1983
5 -	حياة محمد	: محمد حسين هيكل - مكتبة النهضة المصرية القاهرة 1968
6 -	محمد رسول الله	: محمد رضا - دار الكتب العلمية - بيروت 1975
7 -	في صحبة النبي	: الدكتور محمد صالح البنداق دار الافاق الجديدة - بيروت 1978
8 -	ابو بكر الصديق اول الخلفاء الراشدين	: محمد رضا - دار الكتب العلمية - بيروت 1979
9 -	الفاروق عمر بن الخطاب	: محمد رضا - دار الكتب العلمية - بيروت - 1980
10-	ذي النورين عثمان بن عفان	: محمد رضا - دار الكتب العلمية - بيروت - 1980
11-	الامام علي بن ابي طالب	: محمد رضا - دار الكتب العلمية - بيروت
12-	الخلفاء الراشدون	: عبد الوهاب النجار - دار الكتب العلمية - بيروت 1979
13-	حياة الصحابة (الاجزاء 1 - 3)	: محمد يوسف الكاندهلوي - دار المعرفة - بيروت
14-	السيرة النبوية لابن هشام	طه عبد الرؤوف سعد - دار الجيل - بيروت - 1975
15-	المصباح المضيء (الجزء الاول والثاني)	: الامام ابو عبدالله محمد الانصاري - مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر اباد الدكن - الهند 1977
16-	مجموعة الوثائق السياسية	: للدكتور حميد الله الحيدر ابادي
17-	الطبقات الكبرى	: لابن سعد
18-	خلفاء الرسول	: خالد محمد خالد دار الكتاب العربي - بيروت 1974

19ـ مقدمة ابن خلدون	: العلامة بن خلدون دار التراث الاسلامي ـ بيروت
20ـ تاريخ الامم الاسلامية (الجزءان الاول والثانى)	: الشيخ محمد الخضرى بك المكتبة التجارية الكبرى القاهرة ـ 1969
21ـ التاريخ الاسلامي العام	: الدكتور علي ابراهيم حسن مكتبة الفلاح الكويت ـ 1977
22ـ مختصر تاريخ العرب	: سيد امير علي ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ 1967
23ـ خلاصة تاريخ العرب	: سيديو ـ دار الاثار ـ بيروت (مصور من الاصل) 309
24ـ الاعلام ـ قاموس تراجم (12 جزءا)	: خير الدين الزركلي
25ـ المنجد في الاعلام	: دار الشرق ـ بيروت
26ـ تجارة الخليج بين المد والجزر	: الدكتور عطية القوصى ـ جامعة الكويت 1980
27ـ مكان الخليج العربي	: الدكتور سليمان سعدون البدر ـ جامعة الكويت 1980

الهوامش

(1) المصادر المختلفة تحدثت عن كلمة (خيرا) بدلا من كلمة (خير الله) المتواجدة في هذا النص ، والواقع ان الصورة الفوتوغرافية للرسالة النبوية تبين كلمة (الله) بوضوح لهذا سجلت في هذا النص .

(2) العلاء الحضرمي هو العلاء بن عبدالله بن عمار بن ضمار بن اكبر بن ربيعة بن مالك بن اكبر بن عويف بن مالك بن الخزرج بن ابي الصدف من حضرموت حليف بني امية - (راجع المصباح المضيء الجزء الأول ص 205) .

(3) قد يتبادر الى الذهن ان كلمة «سمعت» ليست صحيحة وانما كلمة «قرات» هي الأصح والواقع ان النبي صلى الله عليه وسلم امي لا يقرا ولا يكتب ، ولهذا فقد قرئت الرسالة على مسامعه الكريمة وقد امر النبي بالرد ، فجاء الجواب دقيقا حقيقيا للواقع ، ولو استعملت كلمة « قرات » لبادر الشك في صحة هذه الرسالة لانها لا تطابق الحقيقة والواقع .

(4) ذيلت بعض رسائل النبي صلى الله عليه وسلم بعد ختمها باسم « وكتب ابي » او « وكتب ابي بن كعب » والمقصود بهذه الاضافة ان كاتب هذه الرسالة المذيلة هو الصحابي ابي بن كعب كاتب الوحي وكاتب بعض رسائل النبي صلى الله عليه وسلم .

(5) لا بد وان المبلغ المذكور هو 80,000 درهم فضي خسروي ، فقد كان العرب في هذه الحقبة التاريخية يتداولون الدينار الذهبي البيزنطي والدرهم الفضي الخسروي ، ولم يكن للعرب مسكوكات خاصة بهم الا في خلافة ابي بكر الصديق رضي الله عنه ، ومن هذا فان وزن هذا المبلغ من الدراهم الفضية الخسروية يعادل حوالي 280 كيلو غراما ويحتاج الى حوالي اربعة جمال على الأقل لحملها ونقلها من البحرين الى المدينة المنورة .

(راجع الوثيقة العدد الثاني يناير 1983 - دراسة عن المسكوكات الاسلامية) .

(6) للمزيد راجع : كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد او كتاب البحرين درة الخليج العربي : للأستاذ محمود بهجت سنان بغداد 1963 .

(7) اسم الجارود الكامل هو : بشر بن عمرو بن حنش بن المعلي وهو الحارس بن زيد بن حارثة بن معاوية بن ثعلبه بن جذيمه بن عوف بن بكر بن عوف بن انمار .

(8) الخلفاء الراشدون - الأستاذ عبد الوهاب النجار .

(9) راجع ابو بكر الصديق - محمد رضا .

(10) الخلفاء الراشدين - عبد الوهاب النجار .

(11) البحرين عبر التاريخ - الشيخ عبدالله بن خالد الخليفة والسيد عبد الملك يوسف الحمر .

(12) ابو هريرة : هو عبد الرحمن بن صخر الازدي توفي عام 59 هجرية 678(ميلادية) من كرام الصحابة ، لازم النبي صلى الله عليه وسلم وروى الحديث وتولى امارة البحرين ثم المدينة المنورة وقضاء مكة المكرمة . (المنجد) .

(13) راجع مقال « مع القرآن » : مصاحف بالبحرين تعود للقرن الاول الهجرى ـ الوثيقة العدد الثالث يوليو ، 1983 .

(14) راجع : كتاب البحرين درة الخليج العربى ـ محمود بهجت سنان .

(15) لقد استعملت كلمة (خالفهم) فى النص والواقع انها لا تتناسب مع معنى الحديث وربما ان الكلمة المقصودة هى : (حالفهم) أى انه صادقهم وتعرف عليهم .

(16) راجع كتاب الصحابة الجزاء الثانى (ص 51) ـ محمد يوسف الكاند هلوي .

(17) الخليفة عمر بن الخطاب صادر جميع اموال ابو هريرة البالغة اثنى عشر الف درهم وردها الى بيت المال كما تقدم ذكره ، فقد دعاه ليستعمله مرة اخرى فابى وقد دار بينهما الحديث التالى :
فقال عمر : اتكره العمل وقد طلبه خير منك ، فقال : من ، قال عمر : يوسف بن يعقوب عليهما السلام ، فقال ابو هريرة : يوسف نبي الله وابن نبي الله ، وانا ابو هريرة بن امية ، فاخشى ثلاثا واثنتين ، فقال عمر : افلا قلت خمسا ؟ قال اخشى ان اقول بغير علم ، واقضي بغير حكم ، وان يضرب ظهرى ، وينتزع مالى ، ويشتم عرضي .

تشارلز داليرمبل

بلجريف

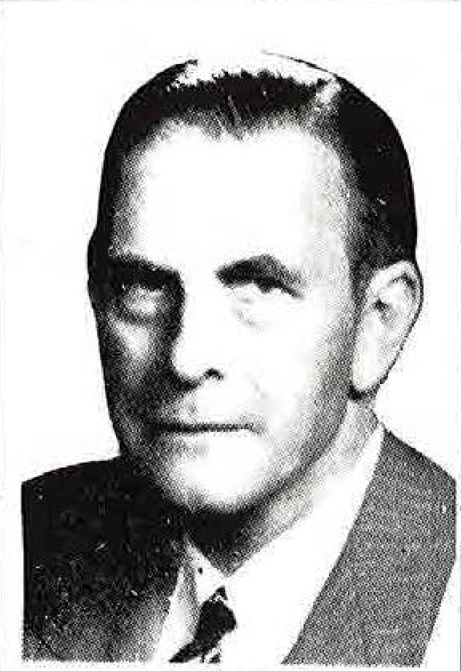
مستشار قديم.. في البحرين

بقلم : روبرت بلجريف ـ لندن

« لا تدع بلجريف يرحل فلن تجد من يساعدك ضد الانجليز » تلك كانت الرسالة التى تلقاها الشيخ سلمان من الملك سعود فى بداية عام ١٩٥٦ . والظروف التى دفعت ، ليس فقط المصريين ـ ولكن ايضا وزارة الخارجية البريطانية ، لأسباب خاصة بهما ، على ابعاد المستشار البريطانى عن البحرين ، لا تهمنا هنا . والذى يهمنا هو حالة الرجل البريطانى الذى ظل طوال ٣٠ سنة من العمل كمستشار وكناصح لحاكم البحرين ورئيس وزرائه ، وكرئيس للمالية ، وكرئيس للبوليس وكقاض ، استطاع ان يستجيب لمثل هذه الرسالة من ملك دولة عربية مجاورة . كيف وصل الى البحرين أولا ، وماذا كان دوره فى تاريخ البحرين فى السنوات المبكرة هنا ؟

وفى البداية اشير الى ان عقد مؤتمر البحرين عبر التاريخ يعد خطوة هامة فى تاريخ البحرين ، منذ ان عادت للعمل فى التأريخ . واعتقد انه شعور باليقظة والتفهم لتاريخها الخاص . والخير فى ان تجد دولة

طريقها قدما من خلال مجرى الاحداث حلوها ومرها . وعندما وصلتنى الدعوة للمؤتمر كنت قد بدأت فعلا فى البحث عن كتاب خاص بالمستشار ـ كما كان يعرف بهذا الاسم فى البحرين ـ ليكون كقاعدة



تشارلز بلجريف

للبحث واعنى بذلك مفكرته اليومية الخاصة وقد حصلت على تصريح لاستعمالها فى هذا الشأن ـ ومصدرى الآخر الرئيسى هو الأبحاث الموجودة بالمكتبة الهندية فى لندن .

جزء من بحثي غير مكتمل ، والنقص يرجع لوجود صعوبات خاصة تواجه المؤرخ فى كتابة تاريخ وقائع حديثة . وأول هذه الصعوبات هو وجود فترة تكمن خارج البحث الشخصى لا زالت فى الذاكرة للجميع ولكن لا تمس حياة كثير منا مباشرة ذلك هو الاساس الدقيق جدا وخاصة فى هذه الحالة التى تنقصها الوثائق . والصعوبة الثانية هى طبيعة المصدر الرئيسى بالنسبة لرجل متحفظ يحمل أعباء ثقيلة ومسئوليات فى زمن مبكر جدا ، يمكن ان تصبح المفكرة مخزنا للانفعالات واحباطات الايام الطويلة مثلها مثل التسجيل السريع للانعكاسات فى الاحداث ، تلك الانعكاسات المباشرة التى يمكن غالبا ان يعاد النظر فيها مع الزمن ، وبالتالى لا اعتقد ان احدا يستطيع اخفاء الحقائق التى تلقى الاضواء على الاحداث أو الشخصيات أو روابط العصر . كذلك لا اعتقد ان احدا يبحث عن مجرد الاقتباس من أجل المبالغة فى تصور المواقف المثيرة ، وهذه هى القاعدة التى أردت ان اطبقها فى هذا البحث مع محاولة وضع خلاصة تشكل سياقها التاريخى .

والصعوبة الثالثة هى ان الفترة التى جرت فيها المراجعة اظهرت اساس العلاقات الحديثة التى تطورت بين البحرين وانجلترا ، تلك العلاقات التى بنيت على العدل والثقة والتى تستمر اليوم كما اعتقد فى الذكرى الطيبة لهذا الرجل الذى نتناوله . وأنا نفسي كشاب خدم فى ادارة العلاقات الخارجية البريطانية فان آخر عمل أرغب فى القيام به هو تعويض هذه العلاقة بأية طريقة ، وهذا يوصلنى الى الصعوبة الرابعة وهى ان الأمر لا يتعلق بقصة رجل واحد لكن بعائلتين وهما : آل خليفة التى خدمها باخلاص طيلة ٣١ عاما وأسرته خاصة زوجته وأحفاده . وأنا كفرد من هذه العائلة وكشخص يكن له الحب والاحترام ، فاننى واثق تماما من الحيرة التى وجدت نفسي فيها أمام ابن العم . كلنا لدينا أبناء عمومة ، بعضهم يسبب لنا مشاكل أكثر من الآخرين ، ولكنى كمؤرخ مهتم بوصف الأشياء كما كانت ، فأنا واثق ان ما أقوله سوف يؤخذ بنفس هذه الروح ـ أعنى بذلك الزمن ـ الذى تغير فى الآونة الأخيرة من أطراف كثيرة على الرغم من وجود التشابه المظهرى .

هناك نقطة مهمة أخرى وهى ان نضع نصب اعيننا خاصة عند قراءة مذكرة قديمة مضى على كتابتها خمسون عاما ان اللغة الانجليزية وكذلك اللغة العربية قد تغيرتا ،

والكلمات التى كانت تستعمل من الجيل السابق بمعنى معادل للوصف - مثل : وطنى - كانت قديما تكتسب معنى اضافيا . وعبارات كانت تستعمل منذ خمسين عاما مضت فى بعض الطبقات الانجليزية ، ومنها كلمة جنتلمان Gentleman سواء كان الشخص رجلا عاديا أو غير عادى ، تبدو الآن باهتة سخيفة .

وكذلك تغيرت الترجمة من اللغة العربية الى اللغة الانجليزية ، وقد استعملت الكلمات كما استعملت فى الوثائق .

وأخيرا لتناول هذه المذكرات يجب أن يكون ماثلا فى الذهن عادة البريطانى الذى يعمل فى الخارج (عبر البحار) من كتابة المذكرات اليومية من صورتين (نسختين) ، نسخة منهما تجعل أفراد العائلة على صلة بأعماله اليومية ، فهى ليست أولا كتسجيل للأحداث ولكن على الأقل لتظل مصدرا للمؤرخين فى المستقبل ، أو لتبرير اعمالهم الشخصية ، والصعوبة العملية هى ان تسعة اعشار المذكرة اليومية تؤخذ عن الحديث والجدل الشخصى والاجتماعى . كما ذكر فى المقدمة .

كيف استطاع بلجريف ان يصل الى البحرين مع زوجته الجديدة فى أول مارس سنة ١٩٢٦ ؟ . هذا الأمر يتطلب مجهودا كبيرا اليوم للتصور التاريخى حتى يمكن تحقيقه بعد مرور ستين عاما مضت ، ووضع الامبريالية البريطانية فى العالم خاصة فى الهند والطرق المؤدية اليها ، كانت هناك حقيقة من حقائق الحياة واضحة لكل بادرة تساؤل على الأقل من الانجليز أنفسهم . ولم يدهش احد عندما قال نائب الملكة فى الهند - اللورد كورزون Curzon اثناء جولته فى الخليج عام ١٩٠٣ فى خطابه الى المشايخ فى الشارقة : « يوجد أشخاص يتساءلون لماذا تستمر بريطانيا العظمى فى فرض نفوذها ، ان تاريخ دولكم وعائلاتكم والظروف الحالية للخليج هى الاجابة على هذه التساؤلات . نحن هنا قبل ان تظهر أى قوى حديثة فى هذه المياه . كانت تجارتنا ، وكان أمنكم هو المهدد ويتطلب الحماية ، فيجب الحفاظ على سلامة هذه المياه ويجب ان يبقى تأثير الحكومة البريطانية عاليا » .

كان كورزون Curzon قد قام بزيارة البحرين منذ وقت مبكر محمولا الى الشاطىء على الكرسى الذى ما زال هنا فى السفارة البريطانية ، وقد وافق على تعيين الكابتن بريدو Prideaux من المكتب السياسى الهندى كأول موظف سياسى بريطانى فى البحرين ، ومنذ عام ١٩٢٦ اصبح المندوب السياسى مقيما فى بوشهر Bushire ولكنه كان مسئول الحكومة الهندية للأغراض البريطانية فى كل الخليج ، والمنصب التابع للمندوب السياسى بالبحرين كان يشغله شخص يدعى ميجور دالى Major Daly

كان دالى رجلا ايرلنديا عجوزا شرسا سريع الغضب وقد نقل فى نهاية حرب ١٩١٤ - ١٩١٨ من الجيش الهندى الى الادارة البريطانية المدنية بالعراق - الموضوعة تحت انتداب عصبة الأمم . وبسبب النميمة نقل من هناك ، ولرغبته الملحة لمشاهدة الأساليب الحديثة للادارة التى أدت الى التمرد عام ١٩٢٠ ضد بريطانيا فى الفرات Euphretes . وفى الوقت الذى وصل فيه الى البحرين ، أضيفت ثلاثة مصادر أخرى الى الاهتمامات التقليدية وهى « المحافظة على سلامة الخليج وحماية التجارة » ، كما ظهرت فى الأوامر الرسمية الى الضابط البحرى الكبير ، وهذه الأمور كانت الطموح والتنافس بين الفرس وابن سعود فى ملء الفراغ الذى سببه انهيار الدولة العثمانية ، والادراك الجديد لمصادر

الثروة وتنمية طريق الخليج جوا الى الهند ، ومن أجل البترول . ولحماس دالى المتواصل لتحسين الحكم وتدعيم تفوقه فى البحرين كما كان فى الخليج ، ركز على ان تكون الادارة والاستقرار الداخلى كافيين ليسمحا بنمو التجارة واستخراج البترول والمواصلات ، بينما فى العلاقات الخارجية التى كانت بريطانيا مسئولة عنها بمقتضى الاتفاقيات ، فكان يرى ان تتجه معاملة الاحسائيين Hasawis والمواطنين الفرس فى البحرين وجهة لا تجعل لابن سعود أو للحكومة الفارسية أى ذريعة لتأكيد سلطاتهم .

كانت هذه هى الحالة فى عام ١٩٢٢ وهذا هو الذى دفع السلطات البريطانية للتغلب على العزلة الطبيعية والتدخل فى الشئون الداخلية للبحرين . وكما وصفها السير شارل بلجريف فى ترجمة حياته فى «العمود الشخصى » : « فقد اعتقد الشيخ عيسى بن على ان الانجليز يتراجعون وينسحبون من النشاط المتوازن للأعمال بعد ان حكم البحرين مدة ٥٥ عاما وكان ابنه الشيخ حمد وليا للعهد منذ عام ١٨٩٣ وقد تولى زمام الأمر فى عام ١٩٢٣ » .

ومن أجل معاونة الشيخ حمد فى مهام عمله الجديد فى « جعل حكومة البحرين تسير على مستوى الحضارة الجديدة » اقترحت عليه الحكومة الهندية وممثلوها فى الخليج ان يسمح لها بتكليف ثلاثة بريطانيين رسميين متخصصين ينوبون عنه وقد تم تعيين السيد / دى جرنير De Grenier رئيسا للجمارك للنهوض بها وتحديثها وهى المصدر الوحيد لايرادات الدولة وكانت حتى ذلك الحين تحت رعاية المقاولين الهنود وكانت نتائجها غير مرضية . ومن أجل زيادة دخل الدولة . وكان لبريطانيا رغبة شديدة اخرى هى اعتقادهم مع بعض المبررات ان جزءا من تجارة الاسلحة المحرمة تمر من خلال البحرين ، ثانيا ، كانوا يرغبون فى تجنيد رئيس للبوليس ، وثالثا ، كانت الفكرة الاساسية لدالى هى تعيين مستشار مالى يستطيع ان امكن ان يساعد المندوب السياسى فى بعض أعمال القضاء ، فى الفصل القضائى الذى كانت انجلترا قد أصرت عليه لمعالجة كل المواضيع أو المسائل التى تخص غير البحرينيين . ولما لم يكن يوجد عضو مناسب فى المنظمة البريطانية الهندية ، فقد ظهر فى ١٠ اغسطس عام ١٩٢٥ الاعلان التالى فى صحيفة التايمز The Times فى العمود الشخصي .

« مطلوب شاب عمره من ٢٢ الى ٢٨ سنة من مدرسة عامة أو تعليم جامعى للعمل فى دولة شرقية ، مرتب جيد ونتطلع الى الرجل المناسب الذى يجب ان يكون سليم البنية ، خبرات كبيرة ، من الأفضل ان يجيد اللغات » .

وفى ١٧ سبتمبر عام ١٩٢٥ وصلت البرقية التالية من وزير الدولة للهند بلندن الى نائب الملك : « الشيخ حمد شيخ البحرين نطلب تكليف المندوب السياسى دالى للبحث عن ضابط بريطانى كمستشار مالى مثل برترام توماس Bertram Thomas فى مسقط Muscat . بريدكس Brideaux (المقيم السياسى الذى يعيش فى لندن) . » وتطلب الحكومة الهندية الاذن الرسمى لتكليف شارل دالريمبل بلجريف Charles Dalrymple Belgrave الذى اعتبر أنسب شخص ، فهو ضابط ادارى مبتدىء وغادر تنجانيقا Tanganyka تمهيدا للاستقالة فى ٣١ اغسطس ـ لغاته عربية ـ سواحلية ـ فرنسية ـ خدم فى مصر بكفاءة مدنيا كما لو كان عسكريا ، نجح فى امتحان قانون العقوبات بالهند ، وهو حجة فى المرافعات

الجنائية والقوانين المدنية ـ مرتب أكثر من ٨٠٠ روبية شهريا » .

وبالطريقة الديمقراطية سألت دلهى ايضاح تفاصيل الاقتراح وكان ذلك قبل بضع سنوات من الخدمة ، وأخيرا وقبل الاستقرار النهائى (أو ايضاح الواجبات المكلف بها) ، يتضح من المذكرة ان الوظيفة قدمت له وقبلها وهى مستشار للحكومة فى البحرين وليس كضابط انجليزى أو مساعد للأعمال السياسية ولكن تحديد مهمته وضع أساسه هؤلاء القائمون بالعمل السياسى فى الهند . كان عقد العمل لمدة أربع سنوات وتم توقيعه بمجرد وصول بلجريف واعتمد بخاتم الشيخ وصدق عليه من دالي . وكان مذيلا بالتجديد « فى حالة موافقة الجانبين توافق حكومة الهند » ، وهناك شرط واحد كان ينص على منع « العمل فى التجارة » . وعدل العقد بعد سنوات بمنحه إجازة « اجازة محلية » ، وعندما نجحت سياسة الوكلاء كما وضعها بلجريف فقد تحول من مقيم سياسى الى وكيل سياسى فى ٤ مايو سنة ١٩٢٨ . وبناء على طلب وموافقة ورغبة الشيخ فى تحمل تكاليف رحلة حرم بلجريف الى الهند حيث كان زوجها ذاهبا لجمع أفراد جدد للبوليس ، أقر الشيخ سفرها باعتبار انه : « من غير اللائق ان يتركها » وكانت اجابة المقيم السياسى واضحة : « السيد بلجريف خادم حكومة البحرين وكل عمل يشير به الشيخ فى خصوصياته يعتبر أمرا . ونحن لا نعتبر ذلك نهبا ـ وهذه ليست القضية » . وبمرور الوقت وعندما جاء وقت تجديد العقد شعر المندوب السياسى بوضوح ان المستشار اصبح مستقلا بمعاملاته عن انجلترا ويتعامل بصفة شخصية مع البحرين فأثار ذلك بعض المشاكل فى حصوله على «موافقة» الحكومة فى الهند . على أى حال فى ٥ مايو سنة ١٩٢٩ أرسل المقيم السياسى الى المندوب السياسى تقريرا : « لقد تسلمت رسالة من الشيخ حمد انه جدد تعيين بلجريف لمدة أربع سنوات « لأننى قد وجدته يعمل كل جهده فى انجاز كل المواضيع التى تخدم حكومتى » .

كان التفانى فى الخدمة هو أساس وملامح خلفية المستشار وأخلاقه وكان لعائلته منذ قرون ضياع فى وسط انجلترا ، وكان لهم الحق فى تعيين من يختارونه كقس فى كنيسة القرية فى شمال كيلورث بليسسترشير . وفى خلال ٣٠٠ سنة مضت كان لهم الحق الشخصى فى اختيار سبعة من العائلة . وكان والده راعى هذه العائلة محاميا وخبيرا فى القانون ، كتب مجلدات عن مغامرات غير ناجحة بحقول الماس بجنوب افريقيا ومناجم الذهب فى كاليفورنيا . ووالدته من أصل سويسرى تفضل الحياة فى شاتلارد على شواطىء بحيرة جنيف ، حيث كان ولداها يقضيان اجازتهما من مدارس انجلترا ـ وكان جيمس اكثر الاخوة مرحا وقد مات فى غارة جوية على فرنسا عام ١٩١٨ ، اما شارلز فلم يسمع عنه الا وهو فارس وكان افراد الاسرة او الاصدقاء ينادونه كارول وهو (لقب) ، جده كابتن توماس بلجريف القانونى فى البحرية وخدم أول حياته على سفينة تحت رئاسة ادميرال داكريس ومع أخيه الذى كان يعمل قسيسا عسكريا تزوج كلاهما ابنتى قائدهما أما حماه فقد تزوج من ابنة سير هاو دالريمبل وهو واحد من أنجح قادة بريطانيا فى حرب شبه الجزيرة ضد فرنسا وقد لقب بكارول . وقد اعد شارل دالريمبل بلجريف نفسه وهو فى البحرين لأن يكون شخصية مرموقة بين عائلته . وعندما ذهب كارول الى جامعة اكسفورد عام ١٩١٢ كان من المنتظر انه سوف يدخل الكنيسة كراع خلفا لعمه عن شمال كيلورث . ولكن احداث

حرب القيصر اقصته عن ذلك واتخذ طريقة فى خدمة شعب البحرين بنفس الهمة التى كان يقوم بها فى رعاية أهله بالقرية الانجليزية. حقا انه لم تعزب عن فكره اقامة علاقات متوازنة بين الضيعة والقسيس فى القرن التاسع عشر بانجلترا، فالأولى علمته حقوق الملكية والعدالة والمساواة بين افراد الضيعة الذين يعيشون بينهم، والأخيرة كانت جزءا من واجباته ومعتقداته الدينية التى تخصه مع ميوله الطبيعية وتعليمه ونشأته كإبن متدين يعيش فى مجتمع له نشاطه الدينى والرياضى. هذه العلاقات كانت طابعه فى صلته مع اثنين ممن توليا حكم البحرين. وعندما جند فى الجيش مثل كل زملائه من اكسفورد وجد بلجريف نفسه على سفينة عسكرية الى مصر حيث سجل ذلك فى مذكرته عام ١٩١٧ وحيث «حصل على عمل فى كتيبة الجمل» وهناك تعلم اللغة العربية وشاهد بعض الخدمات النشيطة فى الحبشة. وعندما انتهت الحرب وجد طريقه فى قوة الدفاع المصرية ـ وكان لا يزال تحت السلطة البريطانية وتم تعيينه ضابطا سياسيا فى سيوه، هذه الواحة البعيدة فى جنوب صحراء مصر الشهيرة والتى اشتهرت فى التاريخ بأنها موطن آمون والمكان الذى حج اليه الاسكندر، وكان الضابط الانجليزى الوحيد الذى وضعت فيه الثقة لحماية السنوسى. وقد بذل بلجريف جهدا للحكومة المحلية «ونظف» المدينة وجعل السكان يحفرون الآبار وغير نظام قنوات الرى وغرس حدائق النخيل. وبعد ١٨ شهرا اصيب بمرض التيفود وكاد يموت قبل ان تنقله سيارة عسكرية الى مرسى مطروح. وقد أرسل رسالة من المستشفى الى ابن عمه الأول (والدى) يقول فيها انه غير متأكد من المستقبل ويطلب النصيحة فى هل يستجيب لطلب تفويضه كضابط فى الجيش. فى النهاية عاد الى منزله وقضى عاما مستمتعا بصحبة اهله وهؤلاء القلائل من الاصدقاء الذين خدموا اثناء الحرب واخذ يدون كتابه عن سيوه الذى يعد من احسن الكتب الثلاثة التى نشرها، ثم قضى سنتين تحت الاختبار فى خدمة كولونيل فى تنجانيقا، ولكن هذا العمل كان لا يرضيه ولا يرضى ذوقه الأجنبى ولا رغبته فى الحصول على المرتب الذى يقنع به والد الفتاة التى يحبها ويجعله ينظر اليه على انه الرجل المناسب لابنته كعريس من عائلة صديقه، الفتاة هى مارجوريا بارريت ـ لينارد. كانت هذه هى الظروف التى رأى فيها الاعلان فى جريدة التيمز وتقدم لطلب الحصول على الوظيفة التى احضرته الى البحرين وهى المكان الذى وصفه قائلا انه لا يعلم عنه أى شىء ويمكن ان يجد فيه القليل.

ويبدو ان الوظيفة قد لقيت قبولا عند والد عروسه رئيس عائلة نورفولك. وبعد أيام قليلة من الزواج، اخذ الزوجان طريقهما الى الشرق الأدنى وعبرا الصحراء بسيارة ثم أخذا سفينة الى البصرة Basra وهنا ندع المذكرة تتحدث:

«أحضرتنا سفينة الباترك استيوارت من بوشهر Bushire ورست على شاطىء البحرين فى وقت الافطار. بدت جزيرة طويلة غير مرتفعة ذات حدائق من النخيل على طول الساحل ومدينة واحدة كبيرة على الشاطىء ومدينة أخرى على جزيرة أصغر. ويوجد عدد كبير من الزوارق الشراعية على الشاطىء. وبالقرب من الشاطىء يتغير لون الماء بين أزرق وأخضر وارجوانى، كل ذلك يعطى المكان منظرا جميلا. الهدوء تام ولكن اهتزاز صوت المحركات يسمع بوضوح ليلا وكان يضايق «م».

قابلت دالى فى «مقره» ويبدو انه منزل ضخم نظرا لشرفاته الواسعة المطلة على البحر وقد بنى جيدا وفى حجرة مزينة بالرسوم الجميلة قابلتنا حرم دالى ، وبعد تناول الغداء ذهب كل منا الى المركب . وجرى حديث طويل مع دالى عن العمل اثار كثيرا من الفضول والحذر الشديد فى السياسة التى يجب ان يتحلى بها الانسان .

« شيء محبط ان تجدهم يبنون لنا منزلا جديدا وان ذلك سوف يستغرق عدة شهور ونحن فى مسكن مؤقت مجاور ، الليل جميل ، القمر كامل تقريبا يسطع بأنواره على كل البحر ، المدينة وكل ما رأيته بها يبدو نظيفا جدا ومنظم وهى مثل اى مدينة كبيرة فى صعيد مصر . منظر البحر محبب وفى كل الوقت حركة مرور كثيرة من المراكب من كل نوع ومن كل حجم غالبا تذهب الى الجزيرة الأخرى . ذهبنا لتناول العشاء مع الشيخ فى نهاية الاسبوع فى احد المنازل الموجودة بداخل الجزيرة ، شعرت بشيء من عدم الارتياح عند مقابلتى الأولى له .

حدثنا دالى عن تجاربه وخبراته عندما كان فى انجلترا » .

« بعد الظهر ذهبنا مع مدام دالى فى جولة حول المدينة رأينا حدائق النخيل تجرى وسطها مجارى مياه الآبار التى ذكرتنى كثيرا بواحة سيوه .

كل شيء نظيف وجميل وعدنا من وسط المدينة . الشوارع ضيقة جدا والمنازل عالية ضخمة ونظيفة بشكل مثير للدهشة ، بعض المنازل لها أبواب منقوشة جميلة تشابه تلك التى رأيتها فى زانزبار ، وللأبواب مطارق نحاسية من الخارج والمنازل تبدو فسيحة واسعة تشير الى ذلك الشرفات العليا والسفلى ، كان الوقت متأخرا فلم نر محلات تجارية مفتوحة ما عدا بعض المقاهى .

« المنزل الذى نقيم فيه مجاور تماما للمنزل الجديد الجارى بناؤه وتكلف ٦٠٠٠ جنيه انجليزى ، وبذلك كان يمكننا مراقبة اعمال البناء .

« دالى وحرمه كلاهما صغير جدا ونحن ضخما الحجم بالنسبة لهما ! » « يوم جمعة جميل . قضينا الصباح مع دالى فى مكتبه نتحدث ويدون بعض المذكرات . هو يريد ان يجعل منى شخصا مناسبا ملما بكل امور السياسة وفى النهاية . وقعت مكيدة قبل مغادرته ، كانت من احد الرجال غير الحذقين وهو مدير الجمارك دى جرونير .

السبت ٣ ابريل :

عملت مع دالى طوال الصباح واكتب بالعربية طوال فترة بعد الظهر . وقد كان دالى جديرا بأن يتعلمها وانا استذكرها معه بعد الظهر خلال اسبوع الدراسة . وأخيرا ذهبنا فى نزهة الى احد الآبار فى حدائق النخيل وأخذنا الشاى معنا فى السيارة . المكان محبب جدا ويشبه تماما واحة سيوه ، وكان دالى يحب المكان ودائما يتردد عليه خلال السنوات الخمس التى قضاها هنا . وكنت أقدر ذلك الشعور الذى احسست به يوما من قبل فى واحة سيوه ، فالأكواخ لا يأنف منها احد . ودالى يعمل بجد وهو دائما قلق حتى لا يذهب جهده هباء . وقد سر كثيرا لأننى اتحدث العربية أكثر مما كان يتوقع .

الأحد فى الشرق :

« كتابة خطابات فى الصباح ترسل عن طريق البصرة Basra بعد الظهر ونعتمد على الحاقها ببوسطة بغداد حيث ترسل على وجه السرعة . وبعد الظهر نأخذ الشاى مع المبشرين القساوسة فى منزلهم المخيف المظلم جدا ، وهو بسيط مغلق النوافذ دائما ويبدو قبيح الشكل ، وكان الشاى غير مبهج

ثم قام القساوسة بعد ذلك باداء الخدمات الكنسيـة حـركـات وتـلاوات ثم أقيمت الصلاة ، وقدمت أناشيد بصـوت سيدات وهى أناشيد طويلة جشة وبلهجة المانية . والموعظة استمرت نصف الساعة . بعد ذلك قدنا السيارة الى منزل الشيخ بالريف ويقع فى وسط الجزيرة حيث يحب ان يعيش بين خيوله وكلابـه وجمـاله وصقـوره وقيـادة السيارات . بدأنا الرحلة متأخرين حيث كان الوقـت قـد اظلم قبـل ان نـصـل . أنـا ومـارجـورى ودالى والولد وصـديق يسمى هولمز Holmes استرالى لطيف وله علاقـة بالبترول ، وكـان بسيارة هـولمز اثنـان من وكلاء العرب . سرنا بين حدائق النخيل ثم خـلال صحراء منبسـطة تاركـين مساحـة مغـطاة بأكـوام القبـور والمـدافن التى لم تكتشف بعـد ، وصلنـا القـريـة فى الظلام وولجنـا بـين عـديـد من حـظائـر الحمـير والجمـال ، وحشد من العـرب حـول بـاب الشيـخ . قابلنـا الشيخ محييـا فى الخارج وبصحبتـه شخص وسيم فى جلباب أبيض وعلى رأسه العقال العربى . ودخلنا حجرة طولها خمسون قدما لا أثـاث فيها ، فقـط سجادة وبعض المساند بجوار الحائط ، وفى الوسط حصير مستـدير . جلسنـا نتحدث لبعض الوقت ، تحـدثت قليلا وقـد وجدت اننى استطيع فهم اللغة العربية جيدا على الرغم من اختلافها الواضـح عن النطق فى مصر . مـلاحظات عـديدة قـدمت وطرحت ولكن الشيخ ووكلاء هولمز ظلوا يتناقشون . الجدران كانت بيضاء وبها نـوافذ مـربعة عليهـا حليـات من الأرابيسـك الجميـل . والباب والنوافـذ جميلة الصنع وهى عـلى جانب واحد من الحجـرة ، والسقف جميل جذاب صنع من خشب زانزبار . السكون والبهجة فى العيون . احضر العشاء اثنا عشر صبيا . وقبل العشاء غسلنا الأيدى فى طست من النحاس وابريق من النحاس ينصب منه الماء . كان الأكل جيدا ، خروفان مشويان فى الوسط ، ودجاج محشو محمر وبيض محمر على كمية من الأرز . كل أنواع الأطعمة مع خبز رقيق جدا وخليط من السلاطة والشربة والبلح . لا تـوجد شـوك ولا مـلاعق ولكن تستعمل الأيدى ، ثم عدنا بالسيارات .

كان يبدو عجيبا ان الشيخ حمد المسن الذى يظهر بمظهر العربى العادى له دخل سـنـوى بـين ١٥ وعـشـريـن الفـا ، ويستخدمنى ! . بعد العشاء كان له حديث خاص مع دالى وكـالمعتاد شكـا واحدا من رجـاله ، من درجـة رئيس العمـال سلبـه واستدان نقودا باسمه وان هناك سلب عن يمينه وشماله وان جزءا من عملى هـو منع ابتزاز الناس لأمواله .

« ان الانسان يحتاج أجيالا للكتابة عن السيـاسة اللازمـة للشخص ليتعلم الكثير عنها بالقطع ، فيوجد الكثير من المـواضيع للكتابة ولكنى أشك ان الناس يصدقون كل هذا » .

فى غضون شهور قليلة منذ قيام بلجريف بمهـام عمله ظل يعيش فى المسكن المؤقت الخاص بقوة البوليس ، بينما منزله المجاور للمندوب البريطانى أكمل بنـاؤه . وفى يوم أراد بلجريف ان يغادر منزله قبل السـاعة السابعة سيرا على الأقدام من خلال السوق الى مكتبـه . مبتـدئـا العمـل مـع الكتبـة بحضوره مبكرا . هناك اصبح ملازما للشيخ حمد وشقيقه الشيخ عبدالله وهما معا يقران أعمال الحكومة . بعد الافطار كان سمـوه دائما يجلس فى الساحة يستقبل زواره من المـواطنين ، وعـادة يقضى بعض الوقت مع دالى المندوب السياسى ، الذى كان حماسه للأعمـال الداخليـة فى البحـرين مـوضـع اعجاب .

بعد الغداء كان على بلجريف ان يسير بسيارته ليتعرف على الجزيرة ، أما الأمسيات فكان يقضيها فى حلقات من زواره أعضاء البعثات الأوربية وهم حوالى العشرين أو أكثر حيث كانوا يتسلون بالتنس والبريدج وفى بعض الأحيان قد ينضم اليهم بعض أفراد من أسرة الخليفة او من التجار .

يوم الأربعاء ٤ أغسطس :

مهما كانت الأحداث وعلى الرغم من مصادفاتها فقد وضعت بريطانيا نهاية للغموض الذى كان يحوط العلاقة بين المندوب السياسى وبلجريف والشيخ حمد . اقتطف من المذكرة احداثا واعطى ايضا حسابا لأيام المستشار وواجباته اليومية التى كانت لا تزال تناسبه .

الاربعاء ٤ اغسطس : ذهبت للمكتب كالمعتاد ، كنت ماشيا مع دى جرونير فى الخارج عندما هرول محمد رئيس خدمى متجها الىَ مسرعا قائلا توجد حادثة فى القلعة ، دالى والسوبادار أصيبا بالقرب من القلعة . لاحظت عددا كبيرا من الناس واقفين ، وكذلك بعضهم يقف امام أبواب منازلهم . وجدت مارجورى فى الشرفة مضطربة . ذهبت مسرعا الى داخل القلعة تاركا دى جرونير . سمعت انه بينما كان دالى فى المكتب مع السوبادار ، اطلق احد الجند الهنود وهو بلوشى الرصاص على السوبادار فاخترقته الرصاصة وأصابت ايضا دالى . ثم هاجم دالى بالسنكى . الصمت يخيم على جموع الناس ، أخذت السيارة وذهبت الى الوكالة ، وجدت دالى بحالة سيئة ومعه الطبيب ، وقد اصابته الرصاصة فى أذنه وأصابه السنكى فى خمسة مواضع . السوبادار والهافيلدار كانا فى المستشفى مصابين بجراح عميقة . جمع غفير من الناس متجمهر حول الوكالة ، وعندما كنت راجعا بالسيارة الى الخلف رأيت الشخص الذى اطلق الرصاص . ساد المدينة هلع وظن الناس ان كل الضباط والرجال البيض قد اطلق عليهم الرصاص وستجمع جثثهم وسيجرى سلب ونهب فى السوق . فأغلقت المحال فى ظرف خمس دقائق واخذ جمع من الناس القوارب هربا الى المحرق Muharraq وبعضهم هرب الى الحدائق خارج المدينة وبعد فترة الهياج ساد الهدوء وفتحت المحال مرة اخرى .

كتبت الى الشيخ عيسى وأخبرته بكل ما يجرى وذهبت الى الشيخ حمد واخبرته فذهب على الفور لرؤية دالى وقد بدا عليه الغضب والحزن .

الخميس ٥ اغسطس :

زرت دالى فى الصباح وكانت جراحه مغطاة بالأربطة ثم ذهبت الى المكتب . شيعت جنازة السوبادار وفى الظهر توفى الهافيلدار ودفن فى المساء . شىء محزن ، فنواح الأرامل كان يشير دائما الى انه لا يوجد خطأ من الرجلين . أكتب تلك المذكرات عن تلك الأيام التى كنت فيها مشغولا جدا بعملى بالاضافة الى عمل دالى . حضرت مارجورى فى المساء لترى دالى ثم ذهبت معى بالسيارة ، المدينة تسودها الاشاعات ، والناس يعتريهم الفزع والهلع . يوميا يطلب الشيخ رؤية دالى ويعتقد انها مؤامرة وان حاج سلمان رئيس الشرطة والرجل الأول عند ليفى يجب ان يطلق عليهما الرصاص . كل شىء هادىء تماما فى القلعة والسجين فى زنزانته التى تقع اسفل حجرة ملابسى .

الجمعة ٦ أغسطس :

قضيت طوال الصباح مع فرقة ليفى اتحرى الحقائق عن حادث اطلاق

الرصاص . الرجل المجنون لا ينكر الحادث وذكر انه فعل ذلك لأن السوبادور أحضره من ناكى الى العمل فى الجندية عند الأوربيين . وقال انه كان لا يقصد اطلاق الرصاص على دالى ، ولكنه هاجمه بالسنكى . عندما قال «امسكوه» . لقد تصرف الحراس تصرفا سيئا فقد ابتعدوا عند سماعهم اطلاق الرصاص وكانوا هم الموجودين بالقرب من الحادث . طلب دالى سفينة كان الملاح قادما من حدود روسيا فهو فارسى مظهره ردىء متعصب ، عيناه خضراوان ويبدو كأن طبعه سيئ من تصوره العقائدى ، شعره طويل وكذلك ذقنه وملابسه . بعد الشاي ذهبنا الى جزيرة سترة فى قارب ، كانت حركة المد والجزر والريح ضدنا فلم نصل الا الساعة الثامنة مساء ، وسرنا حتى موقع ليفى الذى كان يبدو قذرا . مكثنا بعض الوقت ، وعدنا الى القارب وكان الوقت قد اظلم وحركة المد والجزر معنا ، ولكن لا يوجد ريح فوصلنا الى الأرض ، لقد كان المشى افضل كثيرا من المتاعب التى قضيناها فى دفع القارب . حملوا مارجورى ولكنها كانت هلعة ووصلنا الى قرية ثم استأجرنا حمارا من رجل عجوز كان يعتقد اننا من اللصوص . ركبت مارجورى الحمار ومشيت أنا على قدمى مسافة حوالى خمسة أميال وقد وصلنا فى الساعة الثانية عشرة والنصف ووجدنا عشاء فاخرا فى انتظارنا . حقا هؤلاء الخدم من المواطنين مدهشون عندما يكون هناك اضطرار في ليلة مظلمة ، أعطيت مارجوري لؤلؤة كنت قد اشتريتها لها بمناسبة عيد ميلادها .

السبت ٧ أغسطس :

حضر دالى الى الوكالة لأنه يرغب فى تخفيف عبء العمل عن مارجورى وكانت فكرتى انه لا يوجد خطر على الاطلاق ولكن دالى أبرق الى بحارة السفن . كل منا كان غير راض عن ذلك ، وعند مغادرتنا القلعة بدا وكأننا خائفون من شىء ، ولكنى فى الواقع كنت مقتنعا انه لا توجد أى متاعب وانها كانت زوبعة فقط .

الاثنين ٩ أغسطس :

وصلت بعد الظهر السفينة سيكلامن وعليها الكابتن برريمان وبعد ان أرسل عددا من بحارته قاموا بوضع مدافع آلية حول مبنى الوكالة حضر الى الشاطىء فى المساء ، ذهبت أنا ومارجورى بالسيارة الى مبنى الجمرك لاستقبالهم ، ولكنى وجدتهم قد ذهبوا الى الوكالة مباشرة . كنا قد رتبنا خمسين من الفرس كنوع من البوليس الخاص لحراسة المدينة ليلا ، حيث كان الناس مضطربين ، وقد انتهز البعض الفرصة للمعاكسة ، فسطا اللصوص على منزل مقابل للقلعة واطلقوا الرصاص وأصابوا صاحب المنزل . من العار ان يحدث ذلك لمواطنين مسالمين فقراء . ذهبت الى المكان فى الصباح قبل الافطار وأجريت تحرياتى عن الموضوع ، لقد خدع الحاج عباس ليأخذ مكانه مؤقتا عند البوليس حتى لا يحدث اضطراب فى المدينة كما ذكر دالى فى برقية الى بوشهر .

الثلاثاء ١٠ أغسطس :

محاكمة طويلة قبل الافطار كما بحثت ايضا بعض قضايا الوكلاء الثلاثة مع الضابط السنيور نافال ، باررى سوف يأتى ، دالى مسرور جدا بحصوله على تحذير من الفيكاروى بناء على طلبه وارسال مواساة الى عائلات الذين اطلق عليهم الرصاص .

الأربعاء ١١ أغسطس :

وصل البريد مع استيوارت ـ هورنر رئيس السكرتارية من بوشهر ، كان مغرورا ولكن به قليل من الحذر والذكاء . ذهب الى مكتب القلعة . كان كل شيء عاديا في الخطاب . دالي يريد ان يسرح كل أفراد فرقة ليفي ويستبدل بهم جنودا من الهنود . جلس يتحدث الى هورنر طوال ما بعد الظهر واخبره بتفاصيل كل ما حدث .

الخميس ١٢ أغسطس :

وصل ثلاثي « اسطول كروزر الملكي » . وقد قضوا معظم الصباح في أخذ البيانات عن حالة اطلاق الحاج سلمان الرصاص . ويبدو ان هناك رجلين مشتركين في الأمر . حضر باري وباريمان للعشاء وبعد ذلك لعبنا البريدج . كان دالي ينتقد بريدوكس ، وكانوا جميعا متفقين على الوصف « مظهر الاسقف Bishop بمعنويته واخلاقياته يدل على انه رجل متوازن » وقد اعجبت كثيرا . وعند مغادرة دالي المكان لم يأخذ في باله ماذا قال وماذا فعل . دالي حقا هو الذي فعل هذا العرض والآن يبدو ان الاسطول سيقوم بعمل ملفت للنظر فخططوا للقيام غدا بدخول القلعة وتجريد ليفي من السلاح . كنت أمضي ساعات كثيرة في الحصن يوميا ، والآن يتحدثون انه في حالة دخول أي منا الحصن يجب ان يكون معه رجلان مسلحان لحمايته ، كان ذلك مضحكا وهزليا .

الجمعة ١٣ اغسطس :

توقفت المحركات في الميناء في الساعة السابعة والنصف صباحا وصل ثروبون Thereupon واثنان من الكباتن (قبطان) وكل رجال كرويزر cruisers وهم في غاية الخشونة ومعهم بنادقهم وحرابهم ومسدساتهم والمدافع الآلية وكامل معدات الاسعاف ، لم أكن اتصور انهم حقا يفكرون في الاعتداء ، وقد كنت في طريقي للنزول من القلعة ذاهبا بكل وقار الى السوق مع كبير ضباط اسطول الخليج ، وبعض القوات .

وبما ان اليوم كان يوم جمعة فقد كان السوق خاليا ، ولكن كان هناك بعض الصبية يلعبون . ويبدو ان البحارة كانوا يشعرون بالحر الشديد والضيق في الوقت الذي وصلنا فيه الى السهل . الطريق الذي أسير فيه ذهابا وايابا من والى مكتبي . كانوا يعتبرونها مسافة طويلة . وبالوقوف خارج القلعة ولم تكن لدينا أي فكرة عما قد تفعله فرق الجنود ، أرسلت مجموعات لتطويق القلعة في هرج ومرج ممجوج . سرت انا والكابتن الى القلعة وفي الفناء الرئيسي كان يبدو على رجال ليفي الاهتمام وطبعا غاية اللطف . حقيقة شعرت بالغباء . وضع حراس مسلحون على الأبواب وكلف ضابط بالمرور على الحراس وقلت انه يستطيع استعمال حجرة ملابسي ، تم ايقاف الملا The Mullah ونقل السجين الآخر الى القسم الاداري (الوكالة) .

الأحد ١٥ أغسطس :

تم دفع نفقات رجال فرقة ليفي . حقيقة لم تكن جماعة سيئة واعتقد ان ثلاثة او أربعة كانوا متأثرين ، ولكن دالي كان يرغب في رحيلهم بأمتعتهم .

الاثنين ١٦ أغسطس :

كنت بالمحكمة طوال اليوم لنظر قضية حاج سلمان (رئيس البوليس) وسماع أقوال الشهود وقد قال الجميع ما سبق ان سمعته من قبل . حضر للغداء معي الكابتن باري (البحرية الملكية) وهو حقيقة شخص لطيف

ورزين . تبادلنا حديثا طويلا عن كسل وعدم كفاءة بريدو Prideaux وعجزه في بوشهر Bushire . وبعد الغداء عدنا لمواصلة الحديث طوال فترة ما بعد الظهر . وبعد تناول الشاي ذهبت أنا ومارجوري بالسيارة على طريق البديع Budiya وعدنا عن طريق سوق الخميس . وعند عودتنا القينا نظرة على المنزل وتم تبادل برقيات كثيرة . (الليفز) الليفيون The Levies ملوا الانتظار هنا .
كان دالي يرغب في نقل كل فرقة ليفي البلوشي واحضار هنود . ويعتقد بريدو Prideaux في بوشهر اننا جميعا نقوم بعمل هرج ومرج كبيرين في المنطقة . وحقيقة كنت اعتقد ان دالي قد قرر التقاعد بعد قضاء خمس سنوات وهو غاضب كثيرا ؟ هو حاليا بصحة جيدة ولكنه ما زال محموما . وفي يوم شديد الريح والبرد ، هبت ريح الشمال مرة اخرى ، شكرا لله . ذهبت الى المكتب في الصباح وحضر الشيخ ، وكان قد حضر قبل ذلك للوكالة لزيارة دالي . كان الفناء مليئا بالمساجين المكبلين ومعهم حراس مسلحون أشداء وبحارة ، وكان ذلك يبدو مضحكا للغاية .

الأربعاء أول سبتمبر :

العودة مبكرا الى المنزل الى حد ما ، وبعد الظهر ذهبت مع محمد خليل الى مكان يسمى كرزكان Kurzakhan حيث فحصت قناة مائية في حاجة الى اصلاح ، مشيت على قدمي وركب محمد حمارا ، حقيقة المكان كان ممتعا لم أشاهده من قبل ، تقابلنا مع شيخ الرفاع Shaikh OF Rifaa وجلسنا بعض الوقت تحت ظل مسجد نشرب القهوة ونتناقش العمل مع السكان المحليين ، ثم عدنا متأخرين في الليل . دالي كان في حالة يأس لأنه تسلم برقية من بريدوكس تقول ان بريدوكس والسكرتير الأول سوف يصلان يوم الجمعة . كان دالي لا يحب بريدوكس وقد تحدث دون توقف عن عيوبه الكثيرة ، لهذا توقعت ان تكون الزيارة غير محتملة . ولم يكن الكابتن يحبه ايضا وهو من كل النواحي كان مجرد « نوع من قاض شرعي . Cadiz» وكان مخيفا ولأنه رجل مسئول فدائما يلقى التبعة على المرؤوسين . ما زال الجو باردا .

الثلاثاء ٣١ أغسطس :

التخلص من باقي فرقة ليفي والبوليس الذي كان عليه ان يذهب كانوا مثل الآخرين تبدو عليهم السعادة والمرح لأنهم راحلون اجتاز بهم الاسطول الرصيف الممتد في البحر حيث دفعت لهم الأجر . حاول عدد من النساء القاء أنفسهن في المراكب الشراعية للذهاب معهم ، ولكن ذلك كان ممنوعا ، حقيقية لقد كان من المستحسن التخلص منهن بارسالهن أيضا .

الجمعة ٣ سبتمبر :

هرج ومرج وكثير من الاستعدادات لزيارة الكولونيل بريدوكس تأخر « اللورنس Laurence » كالعادة . ولكني اخذت عشائي قبل ان أذهب لمقابلته . وصل الشيخ والشيخ عبدالله في الصباح ، وبعد الغداء ذهبت الى القصر ثم رافقتهما الى الجمرك . وركبنا في لانش الشيخ الى اللورنس ، ذهب الشيوخ الثلاثة وكثير من أولادهم على متن السفينة كان الكولونيل بريدوكس وشاب متعب هو المساعد الثاني (السكرتير الثاني) على متن السفينة . كان اسلوب الكولونيل بريدوكس سيئا مع الأهالي وبدون مبرر أعطى فكرة سيئة عن نفسه ، كان يبدو حاد المزاج ولكنه اصبح دائما كذلك . وكان الشيخ متضايقا وفوض كل شيء لي ، وبعد نصف ساعة غير طيبة إنصرف الشيخ .

السبت ٤ سبتمبر :

لقد أرسلوا فصيلتين من الجيش الهندى هنا مؤقتا ، الى ان تصل الفرقة الجديدة من المجندين والبوليس . وسوف يصل بارك Parke فى القريب العاجل . كنت أترقب وصوله وسوف يكون مساعدا للمستشار بالاضافة الى عمله كضابط مسئول بالبوليس ، لذلك أتمنى ان يكون لدى عمل أقل أقوم به .

الثلاثاء ٧ سبتمبر :

تأخرت كثيرا عن الافطار ـ والغداء ، وسألت عن الشيخ عند عودتى بعد عمل طويل بالمكتب ، وقد تحدث طويلا . وهو الآن ليس على استعداد ليخبرنى عما يفكر فيه فيما يخص الأمور . تاجر قديم اسمه يوسف كانو Yusif Kanoo .

الأربعاء ٨ سبتمبر :

حضر الشيخ فى الصباح الى المكتب . وبتواضع شديد ، قال انه اعتاد صرف حوالى ٢٠٠٠٠ روبية فى شهر ومرة ٣٠٠٠٠ روبية والآن بمراجعة حسابه فقد صرف نحو ٨٠٠٠ روبية فقط (الروبية هى شلن و٦ بنسات) وقد تم توحيد القياس مؤخرا . حضر أولاد الشيخ الذين كانوا فى المدرسة بالبصرة Basra وحاولوا عدم العودة الى المدرسة مرة أخرى وبما انه كان ضعيفا جدا ، فقد بدأ يضع الأعذار لعدم عودتهم . وسوف أحاول جاهدا منعهم من عدم العودة . كان واضحا انه من المستحسن تعليمهم .

لقد وصل البراتس The Barratts (خلفا لدالى) كان من الناس المتميزين ، وكان طويلا ورفيعا ، ومظهره مظهر رجل جرىء ، أما زوجته فكانت ممتلئة الجسم رقيقة وسريعا ما اكتشفنا انهم «مجانين» حقا . لقد اعتقدت ان دى جرونير هو دالى ، وسائق الشيخ هو الشيخ وهذا تسبب فى بعض الارتباك ، وقد اخلى سبيل دالى فى ساعتين ثم استقل اللنش الى الطراد للذهاب الى البصرة ومن ثم الى بمباى Bombay ثم ممبسا Mombasa . حضر الشيخ مبكرا للتوديع وكان متأثرا جدا ، وكعادة البلاد العربية فقد حضر عدد قليل جدا من الناس للتوديع مع انه قام بأعمال عظيمة خلال الخمس السنوات التى قضاها . وكانوا دائما متحمسين للترحيب بالقادمين الجدد ، وسريعا ما ينسون كل ما يتعلق بالآخرين حتى قبل رحيلهم .

وانتقلنا الى المنزل الجديد حيث اصبح المنزل الآخر مزدحما ، وما زال رطبا ولكننا وضعنا أسرتنا فى الشرفة . كان المنزل فاخرا حيث لم أر مثله أبدا ، كان واسعا وفاخرا من الخارج أيضا .

أنا شخصيا اعجبت بالمقيم السياسى ، ولكنه رسميا رجل متباطىء غير محتمل . هؤلاء المسنون الحكوميون الرسميون هم مصدر أذى كبير ، وهو يرنو فى تمنياته الى « قومندور وسام نجمة الهند » التى سوف يحصل عليها بدون شك . وبعد الظهر ذهبت مع باسيت Bassett فى زيارة رسمية للشيخ حمد . وكان باسيت يرتدى الزى الرسمى ومعه سيفه . وقد استقبلنا الشيخ خارج القصر وكان يلبس الخنجر . طلب بريدوكس ان يقوم باسيت بسؤال الشيخ عن رأيه فى عودة العرب الذين كانوا مبعدين . (العرب المنفيين) . حاول دالى مرارا ان يبعد عودتهم قائلا ان عودتهم سوف تؤدى الى الدمار (الخراب) ، والآن هناك تآمر جار . وقد أدرك الشيخ هذا ، فاذا سمح لهم بالعودة ، وحاول الشيخ ان يجعلنى أرد نيابة عنه ،

ولكن عندما لم أفعل أعتقد انه قد يكون أمرا مفيدا . وأنا نفسي كنت اعتقد انه جنون .

برحيل دالي وباحالة بريدوكس كمقيم سياسي أصبح هناك تطور وشيء من الغموض في علاقة بريطانيا كقوة حامية ومسئولة عن العلاقات الخارجية ومحاكم المقيمين من غير البحرينيين من جانب وحكومة البحرين كولاية مستقلة من جانب آخر . وكما وضع السير « دنيس براي » سكرتير الشئون الخارجية في الحكومة بالهند في مذكرته عن شئون الخليج عام ١٩٢٩ ، « البحرين اصبحت مفتاح حجر الزاوية في مركزنا بالخليج ... قصدنا هو اقامة الدليل . ان دولة عربية تستطيع ان تتقدم نحو خطوط الغرب تحت نفوذ حماية بريطانيا ثم ترتد الى طابعها العربي » . ذكرت المذكرة في ١٤ يناير سنة ١٩٢٩ « المقيم الجديد في البحرين قوي جدا وقد استقل وأصبح لا شأن له مع الحكومة في الهند » . بغلطة عمل عادية من موظفين متحمسين أو فترات من التغيير الخطير انتهت هذه العلاقة حتى استقلال البحرين التام الذي كان سابقا للاعلان الرسمي عام ١٩٧١ ، وتمت تصفية وضع المستشار تبعا لذلك ، وكما كتب في مذكرته بتاريخ ١٤ سبتمبر : « رغبتي ان استطيع عمل شيء جميل مع باريت الذي يبدو انه من النوع الجريء الذي لم يصادفه احد . وهو شخص طويل القامة رفيع البنية وجنتلمان انها سخافة لا تصدق » ولكن الاعتماد الأخير كان دائما على الجيش الهندي هناك في الخلفية . في اليوم التالي ، « كان يوما مشحونا بالعمل نستعد لوصول وانزال وتفريغ قوات بجابية ستبقى هنا مؤقتا . إن تنفيذ الاعدام (في ليفي سوبادار) سيكون صباح يوم الثلاثاء وهؤلاء الرجال سوف يطلقون عليه الرصاص » . وقد حدث وانتهت حياة بعد عدة شهور أو سنوات اذا استطاع للانسان ان يستعمل هذا التعبير ليتضمن العودة الى المتاعب ـ مع تباين وفوارق الأجر أو مع أصحاب المحال التجارية فوق القانون الجديد في سجل الأموات أو مصلحة الحكومة ـ يقع دائما الشغب ويوضع امام قبضة المستشار شخصيا وبكل قوته وجرأته واقدامه ورياضته في اكسفورد وشخصيته السمحة ومذاقه الحساس لكل «صغيرة» . ولكن في الأوقات العادية كان صبره وحكمته لا يرفعان صوته وتلك لمحة عن شخصيته التي جعلت منه شخصا مقبولا عند الاسرة الحاكمة والمواطنين عامة .

بعد الموافقة على مغادرته لمدة خمسة شهور عقب سنتين من العمل كتب الشيخ حمد : « هو أرضى شعبي بخدماته الجليلة التي قام بها من أجل بلدي وبخبرته العالية وسلوكه القويم . اشكره على الخدمة التي قام بها من أجل بلادي ومن أجل الرخاء الذي جلبه الى شعبي » . وليس طويلا بعد هذه المغادرة ان ولد له ابن في منزل بالمحرق .

٢٢ ابريل عام ١٩٢٩ :

بدأت الولادة في الساعة الواحدة ليلا . ذهبت بسيارة لاحضار الطبيب دكتور روتشافير ، ثم محكمة في الصباح قمت بها وحدي لأن الشيخ سلمان لم يحضر وبقيت بالمكتب حتى أرسلوا لي ان الطفل قد تمت ولادته .

لقد كان دائما ينقص مارجوري شيء والآن اصبح كل من بلجريف ومارجوري والطفل سعداء . أحضر له الشيخ سلمان خروفين كبيرين ذبحا وتم توزيعهما على الجيران . هذا يحدث دائما ، ولو كانت بنتا لذبح خروف واحد فقط . المرضة اصابتها

الدوسنتاريا ! ماجليز ـ كل واحد يسأل عن « حمد » وكلهم مسرورون بالاسم .

المستشار له يد فى كل شيء وهنا الكثيرون يعتقدون انه جمع كثيرا من قوة السلطة فى يديه . ولكن يتضح من المذكرة وكذلك من جميع الأحداث التى جمعت ممن كانوا بالقرب من الأمور فى ذلك الوقت ومن الخطابات ، انه أدى عمله كشخص عليم مطلع وكان « مساعدا لا حاكما » . أما السلطة من أجل تقدم الحكومة فجاءت من الشيخ حمد .

المستشار لم يصدر أى أمر أو قانون ، ذلك كان يجرى فقط بواسطة الحاكم بعد استشارة قادة الشعب ولم يقم المستشار بأى تعيين ، أو يصرف روبية الا ما هو مخصص أو بكتاب من السلطة الحاكمة .

هما معا كانا فريقا فعالا له اثر جميل ، وبمرور الوقت ، انتهت السنوات العشر الأولى ووضعت الأسس لمعظم ملامح البحرين الطبيعية والاجتماعية التى هى سائدة الآن .

فى عام ١٩٣٧ كتب بلجريف فيما اتضح من حسابات وكيل الخراج ، « خلال العشر السنوات الأخير التغيرات والاصلاحات . التى أنجزت بواسطة الشيخ حمد عندما تولى السلطة بعد والده اصبحت ثابتة ، فى دول الخليج الأخرى ، تعتبر البحرين أكثر تقدما والرغبة فى التقدم نابعة من الشعب نفسه ، ولم يكن هناك اجبار عليهم من الحكومة . البحرين الآن من أكبر ١٢ دولة فى العالم منتجة للبترول علاوة على انها ذات قاعدة بحرية وموقع للخطوط الجوية .

التغيير المفاجيء من فقر الى وفرة يخلق المشاكل وحالات غالبا ما تكون صعبة التعامل معها . ثم تلك النتائج من الاحتياج الى الاقتصاد .

فترة من الرخاء العظيم زودت بالبترول لا تجف وتظهر الآن نابضة ... ولكن يجب تذكر ان الشيء الكثير الذى تحقق فى البحرين مثل قوة الكهرباء ، والطرق البحرية ، والممرات ، والمدارس ، والشئون البلدية وجدت قبل زمن البترول .

كيف كانت البحرين منذ ١٠٠٠ عام ؟

البحرين عند الجغرافيين والمؤرخين العرب

من القرن التاسع الميلادي حتى ابن بطوطه

من دراستنا لكتب الجغرافيين والمؤرخين العرب في الفترة ما بين القرن التاسع والرابع عشر الميلادي نستشف ان البحرين وجزيرة أوال على وجه الخصوص لم تسترع انتباههم كثيرا . ويمكن القول بأن هذه الفترة التى تمتد على مدى ستة قرون لا تشكل الا قسما متواضعا من البحوث التى كرست لمعالجة تاريخ وجغرافية هذا الجزء من العالم والتي كتبت في العصر الحديث . وفي الحقيقة فان هذه الابحاث العامة التي كتب معظمها مؤرخون أوربيون لم تبدأ قبل القرن السادس عشر . ان ابحاث بعض المؤرخين الاوروبيين قد تتطرق الى تاريخ البحرين في الفترة التى هي موضوع بحثنا ولكن على شكل مقدمة بسيطة دون ان تستوفى حقها من الدراسة .



بقلم : الدكتور
علي الدوي ـ البحرين

ان جل اعتمادنا في بحثنا هذا كان على كتب الجغرافيين والمؤرخين العرب على ضآلة ما كتب عن البحرين في تلك المؤلفات وقد واجهنا عقبات في سبيل ذلك لا بد من ذكرها .

أولا : لم يكن الخليج العربي وخاصة البحرين في تلك الحقبة مركزا من مراكز الثقل في العالم الاسلامي خاصة ، ما عدا مدينة البصرة التي استحوذت على اهتمام معظم الجغرافيين والمؤرخين العرب والمسلمين حينذاك لعدم وجود عمان والبحرين وكرمان وفارس على محور انتشار الحضارة الاسلامية التى انطلقت من المدينة المنورة باتجاه دمشق لتبلغ ذروتها في بغداد .

لقد ذكروا في مؤلفاتهم اشارات هامشية عن البحرين وقد يكون السبب ايضا لكون البحرين تابعة حينا الى اقليم اليمامة اداريا وحينا الى عمان . وحتى عندما يكتب هؤلاء المؤرخون عن شبه الجزيرة العربية لا تشغل

البحـرين وهي جزء سـاحلي شـرقي لشبه الجزيرة مضافا اليه جزيرة أوال . أقول لا تشغل الا عددا قليلا من صفحات كتبهم .
ثانيا : ان الكثيرين من الجغرافيين العرب والمسلمين الذين كتبوا عن الخليج العربي ، الذى يشكل منطقة جغرافية مميزة ، وهـو مكـون من جميـع الاراضي السـاحليـة المتواجدة في شرقي الجزيرة العربية وغرب فارس القديمة ، والبحرين جزء منه ، ليسوا من أبناء الخليج وانما قدموا اليه كسـواح ورجـال اعمال ومسـافرين وخـرجوا منـه بانطباع متناقض وغير علمي ومتحامـل في بعض الأحيان ، ومنهم من لم يزر الخليـج بـالمرة وكتب عنـه بصـورة غـير مبـاشـرة كالادريسي مثلا في نزهة المشتاق .
ثالثا : كثرة الالتباس والخلط في أسماء المدن والبلدان والاقاليم . فـاسم البحرين يطلق تارة على مدينـة[1] وتارة أخـرى على جـزيرة حيث يصبـح من الصعب البت في مـدلول الاسم الواحـد . ونفس الالتبـاس ينتقل من مؤلف الى آخر كما هو الحال عند ابن حوقل والاصطخري .
بل نجد أحيانا ان مدينة البحرين يقصد بها مدينة وحدها كما هـو الحال عنـد ابن بطوطة واحيانا يقصد بها مدينة هجر كما هو الحال عند ابن الفقيه حيق يقول :
« قال ابوعبيدة بين البحـرين واليمامـة مسيرة عشرة ايام وبين هجر مدينة البحرين وبين البصرة مسيرة خمسة عشر يوما على الابـل وهي الخط والقـطيف والآرة وهجـر والبينونة والزارة وجواثا والسابور ودارين والغـابـة وقصبـة هجـر الصفـا والمشقـر والشبعان والمسجد الجامع في المشقر وبين الصفا والمشقر نهر يجري يقال له العين ، ومن قرى البحرين الحوس والكثيب الاكبر والكثيب الاصغـر وأرض نـوح وذو النـار والمـالحـة والذرائب والبـدى والخـرصـان والسهلة والحـوجـر والوجـير والطربـال والمنسلخ والمرزي والمطلع والشط والقرحاء والرميلة والبحرة والرجراجة والعرجة فهذه من قـرى بني محارب بن عمـرو بن وديعة وقرى بني عامـر بن الحارث بن انمـار بن عمرو بن وديعة أضعاف هذه[2] .
أما ياقوت الرومي فيذكر ان اسم أوال القديم هو (ترم) وانها تقع على مسيرة يوم من الساحل وانها كانت من الجزائر المأهولة بالسكان عند ظهور الاسلام وارضها خصبة على العموم ومياهها وفيرة وتعتمد على المياه الجوفية . وكان في الجزيرة في صدر الاسلام مدينة كبيرة حسنة لها جامـع وفيها بعض القرى (كالجفير) في الشمال الشرقي وقرية (ستـرة) وهي اليـوم ـ والكـلام لا يـزال لياقوت ـ جزيرة تقع شرقي جـزيرة أوال ، وهي غنيـة بالآبـار والعيون وبهـا كثير من أشجار النخيل .
أمـا الادريسي فيذكـر في كتابـه نـزهـة المشتـاق بـأن جـزيـرة أوال وعـاصمتهـا البحرين ، والبحرين مدينة مأهولة بالسكان وتقـع في منـطقـة خصبـة تنتـج الحبـوب والتمور . وتوجد فيها العيون الكثيرة حيث الميـاه الرقـراقـة ومن تلك العيـون : عـين ابوزيدان وعين غدير اللتان تقعات في وسط البلد[3] .
هذا ويضيـف ابوالفداء في كتابـه تقويم البلدان الى ما تقدم من تعريفات للبحـرين قوله بأن البحرين تقع على شاطىء الخليج (الفـارسي) العـربي وهـو مـوطن مـذهب القرامطة . حيث يوجد العديد من القرى . وتسمى البحرين ايضا هجر واقاصيها تقع في الشمـال الشرقي وذلك طبقـا لدرجـات الطول والعـرض المشار اليهـا . وقد ذكـر مؤلف كتاب المشترك نقلا عن الازهري بأن مدينة هجر كانت تدعى البحرين . ويـطلق عليهـا البحـرين بسبب وجـود بحيـرة في

الاحساء من جهة ووجود البحر من جهة ثانية[٤] .

اسم البحرين

وقبل ان نستمر في بحثنا هذا لا بد لنا من معرفة الفترة التي اطلق فيها اسم البحرين على جزيرة أوال . ومن المرجح ان ذلك حدث عند سقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ الموافق ١٢٥٨م حيث كانت لجزيرة أوال علاقات مع كل من جزيرة قيس وامارة هرمز طبقا لطبيعة الصراع بين الخلافة العباسية والخوارزميين والمغول وبعض الاتابكيان وقد أطلق في هذه الفترة على جزيرة أوال والجزر التى حولها اسم (البحرين) [٥] .

هذه مقدمة بسيطة لا بد من قولها للدخول الى الموضوع فلنبدأ بالجغرافيا ، والجغرافيا هي حاضنة التاريخ :

يبلغ طول الخليج العربي ١٤٠٠ ميل وعرضه ٥٠٠ ميل . واحيانا يصل عرضه بين شاطئيه الى ١٥٠ ميلا فقط . وذلك كما ورد في كتاب سليمان التاجر في الهند والصين .

ويؤلف شكل الخليج . على وجه العموم مثلثا قمته تبدأ في الأبلة .[٦] . وتقع جزيرة أوال على بعد ١٤ ميلا من شاطىء شبه الجزيرة العربية الشرقي .

ويحد الساحل الغربي من هذا المثلث شط العرب . بينما ينتمي الساحل الشرقي لفارس حيث يوجد دورق الفرس[٧] .

وتوجد بعض الجزر في هذا الخليج وتشكل خطرا على السفن الزائدة الحمولة التى تمر فيه . وتدعى احدى تلك الجزر جنابه . وكذلك توجد جزر أخرى كالبحرين وقيس وهرمز . ومن جهة اخرى ، يبلغ طول المسافة الصالحة للملاحة بين عمان وسيراف ١٦٠ فرسخا وبين سيراف والبصرة ٤٦ فرسخا تقريبا[٨] . ان الملاحة في الخليج العربي خطرة ، فهناك الكثير من الدوامات والعواصف التي تغرق السفن المارة فيه على حد قول ابن خرداذبة .

وقد ذكر الدكتور فيليب حتي في كتابه تاريخ العرب المطول بأن الارض البحرية التى ذكرت في النقوش الأسفينية من الأغوار الواقعة شمال الخليج. غير ان هناك نظرية جديدة تجعلها جزءا من الجزيرة العربية نفسها . وتشمل شواطىء الخليج الغربية حتى جزيرة البحرين (ديلمون قديما)[٩] .

وفيما يتعلق بالجغرافية السياسية لهذا الخليج ، يجب القول بأن الخليج العربي يشكل كيانا اداريا متميزا بين الاقاليم الخمسة التي تتألف منها الدولة الاموية . في الحقيقة ، ان فارس وعمان والبحرين وكرمان شكلت اقليما تحت سلطة والي الكوفة . وكان يمتد نفوذه ايضا على مناطق خوزستان . وكانت البحرين وعمان تخضعان بصورة خاصة الى والي البصرة الذى كان يعين والي الكوفة[١٠] .

ومقدار ما تبعث به البحرين الى خزينة الدولة الاسلامية كان من موارد الدخل الرئيسية في تلك الدولة . فقد ذكر الدكتور فيليب حتي بأن موارد الدخل الرئيسية في الدولة الاسلامية في أول عهدها كانت تتألف من :

١ ـ مواسم الحج في الحجاز .
٢ ـ غاصات اللؤلؤ في عمان وخليج العجم ولا سيما البحرين
٣ ـ مغاصات الملح في بعض البقاع .
٤ ـ تربية الجمال[١١] .

هذا وهناك خبر أورده الدكتور شكرى فيصل في كتابه حركة الفتح الاسلامي في القرن الاول يدل على ان ما يأتي من البحرين الى خزانة الدولة في المدينة المنورة له اهميته ومفاد الخبر انه أتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه عامله على البحرين ومعه خمسمائة

الف درهم فقام يخطب في الناس ويقول « انه قدم علينا مال كثير فان شئتم ان نعد لكم عدا وان شئتم نكيله لكم كيلا »[١٢] .

وكان دخل البحرين واليمامة كما أورده قدامة في كتاب الخراج ٥١٠,٠٠٠ درهم[١٣] .

أما من الناحية الادارية فقد كانت البحرين تابعة للبصرة وكانت الاقسام الادارية في الدولتين الاموية والعباسية تشابه الاقسام في امبراطوريتي فارس وبيزنطة وقد شملت :

١ ـ سورية وفلسطين .
٢ ـ الكوفة وما يليها .
٣ ـ البصرة وما يليها من فارس وسجستان وخراسان والبحرين وعمان وربما أضيفت الى هذه المنطقة نجد واليمامة .
٤ ـ ارمينية .
٥ ـ الحجاز .
٦ ـ كرمان والمقاطعات الهندية الواقعة على الحدود .
٧ ـ مصر .
٨ ـ افريقيا .
٩ ـ اليمن وانحاء الجنوب من الجزيرة[١٤] .

تاريخ البحرين

تذكر التقاليد العربية ان بعض القبائل العربية قد ضلت طريقها في البحرين مثل قبيلة الازد القحطانية ، حيث ذهب بعضهم ايضا الى عمان والتحق البعض الآخر بتجمع تنوخ الذى شكل في البحرين . ومن بين من هاجر الى البحرين ايضا بعض القبائل العدنانية مثل تميم وبكر وتغلب ، وكانت القبيلتان الاخيرتان تدينان بالنصرانية أيام النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، هذا وأصبحت قبيلة عبدالقيس العدنانية هي السائدة بين السكان .

وقد خضعت البحرين للفرس الساسانيين ابتداء من اردشير الاول عندما عين عليها مرزبانا ، وكان ذلك في نفس الفترة التى اتجه فيها العلاء بن الحضرمي شرقا لدعوة أهل البحرين الى الاسلام .

ظهور الاسلام

في السنة الثامنة للهجرة الموافق ٦٣٠م قدم البحرين الصحابي العلاء بن الحضرمي حاملا رسالة من الرسول صلى الله عليه وسلم الى والي البحرين المنذر بن ساوي التميمي ، يدعو فيها أهل البحرين الى الاسلام ، وكانت البحرين في ذلك الوقت خاضعة للخميين المناذرة الذين كانوا تحت سيطرة الفرس الساسانيين . وكانت توجد في تلك الفترة اسقفيات نسطورية للمسيحيين في منطقة الخليج وكانت توجد واحدة منها في البحرين ، ولم تكن المسيحية ديانة أهل البحرين قبل الاسلام ولم يخبرنا التاريخ عن الديانة السائدة في البحرين قبل الاسلام . وقد أسلم الكثير من العرب والفرس الذين كانوا في البحرين وأخذت الجزية من النصارى واليهود ، وهكذا ومنذ ذلك التاريخ اتخذت البحرين من الاسلام دينا لها . ثم بعد ذلك بفترة وجيزة جدا بدأت البحرين تمر بفترة من الاضطرابات كان أولها ظهور بعض المرتدين بين قبائلها ، وأثناء معركة الردة التى دارت بين المسلمين والمرتدين فيها ، اتخذ المسلمون مدينة جواثا قاعدة لهم حيث اعتصموا بحصنها الذى يحمل نفس الاسم وانتهت المعركة بانتصار المسلمين بقيادة العلاء بن الحضرمي والجدير بالذكر ان جواثا تقع بالاحساء وكانت الاحساء جزءا من البحرين . حيث كانت الاخيرة تشمل أوال والقطيف والاحساء .

وعندما بدأت الفتوحات الاسلامية في عهد عمر بن الخطاب فقد توجهت حملة من البصرة والكوفة واحتلت خوزستان (عيلام القديمة) وهي سوزيانا من بعد وعربستان اليوم سنة ٦٤٠م وتوطدت قدم المسلمين في البحرين[١٥] . وأصبحت لهم مقرا ثالثا بعد البصرة والكوفة ، واخذوا يتربصون الفرصة وهم فيها للغارة على ايران ثم ما لبثوا ان جردوا منها حملة على اقليم فارس (فارس أي ، الوطن الفارسي الصميم) على شاطىء الخليج الشرقي .

الخوارج

وعندما خرجت فرقة من جيش الامام علي كرم الله وجهه في معركة صفين سنة ٣٧هـ لقبوله التحكيم في حربه مع معاوية بن ابي سفيان ، تواجدت هذه الفرقة أو بعضها في البحرين وهم ينتمون الى بني تميم وقد تم اخراجهم منها على يد بني عبدالقيس .

الزنج :

أما حركة العصيان أو المعارضة الثانية التي قامت في البحرين فقد قام بها الزنج سنة ٢٥٤هـ الموافق ٨٦٨م ضد الخلافة في بغداد ، وقد طرد بنو عبدالقيس زعيم الزنج علي بن محمد بن عبدالرحيم من البحرين بل واكثر من ذلك زود بنو عبدالقيس جيش الخلافة العباسية بالرجال والسلاح الامر الذي مكن هذا الجيش من التغلب على الزنج في معركة « المختارة » سنة ٢٧٠هـ الموافق ٨٨٠م ، وهكذا ترى ان قبيلة بني عبدالقيس ظلت على ولائها للخلافة الاسلامية في عصر الراشدين والامويين والعباسيين حتى تغلب القرامطة على تلك القبيلة .

القرامطة

شهد العقد التاسع من القرن الثالث الهجري ، الموافق للقرن التاسع الميلادي ظهور حركة القرامطة في جنوب العراق واخذوا ينشرون تعاليمهم في منطقة البحرين . وكان رئيسهم ابوالحسن بن بهرام الجنابي ، نسبة الى جنابة الواقعة على الساحل الفارسي من الخليج . مسئولا عن الحركة القرمطية في البحرين . وقد استطاع ابوسعيد الجنابي سنة ٢٩٤هـ أن يؤسس دولة تمتد من البصرة حتى عمان ، واستمرت مدة قرنين من الزمان . وفي عهده سنة ٩٠٣م استولى القرامطة على مدينة هجر الامر الذى حدا بالكثير من سكانها الى النزوح الى جزيرة أوال . واستطاع ابوالبهلول سنة ١٠٥٨م وهو من زعماء البحرين أن يثور ضد القرامطة وينصب نفسه أميرا على البحرين بعد ان هزم جيش القرامطة وطلب العون من خليفة بغداد . ولكن سرعان ما طرد من البحرين من قبل حاكم القطيف يحيى بن عباس . وبعد وفاة يحيى بن عباس استمر النزاع بين خلفائه وعبدالله العيوني الذى تولى الحكم بعد القرامطة في الاحساء . وبسبب الضرائب الباهظة التي فرضها القرامطة على الحجاج والاملاك والاراضي . والضرائب الجمركية التي استحصلوها من أرباب السفن المارة بسواحل البحرين والبصرة وسيراف فقد زادت موارد الدولة زيادة كبيرة نتيجة لذلك وقد بلغ دخل الدولة السنوي من هذه الضرائب حوالي مليون دينار .

هذا ونتيجة لهذه الثروة استطاع القرامطة اعداد جيش قوى سبب موجة من الفوضى في الجزيرة العربية والعراق استمرت حتى سنة ٤٦٩هـ الموافق ١٠٧٦م شارك فيها العرب والاتراك السلاجقة .

العيونيون :

وفي غمرة الفوضى والاضطراب ، استطاع عبدالله العيوني ، وهو من بني عبدالقيس ان يؤسس دولة في البحرين

استمرت حوالى قرن ونصف من الزمان ، وانتهى حكم العيونيين حوالى منتصف القرن السابع الهجري على اثر ثورة قام بها بنو عامر حيث اسقطوا دولة العيونيين وقضوا على نفوذ بني عبدالقيس في اقليم البحرين . وقد أدت هذه الاحداث الى انفصال الاحساء والقطيف عن أوال . عند ذلك انتهز حكام جزيرة قيس هذه الفرصة ففرضوا حمايتهم على جزيرة أوال . وكان نتيجة هذه الحماية ان اتصلت البحرين بالدولة الزنكية المغولية . وقد استمرت هذه الحماية لمدة ١٨ عاما وبعد ذلك بمدة تأسست في البحرين دولة جديدة على يد أسرة عربية الا وهي سلالة العصفوريين ، وهم ينتسبون الى عقيل بن عامر بن ربيعة ، ومن المرجح ان هذه السلالة قد استمرت قرابة القرن والنصف ، وفي القرن الثامن الهجري ـ الرابع عشر ميلادي ، اصبحت تابعة لامارة هرمز وذلك عندما قام الامير الهرمزي (تهمتن الثاني) بضم البحرين الى ولايته حوالى سنة ٧٢٠هـ وهنا يظهر اسم المنامة ربما للمرة الاولى . ونستنتج مما تقدم ان جزيرة أوال وما جاورها من الجزر أو ما يطلق عليه البحرين اليوم كانت على مر العصور قديما ووسيطا وحديثا مرتبطة ارتباطا وثيقا بشبه الجزيرة العربية وان خضعت في حقب متباعدة من التاريخ للساحل الفارسي من الخليج او لبعض الجزر القريبة من ذلك الساحل .

منتجات البحرين

يقول ابن خرداذبة وهو من جغرافيي القرن التاسع الميلادي بأن أهل البحرين لا توجد لديهم حقول مزروعة في ذلك الوقت وكل ما لديهم من الزراعة كان بعض مزارع النخيل ثم أضاف الجمال . الا انه من الثابت ان اقليم البحرين الذى يتألف من الاحساء والقطيف وجزيرة أوال تنتشر فيه قديما وحديثا عدة انواع من المزروعات مثل : العنب والتين والرمان والمشمش والليمون والبرتقال والتفاح والخوخ والتوت والنبق والبطيخ والباذنجان والبامية والطماطم والسمسم والشلقم والبصل والثوم والرز والقمح والبطاطا[١٦] .. هذا وصيد اللؤلؤ معروف في الخليج منذ القديم ويذكر الرحالة الفارسي المعروف ناصري خسرو في كتابه (سفرنامة) بأن نصف مدخول البحرين من استخراج اللؤلؤ يذهب الى حكام الاحساء . وقد وصف الرحالة الادريسي عملية استخراج اللؤلؤ وصفا مفصلا في كتابه نزهة المشتاق[١٧] . وكانت البحرين كما يذكر ناصري خسرو ايضا تنسشج انواعا من الفوط والورق تصدرها للبصرة وغيرها من الاقاليم[١٨] . التى لها علاقات اقتصادية مع البحرين .

الخلاصة

يذكر أحمد العوامرى ومحمد أحمد جاد المولي فى مقدمة مهذب رحلة ابن بطوطة بأن الرحلات كانت في أول أمرها رسمية لايجاد الصلة والتعاون بين أمراء البلاد وحكامها ، لهذا لم يتجاوز الجوابون حدود البلاد الاسلامية الى غيرها . فكانوا في كل ما كتبوه لا يعدون وصف ما شاهدوه في بلاد المسلمين . وهذا ما جعل رحلاتهم ضيقة النطاق ذات فائدة محدودة . ولكن التجار المسلمين وغير المسلمين اجتازوا حدود البلاد الاسلامية الى ما تاخمها من الممالك الاجنبية يطلبون ما فيها من عروض التجارة ، وابتغاء للرزق بالضرب في الارض . وبالرحلات الرسمية والتجارية درست أحوال البلاد الاسلامية وما يجاورها من الممالك ، ولكن التجار لم يكونوا يتحرون الصدق فيما ينقلون من الاخبار والبسوا جل حكاياتهم واخبارهم ثوبا من الخيال جعلها

سائغة مقبولة وان بعدت عن الحقيقة . هذا وهناك عدا ما تقدم من الاسباب السياسية والتجارية سبب ثالث الا وهو اداء فريضة الحج فقد وصف الحجاج المسلمون ما شاهدوه وهم في طريقهم الى الحج ومن هؤلاء ابن جبير الاندلسي وابن سعيد المغربي(١٩) .

ومع ذلك فان ما كتبه الجغرافيون والمؤرخون العرب والمسلمون عن البحرين في العصر الوسيط عمل موضوعي بحد ذاته وان لم يبلغ الخاصية التى يتمتع بها العلم الحديث ، إن سلوك هؤلاء الجغرافيين والمؤرخين له ما يبرره ، حيث ان جهودهم قد بذلت قبل بدء التطبيق العملى فى مجال العلم الحديث ، ويجب الا ننسى هنا ان اعمال هؤلاء المؤرخين لا تخلو من المبالغة وتبدو أحيانا غير مطابقة للواقع وعندما يكتبون عن المدن أو الجزر أو المنتجات الزراعية ، يصفونها كما يتصورونها هم أنفسهم وحسب ميولهم الشخصية قبل قرابة الف سنة .

الهـــوامش

(١) رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ص ١٨٦ ، حيث يذكر مدينة البحرين فيقول «ثم سافرنا من سيراف الى مدينة البحرين ، وهي مدينة حسنة ، ذات بساتين واشجار وانهار ، وماؤها قريب المؤنة يحفر عليه بالايدي فيوجد وبها حدائق النخل والرمان والاترنج ويزرع بها القطن .

وهي شديدة الحر ، كثيرة الرمال ، وربما غلب الرمل على بعض منازلها ، وكان فيما بينها وبين عمان طريق استولت عليه الرمال وانقطع ، فلا يوصل من عمان اليها الا في البحر ، وبالقرب منها جبلان عظيمان يسمى احدهما بكسير وهو في غربها ، ويسمى الاخر بعوير وهو في شرقها ، وبها ضرب المثل فقيل : كسير وعوير ، وكل على خير . ثم سافرنا منها الى مدينة هجر وبها من النخيل ما ليس ببلد سواها ، ومنه يعلفون دوابهم . واهلها عرب واكثرهم من قبيلة عبدالقيس بن قصى .

(٢) ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ص ٣٠ ـ ٣١

(٣) الادريسي ، نزهة المشتاق ص ٣٧٣

(٤) ابو الفداء ، تقويم البلدان ص ١٣٥ ـ ١٣٨

(٥) الوثيقة العدد الثاني ص ١٧٨

(٦) Sulayman, Marchand arabe, Sulayman en Inde et en Chine p.26

(٧) Ibid

(٨) Ibn Hurdadhah, Kitab al-Masalik wa-l-Mamalik, p. 30-48

(٩) د. فيليب حتي ، تاريخ العرب المطول ص ٤٤ الجزء الاول

(١٠) ابن حوقل ، صورة الارض ص ٢٥٦

(١١) فيليب حتي ، تاريخ العرب المطول الجزء الاول ص ٢٧

(١٢) الدكتور شكرى فيصل ، حركة الفتح الاسلامي في القرن الاول ص ٣٠٥

(١٣) قدامة ، كتاب الخراج ص ٢٤٩ ـ ٢٥١

(١٤) الدكتور فيليب حتي ، تاريخ العرب المطول ص ٢٩١ .

(١٥) ذكر الدكتور شكري فيصل في كتابه «حركة الفتح الاسلامي في القرن الاول ص ١٩٤ ان الفتوحات في الجانب الشرقي من الامبراطورية الاسلامية كانت تنطلق من وجهين اثنين : الكوفة والبصرة ، ومن وجه ثالث على الامبراطورية الساسانية من طرفها الجنوبي على الشاطىء الشرقي للخليج العربي وهو البحرين .

(١٦) عبدالقادر الاحسائي ، تاريخ الاحساء ص ٥٢

(١٧) الادريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ص ٣٧٤

(١٨) ناصري خسرو ، سفرنامة ص ٢٢٨

(١٩) رحلة ابن بطوطة ، المسماة تحفة الانظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ص ٩

مصادر البحث

١ ـ ابوالفداء تقويم البلدان

٢ ـ ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار

٣ ـ ابن الفقيه مختصر كتاب البلدان

٤ ـ ابن حوقل ، كتاب صورة الارض

٥ ـ ابن خرداذبة ، كتاب المسالك والممالك .

٦ ـ الادريسي ، كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق .

٧ ـ الاصطخرى ، كتاب المسالك والممالك .

٨ ـ المسعودي ، مروج الذهب .

٩ ـ ناصري خسرو ، سفرنامة

١٠ـ قدامة بن جعفر ، كتاب الخراج .

١١ـ فيليب حتي ، تاريخ العرب المطول .

١٢ـ شكري فيصل ، حركة الفتح الاسلامي في القرن الاول .

١٣ـ الوثيقة ، يصدرها مركز الوثائق التاريخية بدولة البحرين .

١٤ـ «انجيلا كلارك» **THE ISLANDS OF BAHRAIN ANGELA CLARKE**

15- Ali A-DOY, "Les pays du Golfe Arabe (Persique) chez les geographes Arabes jusqu'a Ibn Battuta".

أسماء ولاة البحرين

أيام الراشدين والأمويين والعباسيين

كما أوردهم الطبري في كتابه

العلاء بن الحضرمي السنة ١٣هـ
وعلى اليمامة والبحرين عثمان بن أبي العاص وقبل العلاء بن الحضرمي السنة ١٤هـ .
عثمان بن ابي العاص السنة ١٥هـ
العلاء بن الحضرمي السنة ١٦هـ
عثمان بن ابي العاص السنة ١٧هـ
عثمان بن ابي العاص السنة ١٨هـ
عثمان بن ابي العاص السنة ١٩هـ
عثمان بن ابي العاص السنة ٢٠هـ
عثمان بن ابي العاص السنة ٢١هـ
عثمان بن ابي العاص السنة ٢٢هـ
عثمان بن ابي العاص الثقفي السنة ٢٣هـ
سليمان بن على السنة ١٣٢هـ
محمد بن سليمان السنة ١٦٠هـ
محمد بن سليمان السنة ١٦٣هـ
صالح بن داود بن على السنة ١٦٤هـ
المعلا مولى الخليفة المهدي السنة ١٦٥هـ
سويد بن ابي سويد السنة ١٦٩هـ
محمد بن سليمان السنة ١٧٠هـ
موسى بن بغا السنة ٢٦١هـ

شركة الهند الشرقية

في خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر كان الهولنديون أحد الاطراف الاوربية الرئيسية التجارية في الخليج كما انهم كانوا قوة اوربية رئيسية في المنطقة وطبقا للقانون الهولندى كانت ممارسة التجارة بين هولندا وبلدان المحيط الهندي بما فيها الخليج مقصورة على شركة متحدة لشرق الهند (في اوسي) وهي شركة تأسست ببراءة التأسيس في سنة ١٦٠٢م وكان لها مكتب في بندر عباس منذ ١٦٢٣م.. لقد ضاع معظم الارشيفات الهولندية المتعلقة بمؤسساتها في الخليج ولم يبق الا قليل منها في المكتب الرئيسى للشركة الاسيوية (الحاكم العام والمجلس في باتافيا أو حكومة باتافيا العليا) وهي الان متواجدة في الارشيفات الوطنية في اندونيسيا.. لكن جزءا هاما منها عبارة عن وثائق لجنة مدراء الشركة يتواجد في هولندا وطولها على الدواليب يمتد الى ميلين وتتضمن المراسلات بين المدراء والحكومة العليا التقارير والوثائق المتنوعة الموجهة الى باتافيا (١) رغم ذلك فقد ضاعت بعض الوثائق الهامة كمذكرة هيوبرت كوسترس التى تضمنت تقريرا سياسيا واقتصاديا حول البحرين وكان هيوبرت اول ممثل للشركة وقد وصل الى المنطقة في سنة ١٦٤٣ واحتفظ بمذكراته حينما حاول الهولنديون ممارسة صيد اللآلىء في منطقة البحرين حوالى سنة ١٦٩٠م. الا اننا وجدنا اكثر من ١٠٠ وثيقة كل واحدة منها تتكون من ٥٠٠ الى ٢٠٠٠ صفحة للتقارير من آسيا للجنة المدراء مع انها تشير الى البحرين باختصار للغاية.

الهولندية.. والبحرين

بقلم ـ ب.ج سلوت ـ هولندا

ويتناول هذا التقرير موضوع الربط بين هولندا والبحرين كما ورد في الارشيفات الهولندية الوطنية. ان جزءا منها يعالج موضوع المحاولات الهولندية لكسب سهم في تجارة لؤلؤ البحرين وجزءا اخر يتعلق بتورط هولندا بالشئون العسكرية والسياسية في الجزيرة. وقد نشر أخيرا مقال للمستر دبليو ـ فلور حول مصالح هولندا في تجارة اللؤلؤ في البحرين. ان المقال لا يركز على تجارة اللؤلؤ والبحرين بل اصلا يتضمن معلومات قيمة عن علاقات هولندا مع البحرين (٢) واقدم مصدر هولندي جاء فيه ذكر البحرين مختصرا هو كتاب لـ جان هيجن فان لنشوتن طبع في سنة ١٥٩٨م. ويمكن وصف هذا الكتاب كتقرير لجاسوس استخدمه الهولنديون عندما سافروا الى اسيا وانشأوا امبراطورية تجارية في المنطقة التي كانت تحت سيطرة البرتغاليين (٣).

وبصفتهم اعداء البرتغاليين وجه الفرس دعوة للهولنديين الى الدخول الى الخليج حيث استقروا في بندر عباس عقب مغادرة الانجليز لها وسماها الهولنديون جمبرون ويبدو بانه بعد طرد البرتغاليين من هرمز ازدهرت بندر عباس بسرعة حتى اجتذبت تجارة اللؤلؤ ايضا الى هناك ونظرا لحرص الهولنديين لكسب اكبر نصيب ممكن من اي نوع من التجارة فقد بذلوا اهتمامهم بتجارة اللؤلؤ ايضا.. وحصلوا على معلومات أولية بشأنها من تاجر من البندقية. في القرن السابع عشر كان البندقيون واليهود من حلب والهنود من كجرات من اكبر مصدري اللؤلؤ.. واشترى المدير الهولندي اوفرشي كمية من اللآلىء من بندر عباس بأسعار غالية فوجد انها كانت صفقة غير مربحة ولم يكن لها طلب في اسواق اوربا بتلك الاثمان (٤)

ان تجارة اللؤلؤ التى كانت مصدرا هاما لثراء شاه ايران اصبحت لغزا لدى الهولنديين الذين كانوا حريصين على معرفة أسرار هذه التجارة. في ذلك الوقت عندما حصل الوئام بين شاه ايران والبرتغاليين في أواخر سنة الف وستمائة والثلاثينات(ويرجع سبب هذا الوئام الى مخاوفه من القراصنة الذين اصبحوا قوة جبارة بعد أن أحتل العرب جلفار بالقرب من رأس الخيمة) وتدهورت العلاقات بين الهولنديين والفرس واعتقد الهولنديون بان أحد الطرق لالحاق الاضرار بالفرس كان حصار البحرين (٥) ولكن انخفضت اهمية بندر عباس ونقلت تجارة اللؤلؤ الى بندر كنغ حيث كان

البرتغاليون فحسب من بين الاوربيين قد أسسوا مؤسسة لهم. في سنة ١٦٤٣م حاول الهولنديون الكشف عن «أسرار تجارة اللؤلؤ» وبعثوا بممثل لهم هو «هوبرت كوسترس» الى كل من كنغ والبحرين ليبرم بعض الصفقات التجارية بشأن اللآلىء ويقوم بشراء بعض الكميات منها ولم تكن هذه التجربة ناجحة لانه تعرض اولا لنهب أمواله على يد قرصان من قطر لكن هذا القرصان كان رجلا لطيفا ولما عرف بأن فريسته كان هولنديا ارجع اليه معظم ما نهب منه ولكن كانت التجربة التجارية أسوأ من تجربة النهب ونتائجها لم تكن مرضية.. والنتيجة الوحيدة لهذه المهمة التي يمكن استنتاجها اليوم هي أن تاريخ العلاقات الهولندية البحرينية يرجع الى ٣٤٠ سنة (٦).

بعد عشر سنوات من ذلك حاول الهولنديون مرة اخرى ولو بصورة غير جدية وضع خطط للمساهمة في تجارة اللؤلؤ في الخليج.. دارت مناقشات حول ارسال ممثل لهم لكل من جلفار والبحرين ولكن لم تنفذ الخطة (٧).

وضعت الخطة مرة ثانية في سنة ١٦٦٥ وبعثت الشركة بأحد موظفيها وليم بوزيم الى كنغ لشراء اللآلىء بصفته خبيرا في اللؤلؤ لكن الزيارة كانت فاشلة.. ففكرت الشركة في ارساله الى البحرين ولكن غيرت رأيها وارسلت تاجرا هنديا محله. لم تكن النتائج سارة بعد. وتجاهل الهولنديون موضوع اللؤلؤ لعدة سنوات (٨) ولم يكن هذا التجاهل للؤلؤ أمرا صعبا لهم لأنهم كانوا قد احتلوا مصائد اللؤلؤ في كل من سيلان وجنوب الهند قبل بضع سنوات وكانت اللآلىء من تلك المصائد اكثر قبولا في الاسواق الاوربية على الرغم من ان لمعانها لم يدم طويلا ولكنها كانت اكثر بياضا من لآلىء الخليج (٩).

شهدت اسواق اللؤلؤ في اوربا ازدهارا متجددا بينما واجهت ايران أزمة مالية مما جعلها مدينة لهولندا لمشترياتها من بضائع هولندا وأدت هذه العوامل الى اهتمام هولندا بلؤلؤ الخليج من جديد بمثابة بديل للمدفوعات النقدية.. نقل آنذاك جزء من تجارة اللؤلؤ من كنغ الى البصرة، ربما بسبب عدم الاستقرار في المنطقة الناجم عن الحرب البحرية البطيئة المستمرة بين مسقط وحلفائها العرب من جهة وايران وحليفتها البرتغال من جهة اخرى وكان البرتغاليون يعتبرون اعداء العرب من الصف الاول.. في البداية قام الهولنديون بشراء اللآلىء في كنغ بمبالغ ضخمة وجرت التجارة فيها بنجاح لبضع سنوات حتى أسس الهولنديون مؤسسة لهم في كنغ. في سنة ١٦٩٠م قرر الهولنديون محاولة اختبار في تجارة اللؤلؤ في البحرين مرة اخرى، وبعثوا بممثل هولندى جاكوبس هوج كامر، الى البحرين حيث استأجر سفينة وبعض الغواصين وقام بعمليات صيد اللؤلؤ.

في تقرير بعث به جاكوبس قال ان المهمة ليست رابحة وان كميات اللآلىء المستخرجة تكلف مصاريف اكثر من قيمة بيعها (١٠) ولا بد من أن في كلامه مبالغة وبسبب الصراع الذي كان الهولنديون متورطين فيه في المنطقة لم تدم مؤسستهم في كنغ وقام الهولنديون بشراء اللآلىء في البصرة وفي سنة ١٦٩٦ كانت مسألة ارسال خبير هولندى من سيلان الى الخليج مدار البحث لكن الاوضاع المتوترة حول البصرة في القرن السابع عشر انهت التجارة الهولندية هناك (١١)

في سنة ١٧١٦ عندما فشلت محادثات السلام اشتعلت نيران الحرب المعتادة بين

ايـران ومسقـط. هـاجم العـرب البحـرين واستـولوا عليها في الهجـوم الثـاني بعـد احتلال القلعة.. حاولت ايران استعـادتها لكنهـا فشلت في المحاولة بعـد ان تكبـدت خسائر فادحة. في هذه الاثناء طلبت ايران مكـررا من هولنـدا وباصـرار مساعـدتها لاستعادة حكمها على البحرين ولكن رفضتها هولندا. كان الهولنديون يميلون الى اتخاذ موقف محايد نحو العرب مما أدى الى اقامة علاقات وثيقة معهم في بعض الاحيان مثلما حـصـل في سنـة ١٦٧٢م. حـيث أسس الهولنديون مكتبا في مسقط. كان الفرس غير قادرين على استعادة الحكم على البحـرين حتى تم التوقيع على اتفاقية السلام في سنة ١٧٢٢م [١٢].

في السنوات التالية لم يكن الهولنـديون متـورطين في شئـون البحـرين. تضمنت الوثائق الهولندية بعض الاشارات الى حكام البحرين لكن لم تكن هناك علاقات مباشرة بين الطرفين [١٣]. في سنـة ١٧٣٦م ظهرت للوجود حالة مماثلة لما حدث في ١٧١٦ م فان والى فارس «محمد تقي خان» حاول القضاء على حرية القبائل العربيـة التى كانت قـد اصبحت مستقلة اخيرا في المنطقة بواسطة حملة جديدة واسعة النطاق وبدأ تحضيرات سـرية لـهـذا الغرض مستهـدفا اخضـاع البحرين لمراقبة ايران مستخدما الاسطول البحـرى الجديـد الذي انشىء بمسـاعـدة الانجليز (ولو لم تكن هذه المساعدة طوعا) كان الهولنديون تحت ضغط شديد ليقدموا المساعدة لتنفيذ العملية ولما رفضوا اتهمهم الايرانيون بافشاء الخطة السرية الى اعداء ايران [١٤] وتم احتلال البحـرين في يونيـو سنة ١٧٣٦م لكن الوالي الايراني الجـديد تعرض لضغط شديد من قبل القبائل العربية التى زاد عـداؤها نحـو ايـران وتعـرضت البحرين للنهب على يد الهويلة من طاهرى وحـوصرت قلعتهـا [١٥] ولا تأتى الوثـائق الهولندية بتفاصيل الاحداث التى تلتها لان الهولنديين فقدوا اهتمامهم بالخليج بعد ان نشب التمرد بين البحّارة العرب في الاسطول الايراني الجديد مما أدى الى تصرفات غير عادية للسلطات الايرانية فقاموا بمصادرة السفن الهـولنـديـة لاستخـدامهـا ضـد العـرب [١٦]. فقـدت التجـارة اهميتهـا في الخليج بسبب الحرب الدائـرة هناك وقـرر الهولنديون خفض حجم تواجدهم في الخليج واصبحت البصرة موضع اهتمامهم وكانت قـد ازدهـرت الى حـد مـا بسبب تحـويـل الصادرات الى الامبراطورية العثمانية عن طريق البصرة بدلا من البحر المتوسط.

في سنة ١٧٥٤ برزت خلافات بين حكومة البصـرة المحليـة والمقيم الهـولنـدي فـان نيفـاؤسن مما أدى الى اغـلاق المؤسسـة الهولندية في البصرة ومحاصرة شط العرب من قبـل السفن الهولنـدية واقـامـة قلعـة صغيرة على جزيرة خرج. كانت هذه اول مرة لدولة اوربية ان تبنى قلعة في المنطقة، بعد خروج البرتغاليين [١٦] وكـان هذا تحـركا هاما لان دولة اوربية أبدت اهتمامها بالعرب وليس بدول كبرى مثل ايران وتركيا.. اعد (نيفاؤسن) تقريـرا شامـلا حول القبـائل العربية في الخليج مما يشكل مصدرا هاما حول وضع القبائل العربية في الخليج أنذاك [١٧] وقام بتخطيط تعدين الكبريت في الكويت ايضا كما قام بعملية صيد اللؤلؤ حول خرج واعد وقدم تقريرا شاملا لحكومة بـاتافيـا لفتـح البحرين التى كـانت تحت تصـرف الشيخ نصر من بوشهـر والذي كان عـدوا للهولنديين من زمن قديم [١٨] لكن الحكومة العليا في باتـافيا لم تـوافق على مقتـرحات نيفـاؤسن الا جزئيـا. وافقت باتـافيا عـلى تشييد قلعة في خـرج لكنها منعت الجـالية الهـولنديـة هناك من ان تـورط نفسهـا في

السياسات القبلية في الخليج لكي تكون لديها حرية التصرف في المستقبل لتبرم التحالفات معها حسب الاقتضاء للدفاع عن نفسها. واصبح واضحا بان الحكومة العليا لم تكن مستعدة لان تتحمل مصاريف الدفاع عن الجزيرة ولذلك لن يدوم احتلالها للجزيرة مدة طويلة (١٩).

رفضت الحكومة العليا مشروع نيفاوْسن لغزو البحرين رغم ادعاء نيفاوْسن بان العملية كانت سهلة التنفيذ وكان اقوى دليل قدمه نيفاوْسن لتأييد مشروعه لاحتلال البحرين هو ان هذا الكسب يعوض هولندا عما تدينه ايران من مبالغ ضخمة لان البحرين كانت رسميا وليس في الواقع جزءا من اقاليم ايران.

لاحظت الحكومة العليا بان تقدير دخل البحرين الذي قدمه نيفاوْسن كان مبنيا على عهد نادرشاه الجبار ولم يكن في مستطاع الحكم الهولندي على الجزيرة كسب هذه المبالغ بطرق ملائمة فضلا عن ذلك لاحظت هولندا بان احتلال البحرين يثير استياء السكان المحليين ضد الهولنديين مثلما حدث بشأن البرتغاليين فيما مضى (٢٠).

رفضت السلطات مشروع غزو البحرين ولم يورط الهولنديون انفسهم في شئون البحرين فيما بعد. لقد مكث الهولنديون لفترة في جزيرة خرج والتقارير التى نشأت من جزيرة خرج ذكرت اسم البحرين من حين لاخر (٢١) طبقا لما ورد في كتاب نيبور احتل مير مهنا حاكم بندر ريق القلعة الهولندية في سنة ١٧٦٥ (٢٢). كان قد سبق الهولنديين تخلية جمرون قبل بضع سنوات وهذه المرة ترك الهولنديون الخليج كلية مع انه كان لديهم مقترحات محدودة الى الخليج واجتازت السفن الهولندية الطرق (٢٣) البحرية الى بعض المستعمرات في أسيا ومسقط بصورة مستمرة.

لم تكن العلاقات بين شركة الهند الشرقية الهولندية والبحرين ذات اهمية بالغة وانما تشكل جزءا متواضعا من تاريخ تواجد الهولنديين في الخليج في القرنين السابع عشر والثامن عشر. يستخف الكتاب بالتواجد الهولندى في الخليج لانهم يعتبرون النفوذ الانجليزي ذا اهمية اكثر مما يجوز في الواقع.. ان المصادر الهولندية تلقى اضواء مشوقة على بعض الحقائق من وجهة نظر العرب.

كان الهولنديون اقل اهتماما بمصالح ايران من البريطانيين ومن حين لآخر اتخذوا الى حد ما مواقف مؤيدة للعرب.

الهوامش

١ - ان دليلا شاملا للمصادر الوثائقية يوجد في هولندا فيما يتعلق باسيا بعنوان : «مصادر تاريخ اسيا والبحار في هولنـدا، لـ ام بي ايتش روسنغ الجـزء الاول : المصادر حتى ١٧٩٦م (منشن ١٩٨٢= المجلس الدولي على الارشيفات، دلائل الى مصادر تاريخ الأمم، السلسلة الثـالثة، المجلد ٤) نشرت مقتبسات من تقارير باتافيا الى المدراء.. تتضمن المقتبسات مراجع الى الخليج والبحرين دبليو - بي - ايتش - كولاسى (لاهاى ١٩٦٠ - مجلدات ١٠٤، ١١٢، ١٢٥، ١٣٤، ١٥٠، ١٥٩، ١٦٤.. يستمر نشرها والمصادر المنشورة تغطي الفترة لغاية ١٧٢٥).. توجد مطبوعات حول النشاطات المبكرة للهولنديين في منطقة الخليج.. دنلوب ١٩٣٠، سلسلة جروت ٧٢، مائلنك رولوفر، العلاقات البدائية بين ايران وهولندا، برسيكا ٦ (١٩٧٢ - ١٩٧٤) ص ١ - ٥٠، تربسترا (غرافن هاج ١٩١٨).

٢ - دبليو - فلور، صيد اللؤلؤ في الخليج الفارسي في ١٧٥٧ برسيكا ١٠ (١٩٨٢)، ٢٠٩ - ٢٢٢.

٣ - آيتينا راريو اوفتي شب فيرت جان هوجن لنشوتن برتغال - انديا.. (امستردام ١٥٩٦).

٤ - دنلوب، برونن، ٣٩٧، ٣٠٦، ٤٨١ - ٤٨٢.

٥ - ارشيفات هولندا الوطنية في اوسى، ٨٦٨، ص ٥٣٣ (مشروع حصر البحرين) في اوسى ٨٥٧، ص ٣٩٧، (فتح راس الخيمة).

٦ - توجد الوثائق حول هذه الحملة في اوسي ٨٦٧، ص ٧٠٢ مجلد ١١٤٢ ف ٣٥، مجلد ١١٤٤ ف ٨٦٣ ف ١١٤٦، ٨٢٣ - ٨٢٤ ف، ٨٦١، ٩٠٨.. توجد بعض المراجع في مذكرة باتافيا، كولن براندر، كاستيل باتافيا ١٦٤٣ - ١٦٤٤ (لاهاي ١٩٠٢) ص ١٨٥، ١٨٨، ١٩١.

٧ - في اوسي مجلد ١٠٢٨ ف ٩١ ف.

٨ - توجد الوثائق في اوسي - ارشيفات، مجلد ١٢٤٨ ص ١٣٧٥ - ١٣٧٦، ٣٠٤٥ - ٣٠٤٦، مجلد ١٢٥١ ف ٢٠٩، مجلد ١٢٥٢ ص ٧١٦ - ٧٢٠، مجلد ١٢٥٣ ، ص ١٦٩٨، مجلد ١٢٥٩، ص ٣٣٢٠، ٣٤٠٠ - ٣٤٠١، مجلد ١٢٧٨ ف ١٨٤٧ ف ١٨٤٧ ف جيه - ايه - فان ديرشيز، كاستيل باتافيا ١٦٦٥ (لاهاى ١٨٩٤) ص ٣٦٧.

٩ - في - اوسي - الارشيفات، مجلد ١٢٥٢، ص ٧١٦ - ٧٦٠.

١٠ - في - اوسي - الارشيفات، مجلد ١٤٧٦، ص ٦٣٠ - ٦٣٢ تتضمن التقرير لـ هو ج كامز. راجع وثائق اخرى في فلور - صيد اللؤلؤ ٢١٢ - ٢١٢ في - اوسي - مجلد ١٤٩٩، ص ٨٤٠، ٨٤٦.

١١ - كولاس، جنرال مسيفن، مجلد ٥ ص ٧٦٥ - ٧٦٦.

١٢ - في - اوسي - الارشيفات، مجلد ٩٦٨، ص ٦١٤ - ٦١٦، مجلد ٩٧٠، ص ٦٠٨ - ٦٠٩، مجلد ١٨٧٢ ف ٥١١، مجلد ١٨٨٦، ص ٩٥، ١٣٧ - ١٣٨، ١٥٥، ١٦٩، مجلد ١٨٩٧ ص ٨٦ مجلد ١٨٩٩، ص ف ٣٣٢، مجلد ١٩٠٣، ص ١٨٢٢ مجلد ١٩١٣، ص ٢٧ - ٣٠، ٤٨ - ٤٩، ١٢٠، ٣١٤، ٣٤٧ مجلد ١٩١٥ ف ٣٠٦ف ، مجلد ١٩٢٨، ص ١٣٣ - ١٣٩، مجلد ١٩٤٧، ص ٤٩ - ٥٢، مجلد ١٩٦٤، ص ١١٤ - ١١٥، مجلد ١٩٨٣ (الجزء عن ايران) ص ١٥٠.

١٣ - ارشيفات في اوسي مجلد ٢٢٣٦، ص ٥١، مصادقة الشيخ جبارة كو الى البحرين من قبل طهماس قلي خان.

١٤ - رشيفات في - اوسي - مجلد ٢٤١٦، ص ٣٨٥، ١٠٣٤، ١٠٣٨، ١٠٥٣، ١٠٥٩، ١٠٦٥ ، مجلد ٢٤٤٨، ص ٨٢٢، ١٠٠٠.

١٥ - ارشيفات في - اوسي - مجلد ٢٤٧٦، ص ١٨٣، ٦٣٦ - ٦٣٧، ٦٧٢، ٩٢٧، ١٠٩٧، ١١٠٦.

١٦ - تتضمن ارشيفات في اوسي مجلدات ٢٥٤٦، ٢٥٨٣، ٢٥٨٤، و ٢٦١٠ المراجع بخصوص حركة التمرد في سنة ١٧٤٤ لم يرسل الهولنديون السفن الى ايران حتى لأجل التجارة.

١٧- نشرت ترجمة انجليزية لهذه الوثيقة : و.م.فلور وصف للخليج وسكانه في ١٧٥٦، برسيكا ٨ (١٩٧٩)، ١٦٣ - ١٨٥، المقارنة بين هذه الوثيقة والكتاب الشهير للعالم الدانمركي نيسبور (بشرى بنج فون عرابيان، ١٧٧٢) الذي نشر في ١٧٧٤ تبدى ربطا وثيقا بين النصين. يمكن الافتراض بان نيبسور اثناء زيارته للخرج اطلع على مذكرات المقيم الهولندي التى استخدمها نيبسور كمادة اساسية في كتابة ان هذا التقرير يتضمن بعض الملاحظات التاريخية والاحصائية التى لا توجد في كتابات نيبسور.. يذكر التقرير ايضا معلومات عن السلالات الحاكمة في عدة بلدان كالكويت.. هذه اقدم كتابة اوربية تذكر عائلات الخليفة والصباح.. لا نعرف مدى مساهمة جوهان فان دير هلست مساعد نيفاؤسن في الكتابة. انه ايضا كان على الما بالمنطقة.

١٨- يوجد ذكر المشروع لاستغلال الكبريت في الكويت في ارشيفات في اوسي مجلد ٢٩٦٨. فصل خرك، ص ١٠ - ١١، ويوجد تفصيل خطة لغزو البحرين في ارشيفات في اوسي في مجلد ٢٩٦٨ على الصفحتين ٥١ ،٥٢. لتقرير خرج المؤرخ ٣١ مايو ١٧٥٥م وفي ارشيفات في اوسي مجلد ٢٨٤٨، ص ١١٤٣ - ١١٤٩، ترفق في اوسي ٢٨٦٤ رسالتان في تأييد المشروع متضمنا تفاصيل الجنود والسفن والملاحين والعتاد الحربي المطلوبة لتنفيذ خطة الغزو. مع ان الهولنديين كانوا في بوشهر منذ ١٧٣٧م الا انهم تشاجروا مع الحاكم المحلي الشيخ مشكور وابنه ناصر. ان تقرير نيفاؤسن الذي جاء ذكره في فقرة ١٧ وتفاصيل غزو البحرين يتضمنان المعلومات حول الاسلوب الذي استخدمه ناصر في احتلال البحرين بالمساعدة من قبيلة العتوب.

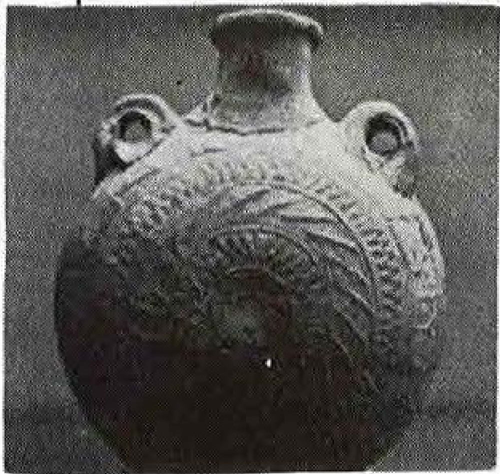
١٩- انظر ارشيفات في اوسي مجلد ٢٨٤٦، ص ٦٦٤-٦٦٧.

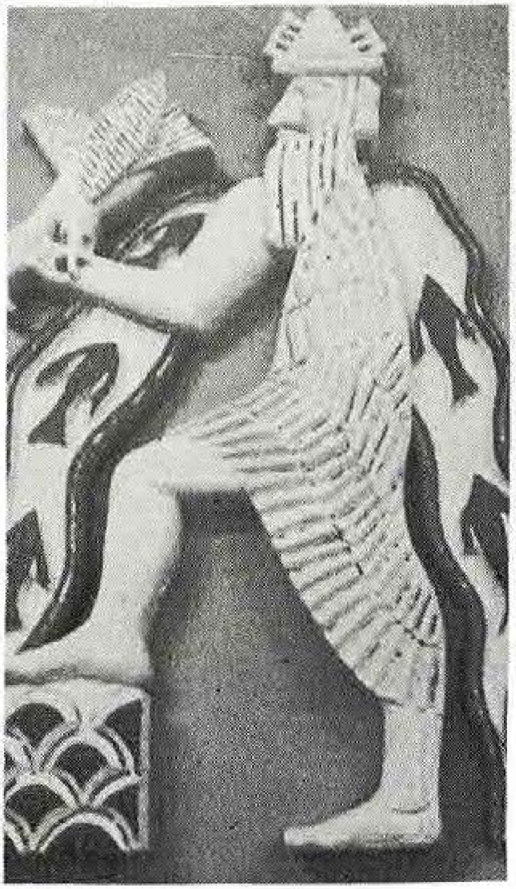
٢٠- كان المشروع مرفوضا لاول مرة (لانه لم يحصل على التأييد الا من اقلية اعضاء المجلس رغم انهم كانوا اعضاء اكفاء) وكان دي - لا - باراش اكبر معارضي الخطة الذي دعى الى كتابة الدلائل بالتفصيل في معارضة الخطة.. يوجد هذا التقرير في اوسي مجلد ٢٨٤٨، ص ١١٨٣-١١٨٧.

٢١- ارشيفات في اوسي، مجلد ٣٢٧، فصل عن خرك، ص ٤٥ ومجلد ٣٠٦٤ فصل عن خرك، ص ٢٥ - ٢٦.. ان هذه الوثائق التى تتضمن مشروع نيفاؤسن لفتح البحرين وتقريره عن العرب في منطقة الخليج تشير الى وجود علاقات بين قبيلة العتوب والبحرين يعود تاريخها الى وقت مبكر مما يذكره تاريخ البحرين عامة.

٢٢- هذه الاحداث اصبحت معروفة لما يحتوى كتاب نيبسور على تفاصيلها ان كتاب امين تحت عنوان «المصالح البريطانية في الخليج» (ليدن ١٩٦٧) ص ١٤٢-١٥٠ يذكر تاريخ انشاء المؤسسة الهولندية في خرج مبنيا على ما كتبه نيبسور وعلى المصادر الانجليزية الاخرى. ان الوثيقة الهولندية الرئيسية التى تعالج آخر لحظات لتأسيس مؤسستها في خرج هي في اوسي مجلد ٣١٨٤، فصل عن خرج.

٢٣- ان اقتراحا لعودة الهولنديين الى البصرة قدم الى السفير الهولندي في تركيا في سنة ١٧٨٠م، الارشيفات الهولندية، السفارة في تركيا الى فترة ما قبل ١٨١١م. ن ر ٧٨٤.



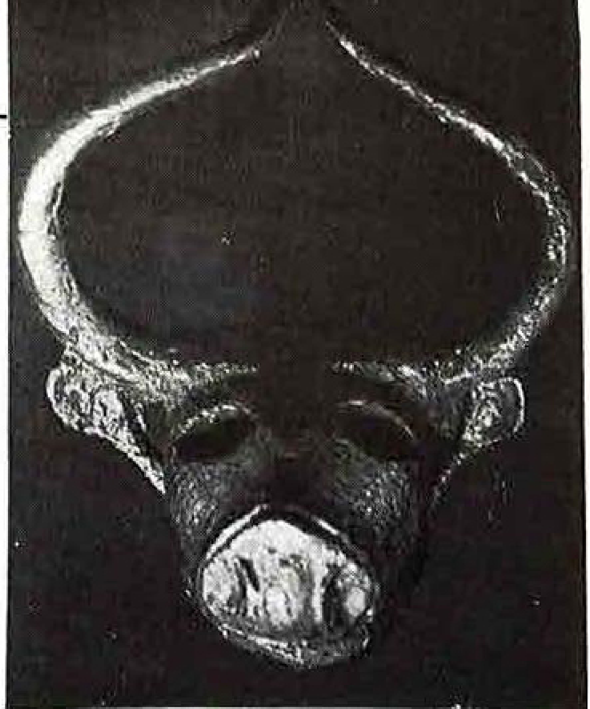


بقلم :
عبدالكريم العريض
ـ البحرين

في السابق تحكي عن علاقـات تلك الاقوام التى كانت تسكن في هذه المنطقة ومن تلك الاشياء التى عثر عليها ولاول مرة آثار ترجع الى العصر البرونزى وقد القت الضوء على مـوطن أهل ديلمـون والتى جاء ذكـرها في الاساطير السومرية وذلك اثر ربطها بعمليات التنقيب التي جـرت في البحرين ويفتـرض العديد من الخبراء بان هذه المنطقـة كانت جزءا لا يتجزأ من حضارة سالفة معاصرة لحضارات ما بين النهرين.. لقد ساعدت هذه الاكتشـافات التى تمت في فيلكـا العلاقـة المتعاصرة بين فيلكا وديلمون ـ البحرين كما ثبت ان الجزيرة مليئة بالكنـوز التاريخيـة لحقب مختلفة من التاريخ.

ان الاختام التى وجدت في فيلكـا كانت مماثلة لتلك التى وجدت في البحـرين، وقد اكتشفت في فيلكا قطع من تمثالين بشريين عليهما نقوش مسمارية تدل على اسم الإله «انزاك» وقد اكتشف اناء خزفى في البحرين عثر عليه في معبد باربار يعتقد انه شبيه لذلك الذي عثر عليه في فيلكا كما يعتقد ان جزيرة فيلكا كانت تابعة لجزيرة ديلمون. ومن هنا نجد الترابط التاريخي بين الكويت والبحرين وسائر المناطق المحيطة بالبحرين من اقـدم العصور والذي يؤكده علماء الاثار اليوم.

ان مدينة دلمون كانت تقـع في البحرين ويبدو ان اول ساكنى البحرين يعود تاريخهم الى العصر الجليدى. ومنذ العصر النحاسى



بدأت البحرين ـ دلمون تمثل مركزا مهما في طرق المواصلات بين سومر وحوض السند.

لقد عثر في مدينة دلمون على اختام شبيهة باختام مماثلة وجدت في جزيرة فيلكا. والبحث في التاريخ القديم للمنطقة يقودنا الى تلك الاثار والاحجار الصوانية التى اكتشفت في قطر والعلاقة بين تلك الاثار ومثيلاتها التى اكتشفت في البحرين.

ان اقدم الادوات التى استعملها الانسان كانت من حجر الصوان بحالته الطبيعية ثم انتقل منه الى استعمال اخر من النوع نفسه ولكنها تمتاز بجمال الصقل وباستجابة اشكالها للغاية من استعمالها وقد اخذت هذه الاشكال في التطور شيئا فشيئا حتى صارت اكثر جمالا مما كانت عليه من قبل كما تنوعت خامتها بين حجر وعظم وعاج وازدادت قوالبها حسنا بمرور الايام .

ولو اردنا ان نقترب اكثر لتضييق الشقه وحصر هذه المنطقة في اطار صغير لجاز لنا اولا ان نبحث في المناطق التى سكنها الانسان ويرى العلماء ان منطقة الخليج من اقدم المناطق التى سكنها الانسان وكذلك البلاد المحيطة بها كسومر وعيلام وشبه جزيرة العرب.

ان وحدة الدوافع الروحية والاجتماعية هي التى تعرف نشاط النوع الانسانى في تطوره الاول.. هذه الدوافع أدت الى ظهور انماط متشابهة في انتاج هؤلاء البشر في الاكل والغناء الجماعى وصنع الادوات والحلى على نحو متشابه في الطراز وطرق الاداء.

ان الفن كان وما زال جزءا لا يتجزأ من تاريخ الانسان وثقافته وتراثه ولقد ثبت ان دراسة فن أي من الشعوب انما تؤدى الى تكوين فكرة واضحة تعرب عن مستواه الحضارى وما وصل اليه من خبرات وتجارب في شتى جوانب حياته المادية والثقافية والروحية. ولذا برزت انسانية الفن مطابقة لخصائصه التى هيأت لآثاره.

ان عالمية الفن وانسانيته لم تغفل ظهور الانماط المحلية المختلفة التى تشكل في حد ذاتها تأثيرا خاصا على الحركة العالمية للفن وتأثيره في نمو الحضارة الانسانية وعندما ننتقل من الماضي البعيد الى الماضي القريب نجد الملامح العربية والاسلامية في آثار المنطقة ابتداء من العمارة وانتهاء بوحدة العمل. فلقد ظهر مرتبطا بحياة المجتمعات العربية في منطقة الخليج العربي مستجيبا لاحتياجاتها منسقا مع عقيدتها فكان يعبر بصدق وبساطة عنها فكان ذلك في الشعر والادب والفن حافظا على خصائص مشتركة لا تتعداها العين.

ان التاريخ يروى لنا والشواهد الباقية تدل على البنية المتشابهة في منطقة من الكويت شمالا حتى مسقط جنوبا وكذلك الخامة المستعملة في البناء والنقوش من القوالب الجصية والوحدات الزخرفية.

ان الحلى في منطقة الخليج كان لها تاريخها منذ اقدم العصور، ولقد افاض ناصرى خسرو عند زيارته للقطيف والبحرين في ذكره عن الحلى الفضية والذهبية وعن الصاغة واصحاب الحرف وقد ذكر المقريزى في مروج الذهب عن لؤلؤ البحرين وعقودها الغالية الثمن.

ان الخط العربي كان مسرحا للابداع التشكيلي في جزيرة البحرين وقد وجد الكثير من شواهد القبور واللوحات الحجرية للخط الكوفي وقد جمعت لمحاسن من الحياة وملامح وجوه واشكال تكاد ان تفصح عن نفسها وراء التصوير الزخرفي للحروف في اشكالها الادمية والحيوانية المجردة والنباتية كما نشاهده في مسجد الخميس في البحرين.

والحديث عن الفن التشكيلي يقودنا الى كيفية تكوين هذا المجتمع الذي تكونت فيه عبر قرون جماعات الحرفيين من صانعى النسيج والفخار والصاغة وغيرها من الانماط المتعددة والتى تميزت بسمات خاصة لا توجد في اى مكان من العالم. وعندما نتحدث عن الفنان الشعبى في البحرين فان هذا ينطبق على كل فنان شعبى في المنطقة الخليجية واكثر الامور المتشابهة في هذا المجال «فن البحارة».

ان الفن الشعبى يعبر عن جماعة متجانسة فالفلاحون ينتجون فنهم واغانيهم وكذلك البحارة لهم اسلوبهم وفنهم الذي يمتازون به.. والفن وليد حاجة جماعية مشتركة بين عدد كبير من افراد الشعب.

وكان الفنان البحار ينتج فنه من الموال والطرب والنقر على السفينة وعمل نماذج السفن الصغيرة والصور المسطحة والحكايات.

ان موسم الغوص الذي كان من اهم مواسم العمل في منطقة الخليج قبل وجود البترول - كان يتسم بحركة نشطة في مجال التجارة وقد ارتبطت هذه المواسم بفعاليات فلكلورية كثيرة من الغناء والطرب وذلك بعد عودة الرجال من البحر. وفي فصل الشتاء تنشط حفلات (الدور). وتعددت الانماط في الخلق الفني وكان للثروة التى جمعت من تجارة اللؤلؤ الاثر الكبير في عمارة البيوت ذات السمات الفنية العربية في مختلف مناطق الخليج وكذلك الوحدات الزخرفية الجصية اخذت الطابع المميز والابواب المعشقة بالزجاج الملون.

كانت الصور التى رسمها فنانون شعبيون تزين المقاهى في مدينة المنامة وهى صور تحكى قصة الغوص او صيد السمك في الثلاثينات رسمت لوحات للمراكب التجارية والطائرات، كانت تلك الاعمال على طريقة المسطحات وتتكون اكثرها من خطوط عمودية وافقية تعتمد على الشكل دون ان تقيد خيال الفنان البحار بالابعاد والاساليب الفنية المعروفة لدى الفنانين الحديثين.. وقد وجد الكثير من هذه الاعمال في البحرين والكويت وقطر وعمان، وهذا يدل على تلك الوحدة والسمة التى يتمتع بها الفنان الشعبى في شمولية العمل في جميع مناطق الخليج.

ومن هنا نتعرف على الحقيقة التى ينبت منها الفن التشكيلي في منطقة الخليج والتى ترجع اولا الى تلك العناصر التى حولت هذا الانسان في هذه المنطقة من باحث عن اللؤلؤ في اعماق البحر الى انسان تتفجر من تحت قدميه آبار البترول عصب الحضارة المعاصرة.

ومن هذا المنطلق نشاهد الفنان يشده الامس فيرسم الماضي بثوب جديد وقد اكسب عمله المعاصرة والتراث الذي لا زال يرن في اذنيه ويحس بلذة وهو يراجع يومياته.

وتعتبر الفنون التشكيلية بمفهومها المعاصر حديثة العهد بالنسبة لمنطقة الخليج وهى في البحرين نشطت بمبادرات فردية وبحماسة تلقائية وشكلت الجمعيات والنوادي الفنية منذ الخمسينات من هذا القرن واقيمت المعارض العامة الفردية والجماعية.

وقد أولت الدولة ممثلة في وزارة الاعلام اهتماما كبيرا للفنون التشكيلية وتشجيعها سنويا باقامة المعارض الفنية ومنح الجوائز التقديرية للفنانين واعطاء منح دراسية لمختلف الفنون.

ولقد تأثر الفنان بالعديد من المدارس العالمية الانطباعية والسريالية والتجريدية. وان مرد ذلك يعود الى التأثر بالقراءة والمشاهدة للاعمال الفنية القريبة ومحاكاتها. وكانت الدعوة الى خلق مدرسة محلية تستمد اصولها من التراث والبيئة والفن في كل فترة زمنية له وضعه العام الذي يتناسب مع المستوى الفكرى والاجتماعى وهو يعكس صور مجتمعه .. هكذا علمنا الفن المصري والعراقي والاسلامى والهندى فكل فن له سماته ومعاييره الحضارية التى يعرف بها.

ان مشكلة الفن لم تعد متمثلة في الانتماء لمدرسة او نمط دون الاخر او ان هذه الانماط تقليد يجب الابتعاد عنه وخلق طريق جديد، ان المهم في الامر هو خلق العمل الجيد وابراز الفن العظيم..

ان الفن وسيلة اتصال ضرورية بين الفنان والجمهور، ومن هنا يجب ان ندرك تلك الحاجة والضرورة للفن في حضارتنا المعاصرة.

ان الوحدة الفنية والفكرية الموجودة في حرفة ما تحدد (١) مضمون الفن في الحياة اليومية ـ في الصناعة والاعلان وفي التصاميم التجارية وفي اللوحات الفنية.

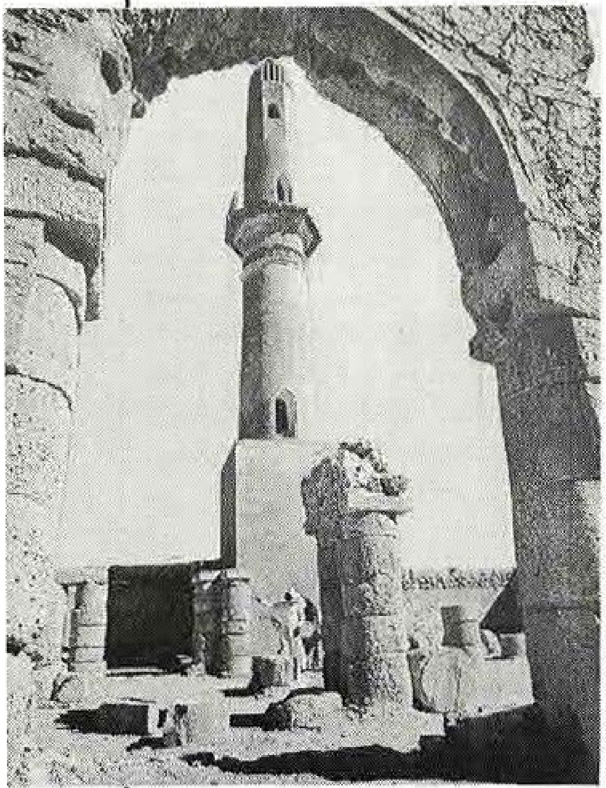
الفنون التشكيلية في ديلمون

ان الفنون التشكيلية ذات الابعاد الثلاثة التى خلفها لنا الاجداد من بناء المقابر والمعابد ونحت التماثيل الى اشغال الخزف وادوات الزينة وغيرها، كل تلك الاعمال الفنية تمثل سجلا حافلا بالتجارب المادية والروحية لاجدادنا السابقين. فالفنون التشكيلية لها علاقة وثيقة ولا شك بروح الثقافة العامة لاى عصر من العصور فعن طريق الفن التشكيلي الذي مارسه سكان دلمون (٢) قد يستطيع القارىء ان يكون رأيا حول مستوى الشعر والفلسفة التى كانت فيها ويرجع ذلك للارتباط الوثيق بين الفنون والفلسفة والدين كما ان العناصر الفعلية لاى عمل فني كالضوء والمساحة والنسبة قد تختلف من حيث اهميتها من فترة الى اخرى وذلك نظرا لاختلاف مفهوم الاعمال الفنية لدى الفنانين في مختلف الحقب التاريخية وعلى سبيل المثال فالطابع العاطفي العام الذى اتسمت به الفنون المصرية القديمة، يختلف كثيرا عن طابع القوة والقسوة الذي تميزت به الاعمال الاشورية. والاحساس بالكتلة والحركة واللمس واللون والتوازن امر نسبي لدى اى شعب من الشعوب في أية حقبة من الحقب التاريخية لذا نجد ان الدقة في التعبير والروعة في الادراك كانتا مقصودتين في تمثال (جوديا) الموجود حاليا في متحف (اللوفر) بباريس كما ان فكرة الخلود التى كانت تسيطر على عقلية الفنان المصري كانت هي الاخرى مقصودة ايضا ونراها واضحة في الاتجاه نحو الضخامة التى يظهر بها ابو الهول مثلا والفنان في دلمون استعمل طينة التيراكوتا (TER-RACTOTTA) مثله مثل اخيه الفنان المصري والعراقي في عصور ما قبل التاريخ وذلك عندما وجد فيها عدة امكانيات فنية من

حيث جمال اللون ومن حيث استجابتها للتشكيل والتطويع ولم تشذ حضارة دلمون عن غيرها من الحضارات في العصور القديمة في نظرتها للارتباط الوثيق بين الصناعة والفن فالمدلول الجمالي لكلمة (ART) جديد جدا كما ان كلمة (ART,ARTIS) اللاتينية كانت تدل على معنى يختلف كل الاختلاف عما نفهمه الان اذ كانت تعني الحرفة او الصناعة التى تحتاج الى حذق وبراعة كالتجارة والحدادة ولم يكن الرومان واليونان يفهمون الفن بمعزل عن الصناعة والحرفة فاذا مارسوا شيئا من الفن الجميل كالشعر مثلا اطلقوا عليه اسم صناعة الشعر كما لم يعرف العرب الفن الا انه ضمن النشاط الانساني فعرفوه بانه (صناعة) ودلالة ، على الجوانب الابداعية في اختلاف اشكالها وانواعها. (٣)

وطبقا لذلك المفهوم ، فالفن لايمكن ان يكون غير وسيلة اتصال هامة وصناعة في نفس الوقت ـ ويكون تعريف (التشكيل) هو الوصول بالمادة الخام لتلائم الغرض المقصود منها ملاءمة تامة ويكون تعريف (الجمال) في هذه الاحوال هو (التعريف) على ان الشيء قد استكمل كل ما يلزمه ليستوفي المطلوب من أدائه ويكون مصدر الجمال هو مدى ملاءمة الشكل لكل العوامل التى دخلت في تشكيله ومدى نجاح الشكل في الوصول الى الاغراض المقصودة.

فمنذ ان ظهرت اكاديميات الفنون في اوربا في القرن الثامن عشر، ومن خلال نشأتها قسمت مجالات الابداع الفني الى ما يعرف بالفنون الجميلة (نحت ـ تصوير) وما يعرف بالفنون التطبيقية (معادن ـ خزف ـ أثاث) بهذا التعريف والتفريق بين النوعية الواحدة للفن ـ كانت البدايات الاولى على طريق خروج الفن عن اهدافه التى خطها في مسيرته عبر الحضارات القديمة.



مسجد الخميس

فتحول الفن لخدمة طبقة من الناس بمعزل عن حياة العامة فساد مفهوم أن (حرفة الفن غير الفن) وان الفنون الجميلة (تصوير ـ نحت).. هي التى تتعلق بغايات الحياة وان الفنون التطبيقية تتعلق بوسائل الحياة والحجة في ذلك ان الانسان يرتبط ارتباطا عضويا ونفعيا بوسائل الحياة وغاياتها.. ولابد ان يكون للفن دوره في اسعاد الانسان.

لقد اعتبر عصر النهضة الاوربى «الفن» هو تصور حياة الانسان والطبيعة وارتبط الفن الجميل بهذين العنصرين كما ارتبط بانتاج اعمال حرفية متناظرة مما أدى الى اعتبار الاولى خطا فنيا والثانية حرفة.. اما الفن العربي على امتداد عصوره الاسلامية المزدهرة فلم يفرق بين ما يسمى

بـ (الجميل) والتطبيقي (النافع) في الفن ولم يفقد التشجيع على نوعية معينة منه ـ بل لم يكن هناك ثمة تفريق بين ما هو جميل وما هو تـطبيقي في الفن حتى اصبح من العسير تقييم القطع الفنية على أساس التفريق بين النوعية فالقطعة الخزفية مثلا لم يتم تقييمها على أساس انها قطعة خزفية (جميلة) فقط ـ فجمالها يقترن باستخدامها فالسجاد والاقمشة والاثاث جميعها (فنون تطبيقية نفعية) وجميلة في آن واحد محملة بصفات الجمال المستمر تطبيقا واستعمالا وهذا ما نسميه (بالجمال الفكرى والوظيفي) الذى لا يتأتى الا عن طريق الفهم والادراك (٤)

مظاهر الفنون التشكيلية

كانت دلمون بلدا زراعيا ومكانا مزدحما بالناس وبالمعاملات التجارية وكانت ذات طقس مماثل لطقس بلدان شمال البحر الابيض المتوسط في الوقت الحاضر ويعتقد معظم المنقبين الذين قاموا بعمل «حفريات في البحرين» بوجود مقابر للعصر البرونزى في البحرين ما قبل ٣٠٠٠ ق م ولكن معظم محتويات هذه القبور قد تعرضت للسرقة وقد عرف من التنقيب في تلك القبور ان من العادات الدينية المتبعة في دلمون فرش ارضية قبر الميت برمال ناعمة قبل القيام باجراءات الدفن ومن هذه ايضا عرف علماء الاثار تلك الطريقة التى كان يتبعها سكان دلمون في تسجية موتاهم في تلك القبور، فلقد ثبت من خلال المكتشف منها، ان الميت كان يسجى في قبره على جنبه الايمن بينما تكون ركبتاه في وضع منحن وتمد قدماه في مواجهة مدخل القبر ـ اما الذراعان فيوضعان في شكل منحن بطريقة تجعل اليدين متجهتين دوما نحو الوجه وقد بلغوا مرحلة متقدمة من مراحل التفكير الانسانى فلقد كانت لديهم

ولا شك ديانه ما، في ذلك العهد السحيق او على الاقل كانت لهم عقيدة دينية معينة كما ان وجود الادوات المدفونة مع الميت في قبره ـ مثل القدور الفخارية والمزهريات وتزيين اسطح القبور بقشور البيض (٥) او ببعض العظام ووضع الاسلحة من حراب معدنية وخناجر ومن دفن حيوانات «الميت» من غزلان وخراف وكلاب في القبر معه ـ ان سكان دلمون في العصر البرونزى كانوا يعتقدون بفكرة الخلود وحياة الانسان الابدية بعد الموت.

وليس من المستبعد تصور «خاصة» سكان دلمون وقد صحبهم نخبة من حاشيتهم من ذكور واناث الى العالم الاخر طواعية كما كان الحال بالنسبة الى عظماء سومر، يرتدى الجميع افخر الملابس ويتحلون باغلى ما يمتلكون من حلي ويأخذون معهم اغلى ادواتهم ووسائل تسليتهم وعرباتهم بحيواناتها ثم يدفنون بعد ذلك مع الميت وربما حدث كل ذلك تحت تأثير مخدر ذي فاعلية قوية.. ومن الادلة التى كشفتها الحفريات العلمية بهذا الخصوص الحفريات التى قام بها «السير ليونارد وولي» في العراق في مدينة (أور) ان احدى الوصيفات لم يكن لديها متسع من الوقت لتمشيط شعرها واستكمال زينتها وخشية منها ان تتأخر عن اصطحاب سيدها الى العالم الاخر.. أخذت مشطها معها في جيبها لتتزين به خلال فترة المراسيم الدينية التى تقام على الميت قبل تسجيته في القبر (٦).

ان الاسلحة البرونزية والاوانى الفخارية وقشور بيض النعام والسلسلة الذهبية التى يعرضها (متحف البحرين) وتماثيل العاج ما هى الا دلائل واضحة على ان انسان دلمون قد عرف الحضارة الثقافية والاجتماعية بمفهومها الانسانى بل عاش حياة الترف والنعمة. فالسلاسل الذهبية والحلي

واستخـدامها للزينـة والتجميـل والاوانى الفخـارية التى استخـدمها لحفـظ الطعام والشراب والاختام، لدليل قاطع على نزاهة الحياة التجارية واحترام القانون في دلمون وتثير الاختام المستديرة التى عثر عليها في دلمون قضية علمية وتاريخية على جانب كبير من الاهمية وقد ذكر جيوفرى بيبي في كتابه (البحث عن دلمون) ان هذه الاختـام مهمة لامرين اثنين (٧).

اولهما ان وجود اختام مطابقـة لاختام دلمون المستديرة في هذه المناطق يؤكد وجود علاقات اقتصادية بـين الهند وحـوض نهر الرافدين في الوقت الذي قامت فيها حضارة (INDUSVALLEY) فكـل من يتتبـع مـا خلفـه الانسان في دلـمـون يرى انـه عـاش حضارة متقدمة بالنسبة لجيرانه فقد كـان شعبهـا شعبا تجـاريـا من الدرجـة الاولى وساعده في ذلك موقع البلاد الاستراتيجي، بين حضارتين متقدمتين في كل من (الهند) و (العراق) كما ساعدته وفرة المياه الى تحتاج اليها الرحلات البحرية الطويلة. اما بالنسبة للحياة فقد كـان شعب دلمون شعبـا واعيا ومتفتحـا على مختلف التيـارات الثقافيـة، تشهد بهذا جميع الحضارات المجاورة وما خلفته من آثار ثقافية تتعلق بذلك اضافة الى ما خلفه انسان دلمون ذاته من آثار ومعابد وادوات حيث وفرت له من اسباب الراحـة جميع احتياجاته المـادية والروحيـة، الامر الذي جعله يتجه باحساسه الى فكرة الخلود والحياة الثانية بعد الموت حتى يضمن بذلك استمرارية وجوده وبقائه.

الفنـون التشـكيليـة الاسلاميـة العربية:

ان ابداع العرب في عالم الاشكال قديم وراسخ وللتدليل على ذلك فقد كشف علماء الاثار في العصر الحديث بقايا قصور ومعابد وتماثيل في شبه الجزيرة العربية تدل على ان الفن العربي في العصر الجاهلي كان مسرحا حافلا بالابداع والجمال التصويري جنبا الى جنب مع الشعر الجاهلي، وما ان لاح فجر الاسلام الذي اخـذ ينشر نوره عـلى ارجاء المعمورة حتى اخذ الفن الاسلامي سماتـه ومميزاته من تفـاعل الشعـوب الاسلاميـة المتكافىء والذي امتد الى ارجاء مترامية الا انـه مع ذلـك ظل محـافظا عـلى خصائص مشتـركة لا تخطئهـا العين منسجمـة مـع عبقرية الدين وروح المكان، لقد ظهر هـذا الفن مـرتبطا بحيـاة المجتمعات العـربيـة متسجيبا لاحتياجاتها متسقا مع عقيدتها، فكان تعبيرا صادقا عنها ـ كان المسجد كما كان القصر محتوى لـروائع الفنـون التقت فيهما عبقرية الفن الاسلامي.. الـزخارف والخطوط والنقوش وتشكيلات الفسيفساء وفنون الزجاج والمنحوتات الخشبية وغيرها، وبهذا اجتمعت للفنون وحدة في دور العبادة ودور السكن.

ولعل ما بقي لنا من حديث «المسعودي» في «مـروج الـذهب» عن صـور العنقـاء في الحمـامات ورسـوم الصيد والـرقص ومـا كشف عنـه من بقايـا تدل عـلى استخدام الصـور المائيـة عـلى الجص في حمـامـات سامراء والقاهرة وما ذكره «يوسف بن عبد الهادي» في كتابـه «عدة الملمـات في تعداد الحمـامات»، من وصف لحمـامات دمشق لدلائل صادقة على عناية المجتمع الاسلامي بالفن وارتباطه بمظاهر حياته وادوات الزينة بما فيها من روعة وفن وشاهد آخر على ما بلغه الفن الاسلامي. ولقد اسهب «ناصري خسرو» في ذكر تلك الروائع والقطع الفنيـة المستخدمة في الزينة كما سلط «المقريزي» الاضواء عليها وبقيت لنا منها دلائـل على اهتمام الفنان العربي بالقيمة والمعنى حتى في اصغـر الاشياء. كـانت اصغر الادوات

حجما تحفل بقيم الفن ومن هنا ازدهر فن الخزف، وفن الزجاج وما اتصف به من رقة وشفافية. كما كان الخزف العربي مسرحا للابداع والتشكيل، ففي اللوحات الرخامية والجيرية للخط الكوفي تجمعت المحاسن من صور ووجوه واشكال تكاد تفصح عن نفسها وراء التحوير الزخرفي للحروف في اشكالها الادمية والحيوانية والنباتية.

الحرف اليدوية في البحرين

تعتبر صناعة الفخار من اقدم الصناعات اليدوية في البحرين ويرجع تاريخها الى ما يزيد على ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد وما زالت تمارس حتى وقتنا الحاضر ولقد كان لهذه الصناعة شأن عظيم في عهد السومريين «دلمون» والفينيقيين «تايلوس» ومن الحفريات التي قامت بها البعثة الدنمركية للتنقيب عن الاثار يظهر بوضوح ان الانسان في (دلمون) عرف طريقة استعمال الدولاب [٨] الذي يدار بالارجل في صنع الاواني الفخارية.

بينما لم يظهر الدولاب في وادي الرافدين الا في عصر الاسرة الخامسة وقد توصل الانسان في دلمون منذ ذلك الوقت الى عملية مزج الالوان وخلطها ليستخرج منها الوانا اخرى جذابة يستخدمها في طلاء الفخار وزخرفته، ومن الادوات الكثيرة التي عثر عليها خلال عمليات التنقيب يمكن القول بأن صناعة الفخار كانت تمارس على نطاق واسع في ذلك الوقت السحيق.

صناعة النسيج والتطريز:

تعتبر صناعة النسيج هي الاخرى من اقدم الحرف اليدوية في البحرين وقد يرجع وجودها الى ذلك الوقت الذي اكتشف فيه الانسان حاجته الماسة الى ما يقي جسمه من المؤثرات الطبيعية: الشمس اللاهبة في الصيف، والبرد القارس في الشتاء، في الفترة التي بدأ فيها الانسان البحريني يستعمل السفن لنقل البضائع من بلده الى البلدان الاخرى القريبة والبعيدة فاستعان ولا شك بالاشرعة لزيادة سرعتها وحفظ توازنها، فصناعة الاشرعة اذن قديمة قدم حاجة الانسان للسفينة في نقل بضائعه وجلب احتياجاته عن طريق البحر لذا فلا عجب ان تأخذ تلك الصناعة مكانتها لما لها من اهمية عظيمة في حياة الملاح وصناعة البحر في البحرين، اما الموطن الاول لصناعة النسيج في البحرين فهو قرية (بني جمرة) الا ان ذلك لا يعني ان تلك القرية قد انفردت بتلك الصناعة التي كانت تمارس في العديد من قرى البحرين امثال (داركليب) و(ابوصيبع) وكانت معامل النسيج تنتج الكثير من الاقمشة الرجالية والنسائية وكانت هذه المنسوجات المصنوعة محليا تمتاز عن المنسوجات المستوردة من الخارج بثبات الوانها، ومكانتها وقدرتها على التحمل، لم يقتصر اهالي البحرين على انتاج الاقمشة وتصديرها بل تعدوها الى التفنن في تشكيلها وزخرفتها لتناسب شتى الاذواق ومختلف المناسبات، ولكن ليس من السهل على الباحث دراسة الازياء لدى شعب من الشعوب لان ذلك يحتاج الى الكثير من الجهد اذ ليس مجرد وضع قائمة يعدد فيها الالبسة وما حوته من نقوش وتطريز هو عنصر البحث والدراسة، فالدراسة الفنية الموضوعية تتطلب محاولة معرفة الابعاد الاجتماعية والنفسية التي تتدخل في تشكيل المادة الخام وتشكيلها تشكيلا معينا فعن طريق دراسة الذوق وتطوره اجتماعيا يمكن معرفة الاسباب في تنوع الازياء من حيث الكيف والكم بالاضافة الى دراسة الذوق السائد عن طريق تداخل الخطوط ومزج الالوان المستخدمة والتي عن طريقها نستطيع التفاعل والمعايشة مع تقييم العمل

الفني ومعايشة المجتمع المراد دراسة ازيائه في فترة ما ولو تمعنا فيما نسجته معامل البحرين من قماش لوجدناه في الازياء لا يأخذ اشكال المربعات والمثلثات او النجوم ذات الزوايا المتعددة بل يتميز بالاشكال الدائرية ومشتقاتها كالخطوط المنحنية والمقلوبة والمقوسة وهذا الاسلوب في الزخرفة والتطريز يقترب كثيرا من الاسلوب الاشوري ويبتعد كثيرا عن اسلوب مصر الفرعونية الذي يتميز بالاشكال الهندسية ومشتقاتها الا ان الزخرفة بالرغم من عراقتها وقدمها قد تأثرت كثيرا بالفن الاسلامي في العصر الاموي والعصر العباسي.

النخلة وتأثيرها في الفنان:

قد لا نجد فنانا من فناني البحرين لم يتأثر بالنخلة حتى ان البعض اسماهم بفناني البحر والنخلة وقد اشتهرت البحرين بزراعة النخيل من اقدم العصور كما انه من قديم الزمان والبحرين تشتهر بزراعة النخيل، هناك من علماء النبات من يعتقد ان الاجزاء الجنوبية الشرقية من شبه الجزيرة العربية هي الموطن الاصلي لشجرة النخيل وقد اطلق اليونانيون على الاقوام التي هاجرت من البحرين الى سواحل الشام اسم (PHEINICIA) اي النخلة وذلك عندما عرفوا مكانة النخلة في نفوس اولئك المهاجرين.

دور الفنون التشكيلية في التخطيط والعمارة

- سكن الانسان الأول وشواهد الفنون التشكيلية :

احتاج الانسان الأول منذ بدأ الخليقة ، الى المأوى الذى يلجأ اليه للاحتماء من غوائل الطبيعة . وقد وجدت نقوشات حائطية ، دقيقة بديعة الالوان ، على جدران الكهوف التى كان يسكنها ، كما كشفت الحفريات التى أجريت بمناطق تجمعه بمشارق الارض ومغاربها ، عن أدوات مختلفة ، مما كان يستعمله فى حياته اليومية ، جيدة الصنع جميلة التكوين ، ويدل ذلك فى وضوح على مبلغ ما انطوت عليه. نفس هذا الانسان البدائى ، فى كل ما كان يؤديه من أعمال أو يبتكره من أدوات ، من نزعة طبيعية نحو الانتاج العملى المقرون بالابداع الفنى ، ومن قوة الخيال والمقدرة على الاستنباط .

- المعابد والمقابر :

واتجه الانسان بعد ذلك الى تشييد المعابد والمقابر ، تلبية لعقائده الروحية والدينية . واستعمل فى بنائها المواد الصلبة ، خلافا لما اتبعه فى تشييد مسكنه ، مما ساعد على صيانتها ، وقاومت التأثيرات الجوية والطبيعية ، فبقيت أثاها الخالدة حتى اليوم . - وصاحب جميع هذه الانشاءات عناصر جمالية رائعة ، سواء من ناحية التشييد أو الزخرفة ، تؤكد تزاوج العمارة والفنون التشكيلية فى كل عصر ومكان .

- السمات الفنية المشتركة لعمارة كل عصر والصفات المميزة لكل جماعة :

ومما هو جدير بالملاحظة كذلك ، اشتراك آثار كل من التجمعات الانسانية المتشابهة فى عصر من العصور ، فى سمات وعناصر فنية خاصة ، توحد فيما بينها ، وذلك بالرغم مما قد يوجد من صفات مميزة لآثار كل جماعة منها على حدة ، تختص بها دون

غيرها . فالعمارة التى خلفتها لنا النهضة الاسلامية مثلا ، بعد استكمال فتوحاتها وانتشارها شمالا ، ثم شرقا فى آسيا وغربا الى شمال افريقيا واسبانيا ، تشترك فى صفات عامة تعرف بها وتميزها عن غيرها من عمارات الحضارات والتجمعات الأخرى التى سبقتها أو لحقتها ـ وتتصف هذه العمارة فى مختلف البلاد الاسلامية ، من الهند شرقا الى المحيط غربا ، باسلوب ونمط معمارى واحد يجمعها فيما بينها ، ولكنها تختص فى كل بلد من هذه البلاد بعناصر معمارية محددة ، من قباب ومآذن وشرفات وعقود وزخارف ، تعرف بها وحدها دون غيرها ، وتميزها عن عمارة غيرها من البلدان .

وتوجد كذلك مثل هذه الخصائص المعمارية فى كل من الطرز الأخرى التى ظهرت فى مختلف انحاء العالم ، مثل العمارة المسيحية الأولى والرومانية ، ثم القوطية وعمارة عصر النهضة الأوربية . وفى كل بلد من البلاد الاوربية التى انتشر فيها طراز من هذه الطرز ، توجد كذلك مميزات معمارية خاصة تنفرد بها دون البلاد الأخرى ، ويمكن تمييزها بسهولة فى آثار هذه البلاد .

وفى العصر الذى نعيش فيه اليوم ، عندما ظهرت العمارة الحديثة فى أواخر القرن التاسع عشر ، وتطورت تطورا سريعا بنمو النهضة الصناعية ، واستنباط الاسمنت والحديد ومختلف مواد البناء الجديدة الأخرى ، اتسمت هذه العمارة الحديثة فى كل بلد من البلاد الصناعية المتقدمة بالاسلوب الخاص بها ، والذى يتصل من قريب أو بعيد بطابعها الحضارى المميز . والأمثلة على ذلك عديدة ، منها المبانى الجامعية ومنشآت الملاعب الرياضية بالقرب من روما فى ايطاليا التى اقيمت فى الثلاثينات من القرن الحالى ، ومبانى الملاعب الرياضية فى برلين حيث اقيمت دورة الالعاب الاولمبية فى عام ١٩٣٦ . وبالرغم من اشتراك عمارة هذه المنشآت فى طابعها الحديث ، الا ان الاولى اتسمت بروح العمارة الرومانية التقليدية ، بينما وضحت فى الثانية مميزات العمارة الضخمة الجرمانية . وبينما لعب النظام الايطالى وأحجاره الصلبة المصقولة دورا كبيرا فى تمييز عمارتها ، ظهرت فى المنشآت الالمانية ضخامة الأحجار الخشنة البارزة ، مما يثبت الدور الرئيسى الذى تلعبه مواد البناء المحلية فى تأكيد الطابع الذاتى فى عمارة البلاد .

العمارة الحديثة بالبلاد العربية اكتفت بالاقتباس والتقليد

العمارة البحرينية وأبعادها التشكيلية :

يعتبر مسجد الخميس ذو المنارتين ، أقدم بناء اسلامى فى البحرين بل فى جميع أقطار الخليج[٩] ويرجع تاريخ بنائه الى القرن الرابع الهجرى على وجه التقريب .

والنقوش والكتابات التى وجدت فى هذا المسجد كتابات عربية كوفية . ولقد عثر المنقبون مؤخرا تحت بناء هذا المسجد على أنقاض أبنية وقبور يرجع تاريخها الى ما قبل الاسلام كما عثروا أيضا على حجر عليه نقوش وكتابات ترجع الى القرن الحادى عشر الميلادى .

ان جميع المعلومات المتعلقة بهذا المسجد قد عرفت عن طريق وثائق منقوشة على الحجر قام بتصويرها قبل الحرب العالمية الأولى المستشرق الألمانى (ايرنست دييز)

ويتألف المسجد من الوجهة المعمارية من ثلاثة أروقة وهذه الأروقة تحيط ببناء المسجد الرئيسى وهى مقامة على أعمدة اسطوانية تشبه الرحى يبلغ ارتفاعها قدما وقطرها قدمين والجدير بالملاحظة ان حائط القبلة يتكون من أعمدة ، بعكس الحال بالنسبة للحائط الشرقى من المسجد الذى يتكون من أعمدة فردية اما سقف المسجد فيقوم على دعائم من الخشب ويبلغ ارتفاعها ثلاثة عشر قدما ولم يبق من هذه النقوش الحجرية الا أربعة أحجار مكتوب عليها بخط كوفى ومزخرفة بنقوش كوفية جميلة ، أما الاسلوب المحلى فى العمارة فيتضح فى مسجد الرفيع فى قرية بلاد القديم وتتجلى فيه ملامح الاسلوب العباسى فى الهندسة المعمارية وهذا المسجد مبنى على تلة مرتفعة من الرمال ولعل تسمية هذا المسجد ـ بالرفيع جاءت بسبب ارتفاع التلة ، وليس بسبب ارتفاع المسجد ـ غير اننى أعتقد انه ربما يكون سبب الارتفاع تقليدا محليا قديما موروثا عن العهد الآشورى أو البابلى حيث تبنى المعابد على مصاطب [١٠] يتحدث (هيرودوت) عن قصور بابل فيصف الربى العالية التى كانت تشيد فوقها . وليس من شك فى ان فكرة الربوة التى كانت تعد ليقام البناء عليها حتمتها طبيعة الأرض النزه ثم أصبحت تقليدا تشكل بالدوافع المختلفة حتى غدا نمطا من المصاطب يرتقى اليها بالادراج المنسقة الجميلة .

وعلى هذا فان هناك الكثير من المساجد التى بنيت فوق مصاطب وفى العديد من القرى فى البحرين .

السفينة والبحر وارتباطهما بظواهر البيئة البحرينية :

ترتبط السفينة بالبحرين كارتباطها الأبدى بالبحر وحيث ارتبط مصير الانسان ، وهذه الجزيرة ، بالبحر منذ آلاف السنين فركب البحر بحثا عن الحياة فى شواطىء وموانىء البلاد الأخرى وفى أعماق البحر حيث اللؤلؤ فلا عجب أن يضفى البحر من ملامحه على طباعنا وأمزجتنا وتفكيرنا وأخلاقنا ، لقد أثرى البحر تراثنا الشعبى اذ من أجله غنى هذا الانسان ومن أجل التعامل معه طوع عاداته ونظم حياته ومن الهامه ورث أمثاله وأزجاله فموقع البحرين الفريد بين بلاد حوض السند وافريقيا جعل منها مرفأ هاما ورئيسيا فى العلاقات التجارية الدولية بين حضارات هذه الأقطار وذلك ان الصناعة البحرية التى صدرها الفينيقيون الى روما وبلدان حوض البحر الأبيض المتوسط قد استوردوها بدورهم من دلمون [١١] عندما كانوا فى وقت من الأوقات من سكانها لذلك فان الأختام التى عثر عليها المنقبون فى كل من أور ودلمون تدل دلالة واضحة على مدى تطور التجارة فى البحرين منذ أقدم العصور فقد كان موقعها وأسطولها البحرى يؤهلانها للقيام بهذا الدور الاقتصادى . وقد كانت صناعة السفن فى البحرين مزدهرة حتى بداية هذا القرن الا أنها بدأت تضعف نظرا لمنافسة السفن الحديثة من جهة وللانهيار المريع الذى حدث لتجارة اللؤلؤ من جهة اخرى ، ولكن بقايا هذه الصناعة ما زالت موجودة فى (النعيم) شرق المنامة وفى (رأس رمان) و (المحرق) . وهناك تسميات كثيرة لوحدات الاسطول التجارى ، وتختلف التسمية تبعا لحجم وشكل السفينة . والحديث عن السفينة يدفعنى الى البحث عن صناعة اللؤلؤ التى من خلالها سوف نتعرف على فنون كثيرة ارتبطت بها ابان ازدهارها .

صيد اللؤلؤ ومظاهر الحياة :

تعتبر صناعة اللؤلؤ من أقدم الصناعات

التى عرفها الانسان فى البحرين وترجع أقدم الكتابات عن لؤلؤ البحرين الى ٢٠٠٠ق.م فى مدينة (اور) عاصمة الاشوريين فقد كان الملوك الاشوريون يتكلمون عن (عيون السمك) التى تأتيهم من بلاد دلمون كما تحدثت سجلات الفينيقيين ايضا عن لؤلؤ تايلوس منذ اكثر من ١٠٠٠ عام قبل الميلاد وقد ذكر كثير من الرحالة العرب منذ القرن الخامس عشر الميلادى شهرة لؤلؤ البحرين وامتدحوا جودته أمثال الادريسي ، وأبو الفدا وياقوت وابن بطوطة .

كذلك تحدث الرحالة البرتغالى (دوبرات بربرسا) عنه فقال : تزرع البحرين من حولها حقولا من اللؤلؤ ، وفيها كثير من اللؤلؤ الجيد وان تجار الجزيرة انفسهم هم الذين يصيدونه ويبيعونه ويربحون منه أموالا طائلة .

وفى عام ١٥٨٣ م زار التاجر الانجليزى (رالف فتش) جزيرة هرمز فى مدخل الخليج العربى ورأى لؤلؤ البحرين واعتبره من أجود لآلىء العالم على الاطلاق . لقد أصبحت تجارة اللؤلؤ فى القرن التاسع عشر تجارة رابحة تدر الأرباح الوفيرة على أصحابها ويكفى دليلا على رواج هذه التجارة نظرة واحدة على المعلومات التالية فى عام ١٨٣٣ كان دخل اللؤلؤ ما تعادل قيمته ٢٤٠,٠٠٠ وفى عام ١٨٣٥ م ارتفع الى ما يعادل ٤٠٠,٠٠٠ جنيه استرلينى وفى عام ١٨٢١ م أبحرت الى صيد اللؤلؤ ما يزيد على ٥٠٠ سفينة يعمل فيها ما يزيد على العشرين الف رجل [١٢] .

ان أول يوم من أيام موسم الغوص يسمى بيوم الدشة ويعتبر هذا اليوم حدثا كبيرا فى البحرين فقبل ان يهل يوم الركبة بفترة طويلة والناس ، كل الناس ، ليس لهم من حديث الا عن هذا اليوم ، وما ان تشرق شمسه حتى يخرج آلاف الشيوخ والنساء . والأطفال من المنامة والمحرق والحد ومن جميع القرى الى السواحل فى زفات تصطرع فيها مختلف الأحاسيس والانفعالات فالفرح يحتويه القلق والسعادة يعتصرها الألم والمرارة تخرج البحرين كلها . لتودع الرجال الذين ودعوا الأهل والذكريات وخرجوا ليواجهوا أعماق البحر ولقد جرت العادة فى الماضى ان يحضر حاكم البحرين الى (السيف) ليودع الرجال ، ويعطى اشارة التحرك ثم تبدأ (الخطفة) ويرتفع صوت النهام حيث تغادر السفن السواحل تاركة وراءها صدى أغانى البحارة تتردد فى أرجاء الفضاء معلنة عن بدء موسم جديد .

أهوال البحر ومخاطره و الرزق :

ان الأخطار التى يواجهها الغواصون كثيرة فبالاضافة لتعرضهم لأمراض الرئة وخاصة السل فالخطر المحدق دائما هو حيوان (الدول) [١٣] ذلك الحيوان الهلامى الذى لا يهتدى فى سيره لجهة معينة وانما تقذفه الأمواج على وجه البحر حيث تشاء فاذا ما لامس هذا الحيوان جسم انسان أحرقه حرقا مبرحا وربما شوه الموضع الذى لامسه ومن الحيوانات البحرية السامة ايضا حيوان (اللويتى) الذى اذا لامس الجسم أحرقه وحيوان (الديك) الذى يحدث التهابا فى مكان الاصابة تنجم عنه آلام واحتقان [١٤] واغماءة ومن الأسماك الخطرة سمك القرش (الجرجور) ولا نجافى الواقع اذا قلنا انه لا يمكن ان توجد مهنة فى الدنيا كلها أكثر قسوة من صيد اللؤلؤ فى الخليج العربى [١٥] وعندما يصل الرجال الى البحرين مرة ثانية يجتمع الشمل فتدب الحياة من جديد وتنشط حركة البيع والشراء .

وبعد العودة يجتمع تجار اللؤلؤ كل يوم من ممولين لعملية الغوص وطواويش

ونواخذة فى المحلات التجارية (العمارات) والمقاهى يتناقشون ويتحدثون عن اللؤلؤ وعن العروض والأسعار ولا يمثل الاستهلاك المحلى سوى نسبة ضئيلة لا تكاد تذكر من الناحية الاقتصادية فأغلب الكميات المستخرجة تأخذ طريقها الى الهند ومن ثم الى أوروبا وبالذات باريس التى تعتبر أكبر سوق لتصريف اللؤلؤ .

فن البحارة ومقوماته :

ان وحدة الواقع الروحية والاجتماعية وهى تحرك نشاط النوع الانسانى فى طوره الأول عادة ـ قد أدت الى ظهور أنماط متشابهة في انتاج هؤلاء وأولئك .. يبدو ذلك بجلاء فى ولعهم كافة بتبجيل أجسامهم أو أجزاء معينة منها بالأصباغ أو بطريقة الوشم أو استعمال فراء الحيوان وريش الطير لأغراض الاستعمال اليومى وصنع الاسلحة والحلى على نحو متشابه فى الطراز شكلته النظرة الانسانية المتقاربة يسيطر على آثار النشاط الابداعى سواء أكان من انتاج البدائيين أم من انتاج الجماعات الساذجة التى ما تزال تعيش على الفطرة حتى الآن . ومع ذلك يمكن فى شىء من التجاوز عن حرفية المنطق التاريخى ان نجمع بين آثار الأول وانتاج السلالات المتخلفة فى مصطلح واحد وهو (الفن البدائى) ذلك ان مدلول البدائية ينطبق الى حد كبير على أنواع الأعمال التى ينتجها الانسان تحت تأثير عوامل اجتماعية متشابهة بغض النظر عن عوامل الزمن .

والمقابلة بين آثار البدائيين والفطريين ما بين النوعين من علاقات وخصائص مشتركة ، تلمس ذلك بمقارنة الوحدات الهندسية الزخرفية التى ينشئها « البوسمان » على بيض النعام وتماثيل الافريقيين التى تترسم طبيعة الجذع الخشبى ـ فى تشكيل الهيئة على نحو يبقى على قيمتها الطبيعية . كما ان المقابلة بين هذه الآثار وبين رسومات الأطفال تؤكد أثر الفطرة كعامل مشترك بينهم وبين البدائيين .

ومما تقدم يتضح لنا ان الفن الشعبى ينحدر من احدى هذه القنوات التى تعبر عن جماعة متجانسة فالفلاحون ينتجون فنهم وأغانيهم وكذلك البحارة لهم اسلوبهم وفنهم الذى يمتازون به . ونحن نعلم ان الفن هو وليد حاجة جماعية مشتركة بين عدد كبير من أفراد المجتمع . والفن الشعبى بالذات يحول الحاجات الجماعية الى كلمات وأشكال . ان الرسوم فى الكهوف والملاحم والحكايات الخرافية والقصص الشعبية والأمثلة والأهازيج والحرف التطبيقية جميعها من انتاج أفراد استقوا من معين غزير وعبروا عن حاجات الجماعة الانسانية التى ينتمون اليها والفن هو من صنع أناس الى آخرين ، والفن الشعبى يمثل صورة جانبية من الفن الانسانى العظيم لذلك استوعب الفن البحرينى وهضم ذاتيته وأخذ يرسم باسلوب قصصى عفوى وعندما نمعن النظر الى العمل الجيد من هذه الأعمال نحس كأننا نعيش الحالة التى كان يفكر فيها الرسام البحار عندما يبدأ فى رسم الموضوع ، فهو يصور واقع حال يراه بنفسه فتراه يحول الحال الى ذكرى والذكرى الى موضوع يعطيه من احساسه وشعوره ما يجعلنا نعيش معه ذلك الموضوع . ان المسطحات وضعت بعناية فائقة والالوان والتناسق العجيب فى التوزيع كل لون أخذ مكانه المناسب وان جميع عناصر الموضوع تؤدى الى التكامل فى الصورة . بغض النظر عن كون الصورة بدائية أو فطرية الا ان ميول الفنان البحار جعلت صورته تحاكى

الطبيعة من حيث اللون والخط ، تحسبها عمل فنان درس الفن وأتقنه .

ان الصورة التى يتصورها الفنان البحار هى ان جميع العناصر فى حالة حركة وان بساطة التعبير تعطينا الاحساس بما كان فناننا من سعة أفق فى التصور وفى قوة يتمثل بالمواويل والأهازيج والنقش فى السفينة وعمل النماذج الصغيرة للسفن الشراعية والصور المسطحة والحكايات كما ذكرت ان (القفال) تنشط فيه فعاليات فلكلورية كثيرة من الغناء والطرب وذلك بعد عودة الرجال من البحر فى فصل الشتاء ففى هذا الفصل تنشط حفلات (الدور) ويمارس البحارة الرسم وعمل تصاميم السفن الشراعية وهذه الأعمال تباع على التجار الأجانب الذين يحملونها معهم كهدايا الى ذويهم وكانت المقاهى تزدان بكثير من هذه الصور التى تحكى قصة الغوص أو صيد السمك .

وفى الثلاثينات رسمت لوحات للمراكب التجارية والطائرة . كانت الأعمال على طريقة المطحات وتتكون فى كثيرها من خطوط عمودية وافقية تعتمد على الشكل دون ان تقيد خيال الفنان البحار بالأبعاد والأساليب الفنية المعروفة لدى الفنانين المحدثين وربما بدأ هذا الرسم من قبيل الهواية عند البحارة وذلك فى اسفارهم الطويلة فى البحر .. فلقد انطلق هذا الهاوى من عواطفه وحبه للبحر وخياله .



الهوامش

١ ـ كتاب ضرورة الفن ـ ارنست فيشر.
٢ ـ برنارد مايرز الفنون التشكيلية وكيف نتذوقها ص ٤٥ ترجمة الدكتور سعيد منصور.
٣ ـ ان سقراط شيخ الفلاسفة ومعلم اليونان والذى عاصر ازهى عصور الفن اليوناني الكلاسيكي لم يكن يفرق بين الفنون الجميلة والفنون النفعية ـ (وسائل الاتصال) فالفنون بكافة انواعها ينبغي ـ في رايه ـ ان تحقق للانسان نفعا ما او خيرا معينا ويتفق في هذا مع افلاطون في اعتبار الفن وسيلة من وسائل رقي الحياة.
٤ ـ ابتداء من عصر النهضة بدأ المعماريون يانفون من الاختلاط بالعمال والصناع ثم شجعت الاكاديميات هذا الاتجاه فارتفعت مكانة المعماريين في المجتمع ولكنها اساءت اليهم اساءة كبرى بان عزلتهم عن الحياة العملية وعن عملهم الحقيقي في المجتمع وافقدتهم خبرتهم ومعرفتهم بحرف البناء وظروف العمل بينما المعمارى في العصور الوسطى الاسلامية والاوربية كان يعتبر من طبقة الصناع واصحاب الحرف وينطبق عليه ما ينطبق عليهم.
٥ ـ الشيخ عبدالله بن خالد الخليفة عبدالملك الحمر (البحرين عبر التاريخ الجزء الاول ص ١٤٥
٦ ـ الدكتور جواد علي، تاريخ العرب قبل الاسلام الجزء الاول ص ٥٤٥.
٧ ـ Looking for Dilmun. Page 122.
٨ ـ كتاب التراث الشعبى فى البحرين
٩ ـ Welcome to Bahrain J.H. Belgraive P.66 -
١٠ ـ Ships of Yinitzday MDHOT P.25 -
١١ ـ ابو الحسن على بن الحسن المسعودى مروج الذهب ج ١ ص ١٠٩
١٢ ـ الشيخ خليفة النبهانى فى تاريخ البحرين ص ٢٦
١٣ ـ The art of the desert H.R. Dickson P.485
١٤ ـ الدكتور حسين فرج زين الدين الدكتور موسى باسيليوس مع الاسماك (١٠٦)
١٥ ـ قصة الفن التشكيلى محمد عزت ص ١٨ ـ ١٩

وثائق التاريخ

من المصادر

سجلات تاريخية للبعثة

ان الغرض من هذا البحث هو تقييم السجلات التاريخية للبعثة العربية لاصلاحية الكنيسة الالمانية بأمريكا الشمالية كمصدر للمعلومات عن التاريخ الحديث للبحرين بصفة خاصة وعن دول الخليج العربي بصفة عامة .

ان اى مناقشة حول وثائق من هذا النوع لابد ان تتجه اولا لدراسة المادة وشرح كيفية جمعها ثم بعد ذلك تصنيفها لغرض البحث التاريخي .

كان الجمع او التحصيل في البداية عبارة عن تبادل خطابات او علاقات بين رئيس السكرتارية المعين بواسطة لجنة البعثات الأجنبية وبين وكيل السكرتارية المناظرة في نيويورك .

وتأسيس هذه المقار « المحطات » في بصرى - البحرين - مسقط واخيرا في الكويت بين ١٨٩٢ الى ١٩١١[١] دليل قوي على استمرار سريان العلاقات بين هذه المقار وبين لجنة البعثات الأجنبية .

وقد اختيرت البحرين لتكون الموقع الرئيسي الذي تدير من خلاله هذه المقرات المذكورة علاقاتها ، وفي الحقيقة فأن رئيس السكرتارية الذي كان يشرف على التقارير الخاصة بجميع الشئون اتخذ مقره بصفة عامة في البحرين وكانت مقابلاته السنوية

الحديث للبحرين

الأمريكية ١٩٠ - ١٩٢٨م

العربية - نيوبرونسفيك - نيوجرسي

بقلم : ت. أ. انتوني — امريكا

عادة تعقد هناك كذلك . اما التقارير الميدانية عن النشاطات والتجارب فكانت ملقاة على عاتق المشتغلين في مختلف المواقع وكانت تقدم مفصلة وموصوفة . كذلك فأن اى احداث تستحق الاعتبار او الملاحظة عن طبيعة الأحداث السياسية في الأعمال بالمنطقة الخاصة التي تقع تحت ملاحظتهم كان يشار اليها وتسجل في هذه التقارير السنوية ومن ثم تقدم الى مركز ادارة اللجنة[٢] واختيار البحرين كمركز يرجع في الحقيقة الى موقعها في منتصف الخليج العربي اى في منتصف الطريق بين « شط العرب » في الشمال « ومسقط » في الجنوب ، ولذلك فإن معظم المعلومات التي تغطى دول الخليج العربي كانت ترسل من البحرين .

وهناك اعتقاد شائع بأن التاريخ الحديث للشرق العربي بصفة عامة والبحرين بصفة خاصة ـ لأن العصر الحديث تقريبا من سنة ١٩٠٠ حتى بداية الحرب العالمية الثانية والتي تحدد بداية عصر الزيت في دول الخليج ـ معروف ويمكن ان يستقى من مصادر كثيرة .

ومهما يكن فإنه لا يوجد شيء أقيم وأثمن للمؤرخ من شاهد العيان وهو الغريب الملاحظ للحوادث والأحداث ، وهذا لا يقلل من العادات المحلية الهامة التي حفظت بواسطة سكان البحرين أنفسهم . وربما يكون المؤرخ حقيقة اكثر حظا عندما تكون العادات المحلية مسجلة ولكن كما هو

معـروف فإن النبهـاني[٣] فقـط هـو الذي احتفظ ببعضها في تاريخه للبحرين .

ان معـاونة الأعضـاء المختلفين للبعثـة العربية الأمريكية في هذه العلاقة لا يمكن ان تبخس فهم يعيشون في البحرين منـذ سنة ١٨٩٢ وقد شاهـدوا وقوع الأحـداث مثل دخول البحرين الى القرن العشرين ـ عـلى عكس الكتـاب مثـل « النبهـاني » ـ اذ لم يكونوا شاهد عيان ولكنهم كانـوا يسجلون فقط التقاليد المحلية كما قيلت لهم . ولذلك فإن مثل هذا العمل ربما يكون قابلا للنقد اذا ما قورن بكتابات اى شاهد عيان ، وبناء على ذلك فإن قيمة كتابات اعضاء البعثـة العـربية الأمـريكية في التـاريـخ الحـديث للبحرين بين سنـة ١٩٠٠ وبدايـة الحرب العالمية الثانية لم تكن مبالغا فيها .

ان الكتاب المحدثين يميلون الى الاعتقاد بـأن الحقـائق التى تنتمى الى ذلك العصر يمكن ان تـوجـد في الأدب الحـديث لعصر الزيت والتي ظهرت في مطبوعات كثـير من شـركات الزيت . والذي حـدث اثنـاء ذلك العصر من وجهـات النظر الواردة في هـذا البحث لم يكن وثائق تاريخية[٤] .

وقيمة الوثائق التي سبق ذكرها اصبحت اكثـر اهمية ليس فقـط للتاريـخ السيـاسي للبحـرين ولكن ايضا لمجتمعـه ولاقتصاده ولتاريخه الثقافي .

ان دراسة التغير الاجتمـاعي ـ التنمية التعليمية ـ خدمـات الصحة والرفـاهية في المنطقة لم تفحص بعد .

ولقد تقدمت الكويت مثل معـظم البلاد المتقـدمـة في المـنطقـة في حقـل التعليم الحديث[٥] . وكان بدء الكويت المبكر في هذا الارتقاء يؤرخ قبل ١٩٣٦ وهو التاريخ الذي وصلت فيـه البعثة التعليميـة الفلسطينيـة والتي ارسلت بـواسطة « مفتي القـدس » كطلب الشيخ احمد الجابر .

بينما في البحرين ، فيجب ان يلاحظ ان بدايات التعليم الحديث ترجع الى تاريخ اكثر تبكيـرا ، وكـذلك كـانت بـدايـات الطب الحديث .

ان هذه الوثائق التي يحـاول الفرد من خـلالها ان يـدرس تاريـخ بـدايـة التعليم الحـديث والطب الحـديث في البحـرين ، وملازمة التسجيلات المحفوظة بمعرفة الفرق الطبية لا تستخدم فقط في التاريخ الحديث للبحـرين ولكن في الحقيقة لجميـع تاريـخ الشرق والوسط العربي .

ان كلا من الاطباء والممـرضات كتبـوا بتوسع عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية للسكان في الأماكن المزارة عبر الخليج . إذن فالبحرين كانت نقطة البداية والنهاية لجميع الجولات الطبية .

ولا يمكن ان يكتمل اى وصف للسجلات دون ملاحظات قليلة على المجموعة الكبيرة من الصور الفوتوغرافية التى جمعوهـا اذ ان القيمة التاريخية للصور الفوتوغرافية لا يمكن ان تبخس . حيث انها يمكن ان تخدم غـرض المؤرخ اكثـر من اى تقريـر اصلي معاصر كتب بمعرفة شاهد عيان ، مثل هذه الصور الفوتوغرافية ظلت بداخل السجلات يرافقها تقارير معينة ، بينما صـور أخرى جمعت من اعـضـاء البعثـة العـربيـة الأمريكية .

ولذكـر امثلة قليلة لأهمية وقيمـة هـذه الصور الفوتوغرافية فأنني اتناول باختصار الدارسـين المهتمين بتـاريخ الطب والتعليم الحديث ، وفن العمارة ، الاجتماع والتاريخ والثقافة فإنه من الحكمة ان نشير الى هذه المصـادر النادرة كـوثائق . ان المجمـوعـة المختارة المنتقاه من الصور الفوتـوغرافيـة سوف ترى فيما بعد كجزء من التقييم ولكن قبل مناقشة وضع هذه الوثائق التي تتعلق بالموضـوع الرئيسي لهذا البحث فـإنه من

المستصوب ان نشرح كيف ان هذه السجلات التاريخية جاءت الى الوجود ويجب ان يلاحظ انها تمثل جزءا من تقدم مصلح الكنيسة الألمانية في أمريكا .

الخلفية التاريخية :

هاجر المستعمرون الألمان الى أمريكا في بداية سنة ١٦٦٠ وكان معظمهم من البروتستانت والكلفينيون جاءوا من مصلح الكنيسة الهولندية . ومصلح الكنيسة الألمانية في أمريكا اشار الى الحياة الأخرى بـ R.C.A وفي حوالي سنة ١٧٧١ اصبح R.C.A مستقلا عن مصلح الكنيسة الهولندية ، وبدات الـR.C.A باكورة أعمالها التبشيرية في أمريكا نفسها بعد الحرب الثورية سنة ١٧٧٦. وفيما بعد كان هناك عمل تبشيري منظم بين الهنود الأمريكان سنة ١٨٩٥ « كنتوكي » سكان الجبال سنة ١٩٠٠ وفي مناطق اخرى .

الميادين الأجنبية عبر البحار :

أرخبيل « مجموعة الجزر الهندية »

بورنيا جاوا

سيام ١٨٢٩

الهند ١٨٣٩

الصين ١٨٤٢

اليابان ١٨٥٩

بنذويلا العربية ١٨٨٩

افريقيا السودان واثيوبيا ١٩١٨

جنوب شرق آسيا ـ سنغافوره ـ فلبين ـ هونج كونج ـ تيوان ١٩٥١ .

المجموعة الأرشيفية :

مجموعة السجلات « الأرشيف » التي تعرف بنيو برنسفك New Brunswick المتعلقة بالمدرسة اللاهوتية (N.J) تنمو تدريجيا. ان الابحاث التاريخية والوثائق التي تنسب الى الطوائف كانت ملك القائد سينود (Synod) بـ R.C.A في تاريخ مبكر .

كما اصبح أرشيف مواد المدرسة اللاهوتية ، وقد حفظت في الوقت الحاضر بحجرة الكنيسة الألمانية بمكتبة العالم اللاهوتي .

تصنيف مواد الأرشيف :

وثائق قبل الثورة :

مواد تنسب الى مصلح الكنيسة الألمانية بينما بقي المبشر بالدين حارسا لحدود الكنيسة في هولندا القائد سينود (Synod) : (مجمع رؤساء طائفة دينية) لوائح واجراءات المقابلات ، مجموعة قوانين خاصة بالسلطة التشريعية ، قواعد الأوامر ، القوانين التاريخية ، مطابقة الدستور ، تقارير اللجان والكوميسيون ـ تمجيد الأبحاث .

سينود الخاص :

محاضر ، أمين الصندوق ، كتب ، قواعد الأوامر ـ تقارير .

الجمعيات المحلية (الكنائس) :

محاضر الجمعيات الكنائسية ، محاضر شيوخ الكنيسة والشماسين ، الأبحاث التاريخية ، محاضر الجلسات العمومية (شعبية) ـ سجلات الاعضاء المعمودية (التنصير) الزواج ـ الممات ـ تقارير مالية .

لجان التوكيلات :

تقارير ـ مراسلات ... الخ لجان تختص بالاتجاه التعليمي بالمعاش التقاعدي ـ

العائلي (او امـريكا الشمـالية) البعثـات الأجنبيـة (او البعثات العـالمية) ـ عمـل النساء ـ عمل الرجال .

المعاهد التعليمية :

ثلاث كليات في هولندا ، ميتشجن الوسط (Pella) بلا « ايوا » (Iowa) . الشمال الغـربي لمدينـة اورانج (Orang) ايـوا ومـدرستان لاهـوتيتان عنـد نيو بـرنسفك (Newbrunswick) (N.J) وهـولندا ، ميتشجن .

المطبوعات :

التابع التـاريخي لـ R.C.A ـ سجلات شخصية او وزارية :

ابحاث ومراسلات مثل هؤلاء الرجال مثل ادوارد تـانـجـور (Edward Tanjore) كـوروين (Corwin) ادوين كـالفـرلي (Edwin Calverly) ملتـون هـوفمـان (Milton Hoffman) بـول هـاريسـون (Paul Harrison) الياس فان بونشوتن (Elias Van Bunschooten) تيـودورز يـعـقـوب (Theodorus Iacobus) وآخرون .

بعثات أجنبية او عالمية

البعثة العربية :

وثائق عن البعثة العربية تغـطى اربعة مقـار مختصة بـارساليـة تبشيريـة والتي تديرها الـ R.C.A لتنشأ في شـرق البلاد العـربية . المقـر الأول انشيء في البصـرة (Basra) سنة ١٨٩٢ وقد تبعـه آخر في البحرين في نفس السنة اما الثالث فهـو في مسقط في السنة التالية . اما المقر الأخير فقد انشيء في الكويت في سنة ١٩١١ .

أمـا المراسـلات الى أو من هذه المقـار الأربعة يمكن تقسيمها الى نوعين :

اولا : وثائق مطبوعة وتتضمن :

أ ـ ١ ـ التقارير السنوية من رقم ١ ـ ٢٤ سنة ١٨٨٩ ـ ١٩١٢ جزء واحد .

٢ ـ خطابات كل ثلاثة شهور « ربع سنوية » ١ ـ ١٠ ١٨٩٢ ـ ١٩٠١ جزء واحد .

٣ ـ العربية المهجورة « كل ثلاثة شهـور » ١١ ـ ٢١٥ ١٩٠٢ ـ ١٩٤٩ خمسـة أجزاء .

٤ ـ النداء العربي ٢١٦ ـ ٢١٧ ١٩٤٩ ـ ١٩٦٢ جزءان .

ب ـ تقارير اللجان الأجنبية :

بعثـات الـ R.C.A في احد عشر جـزءا ١٩٨١ ـ ١٩٦٠ والزمن من ١٨٩١ ـ ١٩٣٨ وهو في سبعة اجزاء .

ثانيا : وثائق مخطوطة :

وهذه تشمل :

١ ـ عشرة دوسيهات من المراسلات وهـذه خطابات أرسلت الى بلاد العرب من رئيس مركز ادارة الـ R.C.A في مدينة نيويورك .

الفصلة رقم ٧٥٠ :

فى جزء واحد بدأت فى ٢٧ يونية ١٨٩٠ .

الفصلة رقم ٧٥١ :

وهى فى ثلاثة أجزاء منفصلة .

فصلة رقم ٧٥٢ :

وهى فى ستـة أجـزاء منفـصلة ١٨٩٠ ـ ١٩٠٩ .

٢ ـ عشر فصلات من المراسـلات . يوجـد خطابات ارسلت من بلاد العرب الى رئيس مركز ادارة الـ R.C.A فى مدينة نيويورك .

فصلة رقم ٧٥٣ :

وهى فى سبعـة أجـزاء منفصلة ١٨٩٠ ـ ١٩١٧

فصلة رقم ٧٥٤ :

ورق مفكك ١٩٥٠ ـ ١٩٦٨ .
فصلة رقم ٧٥٥ :

ورق مفكك خطابات شخصية للدكتور صمويل تويمر (Dr. Samuel Twemer) خاصة بأبنته مسز بيكو (Pickens) .

٣ـ بعثة (Ledger) العربية (بعثة الحسابات العربية) : وهي في خمسة أجزاء ١٨٩٠ ـ ١٩٢٥ .

والمواد التي يتطلبها تاريخ البحرين الحديث وشرق البلاد العربية في هذه السجلات يمكن الحصول عليها من كلا المصدرين المطبوعة والمخطوطة على ان المصادر الأخيرة مهمة فهم يستعملون الاحتياجات الرئيسية الشخصية ليس فقط لموظفي البعثة العربية الامريكية ولكن ايضا المواد اللازمة لأعمال مقارهم .

وأحيانا يصادف الباحث العلمي معظم المعلومات القيمة التي تتناول الموقع السياسي السائد في الوقت الذي تكون فيه الرسالة قد وصفت احداثا معينة في تفصيل مثل العلاقات البريطانية مع حكومة البحرين ، او خواطر على الشئون السياسية لدول الخليج نفسها[٦] . حقا ان بعض هذه الخطابات أشار الى المناظرة الدولية بين القوة الأوربية في منطقة الخليج ، تفاصيل سياسية واقتصادية وتغير اجتماعي ترك ظاهرا للتقارير المرسلة . من المقار بوجه عام وقد اشير اليها كتقرير سنوي . هذا التقرير السنوي يشير دائما الى السنة السابقة عليه الى حين ان ينشر في السنة التالية ، وهذه التقارير مخالفة للحقيقة لأنهم اتبعوا شكلا معينا اذ انها انقسمت الى اربعة اقسام منفصلة ، سميت باسم انجيلية ـ طبية ، سياحية ـ وتعليمية . وهي تحتوي دائما على مقالات عن السياسة والطبيعة الاجتماعية للأربعة الانواع . وربما يعتبر اقلها اتصالا وانتسابا لهذا البحث الفرع الانجيلي » ومن المحتمل ان يكون اقل نجاحا بالنسبة للبعثة العربية » .

ومن جهة اخرى فقد حقق الطب اعلى درجة من النجاح ونجحت البعثة العربية ليس فقط في ارسال الاطباء الى مقارها الأربعة في الخليج ولكن نجحت ايضا في تخطيطها لبناء مستشفيات لكل من الرجال والنساء اما المعلومات التي قمنا بجمعها من كتابات وتقارير هؤلاء الأطباء الموهوبين فإنها لا تساعد فقط المؤرخ الذي يدرس المجتمع والبناء الاقتصادي للمجتمع ولكن ايضا تفيد المؤرخ الطبي اذ يستطيع ان يؤلف كتابا عن تاريخ الطب في الشرق العربي عامة والبحرين خاصة .

وقد حققت الأمراض المتفشية ذاتها وعدد المرضى المعالجين وقد لخصت في بيانات احصائية[٧] سنوية .

ويجدر هنا ان نسجل نقطة هامة وهي ان مثل هؤلاء الجراحين الممتازين ـ مثل الدكتور ـ « بول هاريسون » قد استفادوا كثيرا من تجاربهم في البلاد العربية ثم عادوا بها الى وطنهم بأمريكا . وقد أشار في كتابه « العرب في وطنهم » و « الطب في البلاد العربية » الى عدد العمليات الجراحية الكثيرة التي كان يجريها بين العرب والطريقة الفنية التي كان يستعملها في معالجة المرضى والتي لم تكن شائعة في ذلك الوقت[٨] في الولايات المتحدة .

وبسبب هذا الانجاز العظيم كان يكرم بعديد من الجوائز الفخرية من المعاهد العلمية مثل « جون هابكينز » (Johns Hapkins) وجامعة (Yale) .

وكاتب هذا البحث لم يطلع على اى تجربة « او محاولة » في البحرين او دول الخليج الاخرى نحو تأليف تاريخ الطب الحديث في المنطقة .

ومن المحتمل ان تبذل الجهود لكتابة مثل هذا التاريخ بمساعدة المادة اللازمة من السجلات والتي تحت الدراسة وكذلك احصائية الأمراض المتفشية والتي لا تخرج عن هذا الموضوع .

ويقول دكتور لوس :..كان ظني بسبب النقص في الأطباء(٩) المؤهلين ان العمل الطبي بالبحرين سيكون غير منتظم تماما ان لم يكن خامدا ... ولكن تخيل دهشتي عند وصولي منذ اسبوعين وأنا اجد المستشفيات العظيمة والمريحة تعمل طوال الوقت وبمنتهى السرعة وكانت مملوءة بالمرضى بمعدل ستين حالة مرضية تعالج كل صباح بالعيادات الخارجية كما كان يلبي النداء الى منازل المرضى . وزيادة على ذلك فإن مستوى الحالات المرضية لم يكن من النوع البسيط مثل التهاب الفم أو ظفر غارز في اللحم « مدوحس » وخلال مدة اقامتي لاسبوعين هنا أجرينا عشرين عملية جراحية في العين وعملية بتر واستئصال ورم وخلع عديد من الاسنان وحالات طبية مثل التهاب البليورا والالتهاب الرئوي - سل درني - وحمى التيتانوس الجدري - الجذام - انفلاج نصفي وأمراض القلب العديده وحالات اخرى مثيرة .

ومن أمراض النساء حالات عديدة كالالتهابات ونقل وخياطة وغيرها من الاختصاصات .

والشيء الغريب ان المرضى هنا لم يعرضوا انفسهم للعلاج الا بعد ان يكون المرض قد وصل لمراحل متقدمة ، ولكن يبدو ان لهم عذرهم في بعض الحالات وهو انهم كانوا يعانون المرض منذ سنوات قبل ان يكون هناك مستشفى . وحوالي ٧٥٪ من الناس يعانون من أمراض العيون مثل الرمد الحبيبي - ومرض الشعرة - قرحة العين - والغباشة او العتمة ، ومن الأمراض الشائعة الرمد .

وفي الحقيقة يجب ان يكون هناك متخصص في كل الفروع الطبية وغرف العمليات لاستيعاب الأعداد الكبيرة من المرضى الذين حضروا للعلاج . فالعمل كبير وشاق والمشاكل كثيرة لدرجة انه لا توجد دقيقة واحدة للتفكير(١٠) .

يقول دكتور لوس باترسون : في سنة ١٩٠٣ فيما يختص بالأمراض الشائعة ، في يناير سنة ١٩١٤ اى بعد عشر سنين من « دكتور بول هاريسون » يكتب من البحرين في بحث له بعنوان « **عملنا الطبي** » فقد توسع فيما وصفه الدكتور باتريسون مقارنا بين ما يتكلفه المريض الداخلي في المستشفى العام في (Massachusetts) وبين المستشفى في البلاد العربية(١١) .

والمستشفى العام في (Massachusetts) تصرف حوالي ٤٦ سنتا لكل مريض خارجي هذا مع الاقتصاد الكبير . والمستشفى تهتم سنويا بحوالي ٥٠٠ مريض داخلي ، ١٥ الف مريض بالعيادة الخارجية اى ليس اقل من ١٠٠٠ دولار ويضيف.. انه من المثير ان، تقارن بين حالة الطب في البلاد العربية وأمريكا ، كثير من الصور المتشابهة مع بعضها ولكن لا يوجد نقص بارز يلفت النظر .

واينما يذهب الانسان في كل مكان في الخليج وميكروب الملاريا يتبعه ، حتى الكويت كانت خالية عمليا في الماضي اصبحت هي الاخرى مصابة . ففي سنة ١٩١٣ اصبحت العيادات الخارجية للرجال بالكويت تعالج حالات كثيرة من الملاريا اكثر من أى مرض آخر . وفي البصرة ، البحرين ، ومسقط ، اصبح الموقف الطبي يسيطر عليه مرض الملاريا وحتى الأوربيين احيانا ينالهم المرض . أما مسقط فهي

الدولة الوحيدة التي تفشى فيها مرض الحمى .

والأمراض التناسلية تعد في المرتبه الثانية بعد الملاريا ولا أحد يعرف عدد المرضى الملازمين للفراش ولكن بالتأكيد مثل هذه الأمراض تظهر اكثر تفشيا هنا .

والسل الدرني متفش بصورة مرعبة والسؤال لماذا هذا التفشي والجواب صعب . ويلاحظ ان بدو الصحراء الرحل - والذين يعيشون خارج ديارهم كل الوقت والذين لديهم تحمل طبيعي في ابدانهم ومشهورون به - اكثر تألما من سكان المدينة ومعنى ذلك أن المرض متفش في كل مكان .

والسل الرئوي متفش تماما ولكن يبدو ان حالات سل العظام زادت اكثر في المفاصل - الجلد - البريتوني ... الخ.. والعرب كما يبدو لا يملكون أى مقاومة للعدوى . والدمامل ، « اصبع المدوحس » .

ويكمل الكاتب ....

انه توجد بعض الأمراض واسبابها ليست غامضة مثل مرض القوباء « وهو يشبه القراع » والقراع ... الخ.... وهي ترجع عادة الى عدم النظافة والاطباء يتمنون ان يكون علاجهم سهلا مثل تشخيصهم للمرض . واهمها تغيير العادات الخاصة بحياتهم للتخلص من قراع الرأس .

ان آلاف الأشخاص من البحرين والكويت يعانون من تعب بالأذن . ويبدو ان كثيرا منهم عرضة للسل . وان هذا لا يدهش كثيرا عندما نعلم ان كثيرا منهم يبصق دما لمدة اسبوع او اكثر ويتفشى ذلك عند بداية موسم الغطس وعندما تكون المياه شديدة البرودة .

مرض الاسقربوط وهو مرض متفش عند نهاية الموسم وترجع اسبابه الى الفقر الغذائي والعمل المضني . وفضلا عن ذلك فإن المرض يرجع لنوع الغذاء الذي يؤكل

والذي يستحق الذكر مرض ضعف الاسنان في « عمان » .والذي يرجع الى اكل البلح .

اما الاطباء الذين ينسبون الآلام الروماتزمية الى غذاء اللحم فهم لا يعرفون شيئا عن بلاد العرب . اذ ان بدو الصحراء عندما يكونون قادرين مغرمون بالافراط في الطعام وقادرين على التهامه بكميات كبيرة اذا ما حصلوا عليه .

والروماتزم المزمن يكون شامل الشكوى في الجسم ويبدو انهم جميعا يعانون منه بعد سن الخامسة والثلاثين . وبدون شك هناك البعض منهم يتملصون ولكن النسبة مرتفعة جدا . وسببه انه غالبا ما تكون اقدامهم عارية لا يلبسون ما يقيها سواء في الصيف او في الشتاء بالرغم من انهم يلبسون اربع او خمس قطع ثقيلة من الملابس ليحموا باقي الجسم . وهذا من المحتمل ان يكون أحد اسباب الشكوى والمعاناة .

ويضيف د . هاريسون ... انه لم يكتمل أى بيان عن الأمراض في بلاد العرب سوى امراض العين والتي تعد اكثر الأمراض تفشيا وكل الذي نعرفه هنا من كل هذه الأنواع مرض التهاب واحمرار الملتحمة عند الصغار واظلام عدسة العين عند الكبار . وحالات كثيرة من الالتهابات بسبب الشمس ، الرياح ، الغبار . وحالات اخرى كثيرة من مرض « الزرقاء » واحيانا قرحة القرنية . وأمراض الحجب « اظلام العين » وربما حالات كثيرة من الرمد الحبيبي الحاد والمزمن مع ملحقاته مثل مرض الشعرة « شعرة العين » وهو مرض قابل للعلاج باجراء عملية بسيطة .

والذي يدهش ان مرضا انتشر حديثا في البلاد العربية ويعاني منه عدد كبير من الناس وهو مرض الندبة البيضاء المخيفة فوق مقلة العين « وهي التي تسمى سحابة » واغلبهم يصير اعمى بسبب هذا المرض .

واذا نجح الدكتور (Magitat) الباريسي في ان يكـرس مجهوداتـه في زرع قرنيـة عين الأرنب للمصـاب بهذا المـرض فيكون قـد اسدى للبشريـة اعظم خـير وكذلك لبـلاد العرب .

ان الاوبئة مثل وباء الكوليرا ، الجدري ، الطاعون كانت كثيرة في البحرين ومنـاطق اخـرى من الخليـج العـربي ، والدكتـور « ستانلي » (Stanly) الذي بدأ تجاربه اولا في البحرين قبل الكويت كتب بتوسع عن هذه الأمراض وغيرها في مذكراته والتي ما زالت في صورة مخطوطات(١٢) .

متابعة مذكراته :

وفي اثنـاء خدمتي بـالبحرين اكثـر من خمس سنوات اثنتين منها في وباء الطاعون الدمـلي واثنتين في وبـاء الكوليـرا ، ووباء الطاعون الدملي كان متوقعا سنة بعد سنة . وما زال يرن في سمعي نداء « شارون توم » عندما دخل فناء منزل يومـا ما في الصيف ونادي الطاعون هنا وكان « شارون » يتمتع باعلان الخبر بينما كنت جالسا مع زوجتي في الفيراندا أدرس اللغة العربية .

والطاعون مرض مخيف اذ ان له علاقة ملحوظة بالفئران منذ قديم الزمن اذ ثبت من الدراسات في الوقت الحاضر ان برغوث الفأر له شأن كبير في نقل العدوى .

ولنعد للفأر ، ان العـلامة الاولى لوبـاء الطاعون هي موت الفئران في الشوارع وفي المنازل وهذا هـو الانذار لاقتـراب الوباء ، فالفئران تقع فريسة للمرض وعندما تموت فإن البراغيث تتركها ورغم ان براغيث الفأر لا تصيب في العادة الانسان . ولكنها تفضل ان تتغذى على الانسان احسن من ان تموت جوعا . والأغلبية العامة من الناس لا تعرف ذلك ، ولكنهم ايضا لا يعرفون انه عنـدما تضعف الفئـران وتزحف خـارج الشوارع لتموت فإن وباء الطاعون لم يعد بعيدا . اما وباء الكوليرا فإنه اكثر خطرا من الطاعون والناس يموتون بالمئات في ساعـات قليلة ، فإن الشخص ينهار في الشارع وبعد وقت قليـل يكون في قبـره ، ومن ثم كان الرعب يملأهم تماما . واصبح المرض يفتك بعائلة بأكملها ، واصبح اكثر من بيت لم يعد فيه فـرد واحـد يشغله ، الرجـال ـ النسـاء ـ الاطفال جثث هامدة واصبح من الصعب ان تنقل الجثث وتدفن ويحفـر لها قبـر بعمق مناسب وذلك لكثرتها .

وكـان لمجلس البلديـة فضـل كبـير في القضاء على مرض الطاعون اذ انه حافظ على نظافة المـدينة وكـذلك الاهتمام بـالخدمـة الطبية . اما الكوليرا فقـد اختفت منذ ان بدأت الآبار الارتـوازية تمـد السكان بمـا يحتـاجونـه من الماء . واصبـح العامـة لا يحتاجون الى شرب المياه السطحية الملوثة . ومرت سنوات عديدة منذ آخر وباء للطاعون والكوليرا بالبحرين .

أما عن الأمراض الطفيلية فكان احد هذه الأمراض متفشيا بالبحرين منذ اربعين سنة وكان يطلق عليه اسماء مختلفة منها دودة الجـيـنـا (Guinea Worm), (Linga Worm) ودودة زنـزبـار (Zanzibar Worm) بـابـوك (Payyuk) امـا الاسم العلمي فـهـو (Dracunculus) واسمـاء اخـرى وهو يعـرف الآن بـاسم (Filaria Medenensi) وتاريخ حيـاته يـدعو عـامة للاهتمام .

ان المريض يحضر الى المستشفى وتظهر عليه قرحة عادة تكون في الجزء الأسفل من الرجل او بالقدم وبالفحص والكشف الدقيق يندلع من القرحة دودة بيضاء لامعة تشبه الدودة الشعرية وقد يخطر للقارىء ان كلمة (Vermiceili) كلمـة ايطاليـة تعني دودة صغيرة وهذا الجزء المندلع من الدودة يلتف

حول ما يشبه عود ثقاب ليمنعها من سحب نفسها خارج الأنسجة ، وليس من الممكن ان تشد الدودة الى الخارج خاصة اذا كانت ملتفة خارج العصب ، ولكن كان العلاج الشائع هو ان يجرح قليل من الدودة على عود الثقاب كل يوم حتى تنتهي .

والدودة كاملة النمو يبلغ طولها حوالي ١٨ بوصة . وهذا هو سن البلوغ في انثى الدودة ، والذي يؤدي لنمو هذه الجراثيم هو ذهاب المريض دوريا الى بئر الماء ويغسل قرحته وبهذه الطريقة تترك كثير من الجراثيم في البئر اذن ماذا يحدث لهذه الجراثيم ؟ تعوم في الماء وتلتهم بواسطة سرطان الماء « ابو جلمبو » ويطلق عليه علميا (Cyclops) « حيوان مائي » وداخل هذا الحيوان تبدأ الجرثومة دورة النمو الأول ، وبعد ايام يذهب احد العامة وبدون انتباه يشرب من هذه البئر ويبتلع هذا الحيوان .

وفي عملية الهضم فإن العصير المعوي للانسان يهضم هذا الحيوان ولكن الجراثيم تبدأ مرحلة النمو الثانية فتأخذ طريقها بعيدا عن جدار المعدة وتستقر في عضلات الأنسجة حيث تصل الى كمال النضج وعندما تستعد لطرد ذريتها فهي ترتد خلال الجلد اولا بأول .

ولحماية الجسم من هذا المرض فإنه من الضروري شرب الماء من خلال منديل حتى يحجز الحيوان من انحداره ، ولكن هذا التحفظ مرفوض اذ ان الشك مألوف .

ولقد نزعت اكثر من احدى عشرة دودة « من الدودة الشعرية » من مريض واحد واحيانا كنت استطيع ان أزيل احدى هذه الديدان كاملة . وأذكر انني لاحظت في احدى الحالات ان شيئا ما يتحرك تحت جلد ذراع احد المرضى وكان مستلقيا على منضدة العمليات منتظرا الجراح الذي سيبدأ العملية ، ولما كان المريض تحت التخدير فقد فتحت جزءا صغيرا وسحبت الى الخارج نموذجا للدودة الكاملة النمو ، وهذه الدودة موضوعة الآن في اناء بالمتحف .

وحالات الدودة الشعرية ترى الآن في البحرين وهي دخيلة جاءت من ايران . واذا لم يبتلع العامة الحيوان المائي في شرابهم للماء فانهم لن يصابوا بالدودة الشعرية وبالتالي لا يستطيع الحيوان المائي ان يجد طريقة الى مئات الأقدام .

وفي احدى العمليات الجراحية المبكرة التي قمت بها كانت حالة قدم « المادورا » هذا المرض المضني المتسبب عن الفطريات والذي يبدأ بالجلد وينمو منحدرا حتى تصير الأنسجة كلها عبارة عن كتلة من الانفاق والجيوب المملوءة بالصديد الكريه الرائحة ، اما المريض فقد جاء من ساحل « القرصان » .

ويستمر Mylrea في مذكراته :

وفي هذه الأيام كانت البحرين تحكم بواسطة الشيخ المشهور الشيخ « عيسى آل خليفة » وقد انتخب في سنة ١٨٦٧ (Sic) وكان شيخا كبيرا موقرا بلحيته البيضاء وكنا اصدقاء وكنت دائما استدعى لمقدرتي المهنية . وكان كريما دائما راضيا عن خدماتي وكان يسهم بحقائب كثيرة من الروبيات الفضية لدعم ايرادات المستشفى التي لم تكن كبيرة في هذه الأيام .

والموضوع الثاني الذي يلي الطب في الأهمية في هذه التقارير هو موضوع السياحة سواء كانت داخلية مع البحرين او خارجية عبر الخليج الى البر الأصلي لبلاد العرب خاصة ساحلها الشرقي وفي كلتا الحالتين فإن فريق السياحة الطبية يقوم بزيارة القرى في البحرين نفسها[١٣] وهذا امر يثير اهتمام المؤرخ الذي يهتم بالنمو الاجتماعي والتغير في الوقت الحديث ،

وربما الرحلات الى البر الأصلي من ١٩٠٠ الى ١٩٣٨ تعتبر اكبر اهمية للمؤرخ الذي يهتم بشرق البلاد العربية ، ومن ثم فإنه من خلال دراسة تاريخ البحرين الحديث يمكن ان تجمع معلومات لا يستطيع اى مصدر محلي او غير ذلك ان يقدمها . وهذا لأن الفريق الطبي الذي رحل عن البحرين الى البر الاصلي لبلاد العرب كان مكونا ليس فقط من الاطباء الذين لهم ملاحظاتهم الصحيحة . ولكن ايضا من الممرضات حيث كن يقمن بالشرح لسكان المنازل التي يزرنها وهذا لا يقدر بثمن . ولذلك فإن المؤرخ يستطيع ان يستنبط صورة واضحة عن المجتمع الكبير . ويجدر بالذكر ان هذه السياحات لم تتناول فقط المناطق المجاورة مثل « الحسا وقطر » ولكنها ايضا اخترقت مناطق اعمق في وسط البلاد العربية مثل نجد في الغرب .

وكذلك (Trucial Shaikh Doms) وهو ساحل (Trucial) للامارات العربية المتحدة والتي هي الآن في الجنوب[١٤] .

ويمكن للانسان ان يتحقق كيف ان دراسة التاريخ الحديث للبحرين تخدم في كشف واظهار الحقائق التاريخية المجهولة في هذه المناطق ، وهذا بالطبع ليس مجالا لدراسة تاريخ الطب في هذه المناطق ، ولكنه يكفي ان نقول انه بالاهتمام بهذه التقارير سنجد معلومات كافية في هذا الموضوع . وبالرغم من ان البحث ليس عن التصوير واهمية الصور كدليل تاريخي الا انه يجب ان يلاحظ ان هؤلاء الاطباء والممرضات قد أخذوا كثيرا من الصور الفوتوغرافية التي تعتبر ذات قيمة عظيمة للدارسين في النظم المختلفة .

علاوة على ذلك فإن مؤرخي هذه المناطق سوف يجدون معلومات نادرة عن طبوغرافية الأقاليم من حيث المناخ . الحيوانات ـ بناء السفن ... الخ .

واخيرا وليس آخرا فإن الدارس لتاريخ التعليم الحديث في البحرين سوف يجد منجما من المعلومات في هذه السجلات .

ومرة اخرى فإن الكاتب يحب ان يؤكد ان هذا ليس مجالا لمناقشة ارتقاء التعليم الحديث في البحرين ، وليست هذه الأوراق الا مذكرة مختصرة في هذا الموضوع .

ومن المقرر بأمانة ان اعضاء البعثة العربية بالبحرين اعطوا التعليم مكانا مرموقا في انشطتهم وان نواة المدارس الحديثة بدأت في البحرين لتؤدي عملها بمقياس متواضع في نهاية سنة ١٨٩٠ ، ومهما يكن فإن معظم التدريس قد انجز بواسطة خريجي الجامعة الذين لم يكونوا بالضرورة مدربين على التدريس ولكن اول مدرس رخص له ليكون معلما كل الوقت كان السيدة « اليزابيث دام » زوجة دكتور لويس دام وقد وصلت سنة ١٩١٩ واصبحت المديرة الاولى للمدارس الأمريكية[١٥] . اما مدارس البنين فقد اديرت بواسطة المدير مستر « برنارد هاكن » .

ومن المدهش ان نلاحظ ان لغة التعليم في هذه المدارس الأمريكية كانت اللغة العربية ، وبالرغم من ان المدرسين كانوا امريكيين[١٦] . وان تفاصيل مراحل هذه المدارس في منظمة التعليم الحديث بالبحرين يمكن تتبعها بوضوح تام في هذه السجلات التاريخية ولذلك يمكن ان نستنتج ان بداية التعليم الحديث في دول الخليج له ضرورة في البحرين كما اشرت سابقا في مذكراتنا الافتتاحية[١٧] .

لذلك فإن معظم التقارير كانت سنوية بعكس التقارير التي كانت تقدم من مقارها في شرق البلاد العربية الى لجنة البعثة

الأجنبية في نيويورك فقد تناولت السياحة والطب والتعليم .

والقارىء لسجلات وارشيفات البعثة العربية سوف يجد معلومات غزيرة عن الموضوعين المهمين وهما السياسة والتغيير الاجتماعي ، هذان الموضوعان كانا بالطبع لهما الأهمية الرئيسية في بداية نشاطات البعثة العربية .

وملاحظة عامة ربما هي خلاصة السياسات المتضمنة في تأسيس المقار « الدول » في شرق البلاد العربية وهي ان الأمريكيين الوافدين الى المنطقة كانوا قد اكرهوا على ان يعيشوا مع وجود البريطانيين في المنطقة وفي نفس الوقت برهن هذا الحدث على انه كان من الصعب حقا . ذلك ان البريطانيين قد اشتبهوا في ان بعض اعضاء البعثة العربية لم يكونوا مخلصين في تحديدهم العمل ولكنهم فضلا عن ذلك كانوا سياسيين وهذا الاشتباه قوي عندما بحث الاطباء عن التصريح ليعبروا الخليج من البحرين الى البر الاصلي للبلاد العربية في نجد وساحل (Trucial) .

هذه النقاط المتناقضة لم تظهر فقط في الارشيفات التاريخية ولكن ايضا بالسجلات البريطانية في نفس الوقت[١٨] .

ان السياسة المحلية والتغير الاجتماعي تستقى ايضا من هذه الوثائق وكثير من المراجع الخاصة قد عملت بمعرفة الاطباء عن السياسة المحلية لجزيرة البحرين[١٩] . وهذه المراجع كان يمكن ان تؤخذ باهتمام لأن الكتاب كانوا عادة اطباء ، وهم الذين لم يخلطوا ـ ليس فقط ـ بين اغنياء وفقراء المجتمع ولكن ايضا كانت لهم علاقات قريبة وشخصية مع الأسرة الحاكمة مثلهم كمثل البريطانيين ولنستشهد بمثل معين يمكن للفرد ان يقرأ تعقيبهم على تأسيس اول مجلس بلدي للبحرين[٢٠] .

الذي يطبق على السياسة المحلية ويناسب التغير الاجتماعي ، ان الاطباء والممرضات في البعثة العربية كان عندهم رد كبير في تقاريرهم عن الخطابات والكتابات عما رأوه او شاهدوه من التغير الاجتماعي الذي اخذ مكانه ببطء في المجتمع البحريني . هذه المجموعة من المحترفين كانوا يتعاملون يوميا مع جميع الطبقات الاجتماعية بالبحرين . الصغير ـ الكبير ـ الغني ـ الفقير ـ الرجال ـ النساء ليس فقط في العيادات الخارجية والمستشفيات ولكن ايضا في منازلهم[٢١] .

وكانت زياراتهم السياحية بالجزيرة غير مقيده « بالمنامه » او المحرق ولكن ايضا امتدت الى معظم القرى بالقرب وخلف منطقة « الرفاع »[٢٢] .

حقيقة ان اى مؤلف اجتماعي كتب عن التغير الاجتماعي في البحرين خلال النصف الاول من القرن العشرين سوف يكون بحثه قد ادى خدمة كبيرة اذا استعان بهذه الارشيفات التاريخية ولا يكون الفرد مبالغا عندما يقول ان بحثه او بحثها تنقصه المعلومات الواقعية اذا كانت هذه السجلات لم تفحص كما يجب .

وفي تلخيص قيمة هذه الارشيفات التاريخية لتاريخ البحرين الحديث يمكن الفرد ان يقرر اهميتها للمؤرخ .

ان المختص بالعلم الاجتماعي والاطباء وأخرين لم يقدروا ، والكاتب الحالي يعرف ان بعض العلماء والمؤرخين وأخرين استعملوا الوثائق في كتابة ابحاثهم العلمية والرسائل العلمية ولكن لسوء الحظ ان هؤلاء الباحثين كما يبدو لم يتناولوا هذه الوثائق بالانصاف[٢٣] ومن ثم فإن ابحاثهم العلمية لا تعكس ثراء المادة التي احتوتها وهذا يمكن ان ينسب الى الحقيقة القائلة بأن مثل هؤلاء الباحثين اما مروا خلالها بسرعة

« أى بـدون تعمق » او انهم انحـرفـوا في محاولتهم كنتيجة لقراءة هذه الوثائق .

وان اهمية الباحث في التـاريخ هي انـه يجب ان يحاول دائما ان يحتفظ بطبيعتـه بالأمل وان يستفيد من وجهات نظرهم نحو هذه الوثائق بعد ان يقرأ البحث الحالي .

ان المادة الطبية الموجودة في المجمـوعة رفضت وهذا بسبب وفرة الاحصائية الطبية التي يستـطيع ان يستفيـد منهـا كـل من المؤرخ والطبيب ، ومع ان السياحة الطبية تمد القارىء بالمواد المسلية وذلك بواسطة الوصف الفني ليس فقط عن الأماكن المزارة ولكن ايضا عن الصحة والمـرضى . الا ان ملاحظات كل من الاطباء والممرضات كانت قوية وثابتة في عملهم الهادف .

ويجب ان نقرر في هذه الخاتمة ان حقل التقـاريـر لم يغـط فقـط القيمـة الطبيـة والتعليميـة لهذه الارشيفـات ولكن ايضـا تعاملت مع موضوعـات اخرى هـامة مثـل الحـرف والتجـارة بـالبحـرين وكـل من الاستيـراد والتصديـر[٢٤] ، وصيد اللؤلؤ وهي في الحقيقة لها قيمة خاصة للجزيـرة التى اشتهرت بصيد اللؤلؤ . وكان التجار يفـدون من امـاكن بعيـدة مثـل بـاريس ونيويورك ليتمموا او ينجزوا اعمالا في هذه السلعـة الثمـينـة . والوصـف الواضـح للمجتمع البحريني خلال هذه الفترة متوافر في هذه التقارير .

ان دور نساء البحرين كما صوره مؤلفو هـذه التقاريـر يجب ان يؤخـذ في الاعتبار وكذلك الصور الفوتوغـرافية التي اخـذت بواسطة اعضاء البعثة العـربية ، فلم تكن الصـور مجرد ملحق لـملاحـظاتهم ولكنهـا بـالتأكيـد تصنيف شاهـد عيـان تـاريخي مهم[٢٥] .

NOTES

1. See early correspondence for year 1901 from S. Zwemer in Bahrain to Dr. H. Cobb, Secretary to the Board of Missions in File 752 in six separate sections, 1890-1909.
2. See **Ibid.** and also Files nos. 753 and 754, and File 755 loose papers, personal letters of Dr. S. Zwemer.
3. See A. Abu-Hakima, **History of Eastern Arabia**, (Khayats, Beirut) 1965, p. 16.
4. The complete modern history of Bahrain has yet to be compiled.
5. Modern schooling fashioned after Western school systems.
6. **Quarterly Letters**, "Bahrain Since the War", No. 93, April to June 1915.
7. See Statistical Tables, Appendix.
8. Paul W. Harrison, **The Arab At Home**, Crowell Co. 1924 pp. 314-327.
9. Dr. Sharon Thomas was on furlough.
10. **Quarterly Letters**, "Two Weeks At the Hospital", No. 50, April - June 1904.
11. **Ibid.**, "Our Medical Work", No. 88, January — March 1914.
12. C. Stanley Mylrea, "Kuwait Before Oil", Unpuslished Manuscript, ff. 23-31.
13. See Appendix,
14. **Quarterly Letters**, "Medical Tour to Sharka", No. 42, April — June 1902 and **Ibid.**, "The Tour To Riadh", No. 104, January — March 1918.
15. See Dorothy Van Ess, **History Of The Arabian Mission**, 1926-1957, Unpublished Manuscript, f.20.
16. All the newly appointed members were required to study Arabic and pass a difficult examination in a two year period at Bahrain.
17. See above.
18. SEE **Indian Office Records** on the American Mission in four volumes, where this question is most frequently discussed. These are; R/15/2/47, R/15/2/81, R/15/2/1493 and R/15/2/853 from 1901-1945.
19. See appendix,
20. See appendix,
21. For example see appendix,
22. See appendix,
23. Clear examples that come to my mind include Carl Max Kortepeter's article "The Dutch Reformed Church Archives as a Source for Gulf History", Proceedings of the Conference on the History of Eastern Arabia held at Doha, Qatar, March 1976.
    and also
    Dr Abdul Malik Al-Tamini's Ph.D Thesis presented recently to Durham University, England.
24. **Quarterly Letters**, "Three Notes At Random", No. 80, January-March 1912.
    and
    Ibid., "Pearls", No. 123, October-December 1922.
25. See note number 18 above.

العلاقات التجارية

بين البحرين والعراق خلال

خارطة تاريخية سياسية

المتتبع لتاريخ العلاقات التجارية والاقتصادية بين البحرين والعراق، ولتاريخ النشاطات التجارية في الخليج العربي. [سانيوس ارابيكوس] كما اطلق عليه سترابون بين ٥٨ ق.م – ٢٣ ق.م]، سيجد أنها علاقات ونشاطات تعود الى فترات تاريخية قديمة جدا. وذلك، وهو أمر هام جدا، لأن هذين البلدين لم يكونا من البلدان المنقطعة حضاريا فان لكل منهما تاريخا قديما وحضارة قديمة ومكانة تجارية واقتصادية قديمة أيضا. فقد حبا الله تعالى العراق بنهرين عظيمين (دجلة والفرات) كانت مراكزه الحضارية وحواضره السياسية كبابل وسبار وغيرهما تتصل عن طريقهما وعن طريق الخليج العربي ببلدان الخليج من جهة والعالم القديم من الجهة الثانية وقد لعبت المراكز الحضارية في العراق دورين هامين لكونها مناطق عبور للقوافل التجارية المحملة بالأخشاب والمعادن من فضة وذهب وقصدير ونحاس وأحجار كريمة فهي تقوم بوظيفة المصدر لها الى ارجاء مختلفة، وفي الوقت ذاته فانها كانت مراكز انتاجية لتصدير القصدير والانسجة عامة، والأنسجة الصوفية منها خاصة، وزيت السمسم.

العصر الوسيط

بقلم : الدكتور عبدالجبار ناجي - العراق

ومن الجانب الثاني فان البحرين هي الأخرى قد لعبت ، نظرا لما تتمتع به من موقع جغرافي واستراتيجي ، أدوارا فعالة في هذه الحركة التجارية . اذ قد ورد ذكر دلمون أو تلمون على انها من بين المراكز الرئيسة الثلاثة في الخليج العربي التي اسهمت كثيرا في البناء الحضاري للمنطقة ابان فترات مختلفة مثلا خلال فترة حكم سرجون الأكدي وجوديا وخلال سلالة أور الثالثة ، وكذلك ابان فترة سنحاريب وأشور بانيبال الملكين الأشوريين . وكانت دلمون تعد سوقا عالمية للتجارة القديمة لانها اشتهرت بانتاج النحاس والأحجار الجيدة واللؤلؤ والمواد الغذائية كالتمور . وقد جلب اليها العاج من افريقيا والخشب ، وكانت تصدر البخور بصورة كثيرة الى بابل . وهي أيضا من المراكز الرئيسة لتصدير التمور والنحاس والأحجار الثمينة . وقد وصف بلينوس جزيرة تيلوس في البحرين التي تبعد أميالا عن الساحل بأنها جزيرة مشهورة بمغاص اللؤلؤ . كما اشير الى أن الجرعاء أو الجرهاء كانت سوقا تجارية كبيرة فقد اشتهرت بذهبها ومعادنها - حتى أن اهاليها ، كما ذكر ، كانوا من أغنى الناس في العالم بسبب سيادتهم على الحركة التجارية والملاحية ونقل البضائع بين البلدان العربية والهندية فكان البابليون يستوردون منها البخور والتوابل(١).

ومما لا ريب فيه أن هذه المكانة التجارية والاقتصادية الغنية القديمة لكل من البحرين والعراق قدجعلتهماعرضة للمطامع الأجنبية . فالدول الأجنبية القديمة انذاك هي الأخرى كانت تخطط من أجل السيطرة والتوسع والهيمنة على المنابع الرئيسة

للتجارة العالمية وعلى طرق تجارة التوابل وتجارة البخور واللبان وطرق تجارة الحرير مدفوعة في هذا بدافعين مركزيين في السياسة الدولية العالمية أولهما : اقتصادي ويتمثل بما تشكله الموارد التي تنتجها هذه المنطقة ، فضلا عن الموارد التي تقوم بتصديرها ، من تكاليف باهظة على ميزانية تلك الدول ، وثانيهما استراتيجي يرجع الى أن طريق تجارة التوابل عبر الخليج العربي ـ نهر الفرات القديم أو على البر عبر البادية ـ الجزيرة ـ البحر المتوسط يعتبر طريقا استراتيجيا حيويا . لذلك قام اليونان والسلوقيون والرومان كما قام الاخمينيون والفرثيون والساسانيون بمحاولات عديدة لتنفيذ مخطط الهيمنة . وقد أفلحت بعض محاولاتهم في فرض سيطرتهم والاستحواذ على منابع الثروة كما حدث ذلك باحتلال كورش بابل في تشرين الأول سنة ٥٣٩ ق.م واحتلال الاسكندر الكبير بابل بعد أن أخذها من حاكمها الفارسي مازا سنة ٣٢٤ ق.م واحتلال سلوقس قائد الاسكندر بابل سنة ٣١٢ ق .م . أيضا فان الاسكندر الكبير ومن ثم سلوقس وبطليموس اهتموا بفرض هيمنتهم على الطريق البحري المؤدي الى الهند ـ طريق التوابل ـ فأسس الأول منهم عدة مدن عسكرية بحرية ، وتولى نيرخوس صاحب الرحلة المشهورة قيادة اسطوله البحري في الخليج العربي فزار تيرين التي من المحتمل أن تكون دارين ، فرضة البحرين ، ووصفها بأنها كانت مدينة فينيقية . ومن الناحية الثانية فقد خضع العراق وسواحل الخليج العربي الى الغزو الساساني اذ هاجم سابور الثاني (ذي الاكتاف) البحرين حوالي سنة ٣١٠ م وفتك بالقبائل العربية المقيمة هناك ردا على الهجمات التي قامت بها هذه القبائل على سواحل فارس واقام فيها حامية عسكرية . كذلك فقد كان للفرس الساسانيين حامية عسكرية ـ مسلحة ـ في الابلة جنوب العراق ، ووصلت اطماعهم الى اليمن .

ولم يذعن سكان العراق والبحرين العرب الى هذه المحاولات التوسعية الاجنبية انما قاوموها بشتى الطرق اذ فشلت سيطرة كورش والفرثيين والساسانيين على العراق والخليج العربي بفعل مقاومة أهل هذه المنطقة . كما فشلت حملات ومخططات الاسكندر والرومان في السيطرة على الطريق المؤدي الى الهند . وكان للقبائل العربية في البحرين دور كبير في دحر الفرس في معركة ذي قار وفي ارباكهم حربيا في الابلة والمنطقة التي اتخذت فيها مدينة البصرة قبل فترة الفتوحات الاسلامية المنظمة . فكان للهجمات التي نفذها قطبة السدوسي وقبائل بني شيبان في البحرين ضد مسلحة الابلة العامل المباشر في اثارة اهتمامات الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رض) في توجيه الحملات العسكرية الى هذه المنطقة ودفع الفرس عنها . وفي الوقت نفسه فان سكان المراكز التجارية في البحرين اتخذوا الصفة السلمية حفاظا على موقعهم الجغرافي التجاري فقد وصف سكان جرها مثلا المعروفون بسعة علاقاتهم التجارية مع الهند والعراق وبلاد فارس والعربية الجنوبية بأنهم دافعوا كثيرا من أجل المحافظة على أمن المنطقة وسلامتها حتى انهم سألوا انطوخيوس الثالث حوالي سنة ٢٠٠ ق .م الصلح والمهادنة حينما حاول هذا الاستيلاء على مدينتهم (٢) .

× × ×

وبطبيعة الحال فان هذه التطورات السياسية المتغيرة قد كان لها تأثير ايجابي وسلبي في آن واحد على العلاقات التجارية والنشاطات التجارية في منطقة الخليج العربي عموما . فالتوترات التي برزت على

الميدان السياسى والعسكرى بين الفرس واليونان فى بلاد الشام والجزيرة الفراتية والتى امتدت فشملت الحيرة وجنوب العراق ادت الى اضطراب الطرق التجارية فى هذه المنطقة . والمعروف أن طريق الهند ـ الخليج العربى ـ البحرين (بحرا) ثم الطريق البرى عبر بادية البصرة ـ الحيرة ـ تدمر ـ موانىء البحر المتوسط يعد طريقا قصيرا فى التجارة قياسا بالطريقين البحريين ١ ـ عبر عمان ـ البحر العربى ـ اليمن ـ البحر الأحمر ـ ابلة (بحرا) ثم الطريق البرى عبر البتراء ـ البحر المتوسط . ٢ ـ البحر العربى ـ اليمن (بحرا) ثم برا عبر اليمن ـ مكة البتراء ـ البحر المتوسط . غير أن هذا الطريق (أى طريق البحرين) كان هو الآخر يتأثر فى العوامل السياسية السائدة فى منطقة الصراع الفارسى اليونانى الرومانى . وعلى أية حال فان هناك دلائل عديدة تشير الى الصلات التجارية القوية بين التجار الحيريين والتدمريين مع البحرين . وان جرها لعبت دورا هاما فى نقل التجارات الى مكة والمدينة والبتراء . كما كانت الابلة ، خلال هذه الفترة ، سوقا مهمة للحصول على اللؤلؤ من البحرين ومنطقة الخليج العربى ، كما كانت تأتيها التمور والعطور من البحرين ويأتيها الارجوانى ، وهو حرير مصبوغ باللون الارجوانى ، من فينيقية وكانت تصلها السفن المحملة بالتوابل وخشب الصندل والنحاس من الهند بعد مرورها بالخليج العربى ، البحرين . وهناك صلات تجارية بين كرخ ميسان والبحرين اذ كان تجار ميسان يصدرون بضائعهم كالانسجة الحريرية المستوردة من موانىء البحر المتوسط وفينيقية والخمور الى الخليج العربى ، وكان للخمر اليونانى المعروف باسم اليافانى الذى يقوم بنقله تجار ميسان شهرة اذ كانوا ينقلونه الى الخليج العربى والهند [٣] .

أيضا فان سوق هجر كان من بين الأسواق العربية المشهورة وقد كان يعقد فى شهر ربيع الآخر من كل سنة حيث يردها التجار من مختلف البلدان العربية [٤] .

× × ×

كان من بين النتائج التى جاءت بها الفتوحات الاسلامية الوحدة الاجتماعية وتماسك القبائل العربية بعد أن اتخذت الحواضر والامصار التى أسسها العرب . فقد كانت البحرين فى بداية الأمر هى القاعدة التى انطلقت منها الحملات الأولى ضد الفرس فى مسلحة الابلة ، كما مر ذكره ، وكان لقبائلها الدور الهام فى هذا الميدان اذ ناصروا القائد خالد بن الوليد سنة ١٢ - هـ/٦٣٣م. اثناء مروره بالخريبة . ولعبت قبيلة بكر بن وائل دورا أساسيا فى التمهيد عمليا لحركة الفتوحات واستمر هذا الدور العسكرى للبحرين الى الفترة التى اتخذت فيها البصرة كمصر للفاتحين العرب والى الفترة التى تعين فيها والٍ عليها من قبل الخليفة ، فأخذت البصرة حينذاك تحل محل البحرين فى توجيه الجيوش المقاتلة فى الجبهة الجنوبية فى بلاد فارس وامدادها. فأعقب هذا التحول العسكرى تحول اجتماعي اذ انتقلت بعض القبائل العربية أو بطونها من البحرين الى البصرة وصار لها خطط خاصة بها من امثال بني بكر بن وائل وبني عبد القيس والأزد وبكر بن وائل .

أهمية الموقع الجغرافى والاستراتيجى للبلدين

لقد حدد الجغرافيون واللغويون العرب العراق بقولهم ان العراق عراق لأنه دنا من البحر ، فى حين نسبه المتخصصون فى

الاشوريات بأن الكلمة من أورك URAK أو انوك UNUG أى المستوطن . وانـه خلال الفترة الاسلامية يشمل المنطقة الواقعة من حدود تكريت شمالا الى عبادان عـلى رأس الخليج العربى جنوبا ومن حدود القادسية غـربا الى حلوان شـرقا . وجعلوا المـوصل ضمن منطقة الجزيرة الفراتية وضمن ديار ربيعة ومضر . ومن حواضر العراق الرئيسة بغداد والبصرة والكوفة وواسط وسامـراء والنهروان وحلوان وعكبرا والبردان . وان كل مدينة من هذه المدن كان يتبعها عدد آخر من المدن الصغيرة والقـرى . وكان لـموقع العراق الجغرافى والاستراتيجى الدور الهام منذ الفترات القديمة اذ يمثل حلقة وصـل تقع على الطرق التجارية المشهورة البحرية والبـرية أى طريق تجـارة التوابـل وطريق الحرير ، وهما الطريقان الرئيسان فى عالم التجارة العالميـة انذاك . وقـد لعبت بعض حواجز الطرق دورا كبيـرا فى هذا المجـال الاستراتيجى التجارى . فوصفت الابلة على أنها مدينة قديمة عامرة تقع على نهر شـط العـرب (الذى كـان يـدعـى فى الفتـرة الاسـلاميـة بنهـر دجلة العـوراء أو دجلة البصرة) ، ووصفها الجغـرافيون العـرب على انها تمثل أرض الهند أو ثغر الهند وذلك لاتصالها الجغرافى الوثيق عبر شط العرب - الخليج العربى والهند . وبالفعل فقد كـان تأسيس مدينة البصرة كمعسكر أو كمصر للعرب الفاتحين تأثير كبير على مكانة الابلة لكنها لم تقض عليها نهائيا ، اذ ظلت الابلة تمثل دور المرفأ والميناء الذى تمر به السفن والقوارب . ومما يجدر ذكره بأن نهر الابلة الذى يصل شط العرب بالبصـرة القديمـة (وطوله حوالى أربعة فراسخ اسلامية - اثنا عشر ميلا) لم يكن مؤهـلا لدخول السفن الكبيـرة ، ويبدو من خـلال أوصاف بعض الرحـالة المسلمين كـالمسعودى ونـاصـرى خسـرو وابن بـطوطة بـأن الحـمـولات والتجارات كانت تنقل من البصرة فى قوارب الى الابلة حيث تنقلهـا من هنـاك السفن الكبيرة أو السفن الصينية عبر شط العرب الى الخليـج العـربى - سيـراف ثم الهنـد والصـين . وان الابلة ، بعد أن أفـل نجم البصرة تجاريـا واقتصاديـا حوالى القـرن الثالث عشر للميلاد ، اخذت تحل محلها فى هذا الميدان التجارى [٥] .

كذلك فان لبادية البصرة وبادية الكوفة مكانة استراتيجية جغـرافية متميـزة لمرور القوافل البرية المحملة بـالتجارات وقـوافل الحجيج ، الطريق الرئيسى بغداد - الكوفة - مكة . وطريق المشرق - البصـرة - مكة . وتتمثـل أهميـة هـذين الطريقـين فى عـالم التجـارة اذ كان التجـار يستغلون فتـرات الحج لنقل بضائعهم مع قوافل الحجيج طلبا للأمان من هجمات القبائل البدوية .

أما بغداد فـان أهميتها الاستـراتيجية والجغـرافية تتضـح من خـلال مـا أورده الجغرافى المقدسي حول تأسيسها بأنها تقع بـين اربعة طسـاسيج (منـاطق زراعية) طسوجان فى الجانب الغربى وطسوجان فى الجانب الشرقى . فاللذان فى الغربى قطربل وبـادورايا واللذان فى الشـرقى نهـر بـوق وكلواذا . فانت تكون بين نخل وقرب الماء ... «وانت يا أمير المؤمنين على الصراة تجيئك الميرة من المغرب وفى الفرات تجيئك طرائف الشام ومصر وتلك البلدان وتجيئك الميرة فى السفن من الصين والهند والبصرة وواسط فى دجلة . وتجيئـك الميرة من ارمينيـة وما اتصـل بها في الزاب. وتجيئـك الميـرة من الروم ، وآمـد ، والجـزيـرة والمـوصـل فى دجلة ... وانت بين أنهار لا يصل اليك عدوك إلا على جسر أو قنطرة[٦] » .

أما البحرين فمن المعروف تاريخيـا ان الجغرافيين المسلمـين قد وصفـوها ضمن

تطرقهم لبلاد العرب ، وحددوها تحديدا جغرافيا ، خلال العهود الاسلامية ، أوسع بكثير مما هي عليه فى الوقت الحاضر ، انطلاقا من تعبير « بلاد » جغرافيا . فقد وصفوها بأنها اسم جامع لبلاد على ساحل الخليج العربى تمتد من حدود البصرة شمالا الى حدود عمان جنوبا . وهناك من يقول بأن البحرين هى قصبة هجر ، فى حين أن المتعارف عليه بأن هجر كانت هى قصبة البحرين [٧] . وكانت البحرين تضم عددا من المدن والحواضر الرئيسة وعددا من القرى . فمن بين مدنها القطيف والعقير والسيف وأوال والسقار والفطح والاحساء ويبرين والآره والفروق وبينونة والمشقر والزاره وجواثا وسابور (وفى قول آخر سابون) والخط ودارين والغابة وهجر الصفا والشنون . ويدخل البكرى فى معجمه قطر ضمن اصطلاح بلاد البحرين ، ايضا فان هناك مدنا أخرى منها عدولى التى ينسب اليها السفن العدولية وحوارين . ويذكر ابن الفقيه الهمدانى مدنا أخرى فى قائمته المفصلة الدقيقة منها قصبة هجر الصفا والشيعان . كما عدد قرى البحرين بأنها : الحوس والكثيب الأصغر والكثيب الأكبر وأرض نوح وذو النار والمالحة والذرائب والخرصان والسهلة والحوجر والوجير والمنسلخ والشط ، ويعلق على هذه القائمة بأن هذه هى قرى بني محارب ، أما قرى عامر بن الحارث بن انمار بن عمرو فهى اضعاف[٨] ذلك .

لقد وصف الجغرافيون والرحالة بعض حواضر بلاد البحرين الرئيسة بأنها تتميز بموقع جغرافى استراتيجي هام فى عالم التجارة ، فذكروا أن دارين هى فرضة البحرين حيث يجلب اليها المسك من الهند . ويعلق ياقوت الحموى فى معجمه على موقع دارين هذه بقوله انها صفة جزيرة أوال قائلا « ولعل اسمها أوال ودارين »[٩] ومما يذكر عن جزيرة أوال ، البحرين ، بأنها جزيرة فى البحر على مسيرة يوم عن القطيف وانها تتميز بوجود مغاص للؤلؤ[١٠] . وجاء فى وصف القطيف بأن لها خورا فى البحر تدخل اليه المراكب الكبيرة الموسقة ، وبأنها تقع على شط البحر ، وبها مغاص للؤلؤ أيضا ـ فضلا عن انها تقع على الطريق البرى الذى يربط البحرين بالعراق .

واقع العلاقات التجارية بين العراق والبحرين

دون شك فان الكتابة عن العلاقات التجارية بين العراق والبحرين خلال العهود الاسلامية موضوع شائك وفى كثير من الأحيان نظرى لانعدام المعلومات الاحصائية الواقعية الضرورية لمثل هذا الموضوع والتى تسهل الطريق أمام الباحث للتغلب على الثغرات الكثيرة . وتزداد صعوبة البحث بصورة أكثر حينما يحاول الاجابة على العديد من الاستفسارات المتعلقة بميدان التجارة والاقتصاد اذ ليس هناك من حاول من الجغرافيين والرحالة المسلمين ان يقدم لنا معلومات شافية ومباشرة ، حتى قائمة الصادرات والواردات التى ذكرها الجاحظ (المتوفى عام ٢٥٥ هـ/٨٦٨) فى الكتاب المنسوب اليه « التبصر بالتجارة » لا يمكن أن تكون مقياسا عاما ، فضلا عن كونها قائمة تحتوى على مجرد اسماء لبضائع وردت الى العراق وبضائع أخرى صدرت منه الى البلدان . وفوق هذا فان الكتاب والجغرافيين العرب ، عدا المقدسى فى كتابه احسن التقاسيم الى درجة معينة ، لم يهتموا بموضوع تقدير أهمية التجارة وما يحمل من الأقاليم ودور التجارة فى حياة وبقاء البلد اقتصاديا وفيما

اذا كانت تمثل فقرة فى موارد البلد وتطويره وانعاشه . والمقدسى يخصص جزءا من حديثه عن كل اقليم يتناول فيه حمل هذا الاقليم أو ذاك فيشير الى انتاجاته وصادراته غير أنها لم تكن قائمة متكاملة . ومع كل هذا فاننا سنحاول تشخيص أهم معالم هذا الموضوع .

ارتبط واقع العلاقات التجارية بين البلدين ارتباطا قويا بواقع الملاحة والتجارة فى الخليج العربى سواء كان ذلك بين بلدان المنطقة ذاتها أم بينها وبين العالم الخارجى . وهى مسألة سبق أن عالجها العديد من الباحثين المحدثين العرب والأجانب ، وقد اظهروا من خلال كتاباتهم قدم الدور الذى مثله هذا الممر البحرى فى المواصلات التجارية ونقل التجارات من معادن ثمينة وأخشاب وتوابل ونحاس وغير ذلك . وفيما يتعلق الأمر بموضوع البحث فان النشاطات والفعاليات التجارية فى الخليج العربى قد مرت منذ الفترات القديمة فى التاريخ بفترات من النشاط والانتعاش وأخرى من الركود والضعف . وهو أمر يرتبط بعوامل الاستقرار السياسى للمنطقة أو اضطرابها . لاسيما الأوضاع السياسية السائدة بين القوتين العظميين الشرقية الفارسية والغربية اليونانية والرومانية فتحدثنا المعلومات عن تلك الفترات بأن النزاع والتوتر الحادث بين الفرس واليونان مثلا يؤدى الى عرقلة واضطراب طريق الملاحة الخليجية (طريق التوابل) اذ تضطر السفن الى تحويل اتجاهها صوب اليمن والبحر الأحمر . ومن الجانب الآخر فان الفعاليات التجارية تأخذ بالنشاط عندما يسود الأمن والسلام بين هاتين القوتين أو حينما تسود احداهما على الأخرى .

وقد ظل هذا العامل السياسى يمثل العامل المركزى فى ازدهار تجارة الخليج العربى أو ضعفها ابان العهود الاسلامية غير أنه من المؤسف عدم وجود معلومات جغرافية واقتصادية عن واقع الملاحة والتجارة فى الخليج العربى خلال الفترات الاسلامية المبكرة اعنى : الخلافة الراشدة والدولة الأموية . وهو أمر لا يمكن أن نعزوه تماما الى قلة اهتمام الدولة العربية الاسلامية فى ميدان التجارة وانصرافها نحو الامور الزراعية كمورد ثابت حيوى لها اضافة الى الموارد المالية الأخرى المعروفة لكن ربما يرجع الى درجة كبيرة الى قلة من التفت للكتابة عن هذه الجوانب ، والى بدايات تحول المجتمع العربى الى مجتمع حواجز ومدن . اذ قد انصرفت اقلام المؤرخين والكتاب المسلمين الأوائل الى مواضيع عدة تعد هى المواضيع الأم بحدود تلك الفترات ومنها :

١ ـ الاهتمام بالكتابة عن سيرة الرسول الكريم (ص) ومغازيه وعن الخلفاء الراشدين والصحابة .

٢ ـ الاهتمام بتراجم الرجال والطبقات والأنساب .

٣ ـ الاهتمام بالكتابة عن الفتوحات الاسلامية فى المشرق والمغرب .

٤ ـ الاهتمام بالكتابة عن الشئون الادارية والزراعية ـ اى ادارة الاقاليم المفتوحة .

غير أنه ظهرت عدة تطورات هامة عندما تثبتت أركان الدولة العربية الاسلامية وعندما استقر العرب بعد استقرار الفتوحات الاسلامية ، وحينما تحول العباسيون بعد انتصارهم على الأمويين الى العراق واتخاذهم بغداد كرسيا لهم وعاصمة لدولتهم . وهذه التطورات والمتغيرات لم تكن مقصورة على الجوانب السياسية فحسب بل انها كانت اجتماعية اقتصادية بدرجة كبيرة . حينئذ اتسع مجال الكتابة عن

مواضيع اجتماعية اقتصادية كالمسالك والممالك ، وكتب البلدان والأمصار ، وكتب التجارة ومحاسنها وكتب الرحلات التجارية ، وهى تحولات ترجع أيضا الى جملة عوامل منها :

١ ـ الاستقرار السياسى الذى شهدته المنطقة بعد تأسيس الدولة وامتدادها الى الشرق والغرب حتى أصبحت امبراطورية مترامية الأطراف تهافتت امامها الامبراطورية الساسانية وانسحب أمامها البيزنطيون فى الغرب من المناطق التى سبق أن استحوذوا عليها .

٢ ـ تنامى القدرات الاقتصادية للفرد ، وانخراطه بعد استقرار عملية الفتوحات فى مزاولة المهن والحرف والتجارة فبرزت أهمية المدن والمراكز وتركزت اختصاصاتها ، فصارت هناك بعض المراكز تحمل صفة الصناعة والأخرى التجارة والثالثة الثقافة ... الخ . كذلك فقد تزايدت حاجات المجتمع الاسلامى عموما فازدات اهمية التجارة لتوفير مستلزمات هذه الاحتياجات الزراعية والصناعية من أجل البناء والتنمية .

٣ ـ الانتعاش التجارى العالمى المتمثل باتساع الطلب على السلع والبضائع الشرقية الآتية من الصين والهند ، واتساع طلب الدولة الاسلامية الى السلع الآتية من الغرب ، فقد كانت الدولة بحاجة الى المعادن كالذهب والفضة والحديد والمعادن الأخرى وصارت بحاجة الى الرقيق من افريقيا والغرب والى الحرير والفواكه والأخشاب والتوابل من الشرق .

وهنا لا مندوحة من الاشارة الى ظهور مجاميع مشهورة من التجار أو العوائل التجارية كالتجار اليهود وتجار الراذانية أو الراهذانية وتجار الرقيق وتجار البصرة اذ يقول ابن الفقيه الهمذانى «وقالوا ابعد الناس نجعة فى الكسب بصرى وحميرى» (١١) والتجار البحرانيون والعمانيون والسيرافيون والتجار الكرامية ، وكان هؤلاء التجار يجوبون العالم طمعا للتجارة والكسب .

وكان من بين نتائج هذه المتغيرات البارزة فى ميدان التجارة والاقتصاد ان استعادت بعض المراكز التجارية فى منطقة الخليج العربى دورها المركزى فى نقل التجارات وتصديرها وفى الافادة من مواقعها الاستراتيجية فى فرض الضرائب والمكوس على البضائع المحملة المارة بها . فاستعادت الابلة دورها السابق القديم ، وبرز دور البصرة فى التجارة حتى انها اخذت تعرف بين الأمصار الاسلامية بمدينة التجارة (١٢) . وارتفع نجم جزيرة أوال ثانية كذلك استعادت القطيف وهجر فى بلاد البحرين مراكزهما السابقة واستعادت صحار ودبا فى عمان وسيراف فى الجانب الشرقى من الخليج العربى أهميتها ..

كذلك فان من نتائج هذه المتغيرات تركز اهتمام الكتاب والجغرافيين للكتابة عن مواضيع متخصصة مختلفة فظهرت خلال هذه الفترة معلومات تتعلق بالطرق والمسالك التجارية بين البلدان الاسلامية . ففيما يتعلق الأمر بموضوع البحث تحدث الجغرافيون عن الطرق البرية والبحرية التى تربط العراق بالبحرين ومن ثم بالخليج العربى والهند والصين .

يرتبط العراق ، من خلال البصرة ، بأقطار الخليج العربى من جهة والهند والصين وافريقيا من الجهة الثانية عن طريقين أولهما طريق برى والآخر بحرى . ومن الواضح أن الطرق البرية اذا ما قورنت بالطرق البحرية تعد طرقا اسهل وأكثر ربحا للتاجر ، بالنسبة الى حجم الحمولة ، لاسيما اذا توفر عدد من الظروف والمستلزمات ومن

اهمها : الاستقرار السياسى وقوة السلطة المركزية فى ضبط الأمن وقطع دابر قطاع الطرق واللصوص ، فضلا عن توفير مواد المياه الضرورية جدا عن طريق اتخاذ السواقى أو خزانات مياه وعيون وآبار ، وتظهر هذه الحاجة الى المياه بالنسبة الى القوافل التى اعتادت قطع الفياق بالاتجاه نحو البحرين وعمان واليمن ومكة وبلاد الشام . ومن الجدير ذكره فان صلاحية أى طريق برى أو عدم صلاحيته تتركز ، وفقا لمنظور الجغرافيين والرحالة المسلمين ، على سلامته وسيادة الأمن فيه وتوفر مياه الشرب أو بعكس ذلك فان عدم صلاحيته تتركز على خطورته وندرة الموارد المائية . فيحدثنا الاصطخرى وابن حوقل مثلا عن الطريق الذى يربط البصرة بالبحرين بقولهما : ان هناك طريقا على الجادة تبلغ مسافته احدى عشرة مرحلة غير أنه طريق « لا ماء فيه » (١٣) . ويقولان عنه فى مجال اخر بأنه طريق « غير مسلوك كان الى هذه الغاية وهو قفر » (١٤) . فى حين يوجد طريق برى آخر يسير بمحاذاة الساحل وتصل مسافته الى ثماني عشرة مرحلة (اى أنه اطول من ذلك الطريق) لكن هذين الجغرافيين يصفانه بأنه طريق يمر « فى قبائل العرب ومياههم وهو طريق عامر غير انه مخوف » (١٥) . لذلك فان هذين التعبيرين يوضحان الأهمية فى توفير المستلزمات التى تجعل من هذا الطريق أو ذاك مسلوكا وآهلا .

يبدأ الطريق البرى الأول المهجور من البصرة الى عبادان وبعدها يتجه فى البادية نحو البحرين . وهو طريق غير فعال تجاريا فلم يهتم الجغرافيون بوصفه ، وفى رواية لابن حوقل ان سليمان بن الحسن قد سار هذا الطريق الى البصرة غير أنه تزود بما يحتاج اليه من الماء من (١٦) البحرين .

ويبدو أن الطريق البرى الساحلى الآخر كان عموما هو الطريق المفضل اذ يشير اليه الجغرافيون بأنه جيد ، ويستغرق قطعه حوالى خمسة عشر يوما على الابل . أما المحطات التى يمر بها فهى البصرة ـ عبادان ـ الخط ـ القطيف ـ الآره ـ هجر ـ البينونة ـ الزارة ـ جواثا ـ السابور ـ دارين ـ الغابة ـ قصبة هجر الصفا ـ المشقر ـ الشيعان ـ المسجد الجامع .

وعلاوة على تلك الطرق البرية هناك طريق بحرى له أهمية كبيرة تفوق أهمية الطرق البرية ، على الرغم من وجود بضعة مخاطر فى وجه السفن التجارية الخارجة من البصرة والآتية اليها عبر الخليج العربى . وتتمثل هذه المخاطر بالمنعطفات الضيقة والهوارات وكثرة اللصوص . وقد تحدث عدد من الجغرافيين والكتاب عن هذه الظواهر وكيفية التغلب عليها من قبل المسئولين وأصحاب الشأن وذلك من أجل تسهيل عملية مرور السفن التجارية ، اذ يذكر الاصطخرى خلال حديثه عن المزايا التى يتميز بها الخليج العربى قائلا « وفى هذا البحر هوارات كثيرة ومعاطف صعبة أشدها ما بين جنابة والبصرة ، فانه مكان يسمى هور جنابة . وهو مكان مخوف لا تكاد تسلم منه سفينة عند هيجان البحر » (١٧) لذلك أجريت الحلول الآتية للتغلب على ذلك وتلافى الاخطار : فقد تم انشاء برج او فنار من الخشب اطلق الجغرافيون عليه اسم الخشبات ويقع على بعد ستة أميال من عبادان . والخشبات عبارة عن « أربع خشبات منصوبة قد بنى عليها مرقب يسكنه ناطور يوقد بالليل ليهتدى به ويعلم به المدخل الى الدجلة» (١٨) وقد شاهد الرحالة ناصرى خسرو هذا الفنار فى القرن الخامس للهجرة/ الحادى عشر للميلاد اثناء خروجه من شط العرب متوجها الى الخليج العربى

ووصفه بأنه « يتكون من أربعة أعمدة كبيرة من خشب الساج على هيئة المنجنيق . وهو مربع قاعدته متسعة وقمته ضيقة ويرتفع على سطح البحر أربعين ذراعا ... وعلى قمته حجارة قرميد مقامة على عمد من خشب كأنها سقف ، ومن فوقها أربعة عقود يقف بها الحراس »[١٩] ويستطرد قائلا ان هؤلاء الحراس كانوا يشعلون أثناء الليل سراجا في زجاجة كي لا تطفئه الرياح، ولكي يراه الملاحون من مسافة بعيدة فيحتاطون من خطر الارتطام بالأرض ، فضلا عن فائدته الأخرى المتمثلة بارشاد الملاحين الى الاتجاه الصحيح ويرون لصوص البحر ، القراصنة ، فيتمكنون من تحويل اتجاه سير السفينة اتقاء لخطرهم .

وصف الجغرافيون والرحالة سير الطريق البحرى من العراق الى البحرين على الشكل الآتى : تأتى السفن من الموصل وبغداد والكوفة وواسط عبر بطائح واسط الى دجلة العوراء (شط العرب) ومن ثم باتجاه البصرة عبر نهر المعقل ثم الى كلأ البصرة ومن البصرة تنقل القوارب وسفن التمور والتجارات باتجاه الابلة عبر نهر الابلة - ويبدو أن الحمولات الثقيلة التى تكون وجهتها الهند والصين تنقل الى سفن كبيرة فى الابلة فتخترق نهر شط العرب جنوبا باتجاه الخليج العربى - الى عبادان ، وقد قدرت المسافة بين البصرة وعبادان باثنى عشر فرسخا (أى ما يعادل ستة وثلاثين ميلا - ومن عبادان الى موضع الخشبات) (وطوله ستة أميال أى فرسخين) - ثم تدخل السفن الكبيرة والصينية والسفن الأخرى الخليج العربى باتجاه جزيرة أوال (البحرين) . علما بأنه من المحتمل أن يكون هناك طريق آخر مباشر من عبادان الى سيراف ثم الى الهند والصين .

وفى الوقت الذى كان فيه الطريق البرى الذى يربط العراق بالبحرين نشطا فى نقل البضائع وفى المواصلات عبر طريق العراق (البصرة) - البحرين - عمان ، لكن الطريق البحرى كان أكثر نشاطا وفاعلية سواء كان فى النقل الداخلى والمواصلات أم فى نقل البضائع والتجارات الى العالم الخارجى (الهند والصين وافريقيا) وبالعكس . من هذا المنطلق فقد وردت الينا معلومات مفصلة الى درجة كبيرة عن هذا الطريق مرحلة مرحلة من قبل الرحالة والجغرافيين المسلمين . فقد بينوا المراكز التجارية المشهورة التى يمر بها الطريق فضلا عن التجارات والبضائع التى تشتهر بها هذه المراكز وأحوالها الاجتماعية والاقتصادية والى درجة أقل السياسية علاوة على ذلك فقد اشاروا أيضا الى المواضع الخطرة فى هذا الطريق وصفات الخليج العربى وخليج عمان والمحيط الهندى ... الخ من المعلومات المفيدة جدا . فقد سار به ووصفه الرحالة المشهور سليمان التاجر فى رحلته التى ابتدأها من البصرة ، كما أن المسعودى فى كتابه مروج الذهب اشار الى الطريق اعتمادا على رواية سليمان التاجر اضافة الى المعلومات التى ادلى بها اليه التجار البحريون ، وسلكه أيضا التجار الراهذانية حيث كانوا يبدأون جولتهم العالمية فى بلاد الفرنج الى السند والهند والصين ، ووصف الطريق ايضا صاحب كتاب « فى الصين والترك والهند » ، كما تناول وصف مراكزه التجارية ونشاطه الرحالة الصينى تشان جوكوا خلال القرنين الثانى عشر والثالث عشر للميلاد .[٢٠]

انه لمفيد حقا ، ونحن بصدد العلاقات التجارية بين العراق والبحرين الاشارة الى التجار البحرينيين أو البحرانيين . اذ اعتمادا على ما أورده البيرونى فى القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر للميلاد

فان هناك تجارا مشهورين يطلق عليهم اسم تجار البحر [٢١] ، وهى تسمية عامة كما هو واضح تطلق على التجار المتخصصين فى هذا النوع من التجارة . غير أن هنالك اشارات أخرى تشير الى مجموعة من الاهالى كانوا يقطنون مدينة البصرة ويعرفون بالبحريين وكانوا ينزلون فى كلأ البصرة وهو المنطقة التجارية من المدينة التى تطل على شط البصرة (وهو شط يربط المعقل بالابلة) وتضم مجموعة اسواق تجارية [٢٢] . والظاهر أن مركز سكناهم الرئيسى دار الزبير (عبارة عن سوق واسعة تجارية) . وقد استنتج بعض المؤلفين المحدثين أن هؤلاء البحريين هم أصلا من اهالى البحرين وعمان [٢٣] .. وفى الواقع فان المسعودى وصف هؤلاء البحريين بأنهم كانوا على اطلاع واسع بأمور البحار وبالرحلات التجارية الى الهند [٢٤] . لكن اعتمادا على بعض النصوص التاريخية يتضح لنا بأن هذا الاصطلاح كان يطلق على أولئك الأهالى الذين سكنوا البصرة والذين ترجع اصولهم الى البحرين . فيذكر المسعودى احداث معركة وقعت سنة ٢٨٧هـ/ ٩٠٠ بين أبى سعيد الجنابى القرمطى وقائد الجيش العباسى فوصف جيش الجنابى بأنه يتألف من قبيلة كلاب وعقيل والبحرانيين ، ومن الجانب الثانى فانه عدد عناصر جيش القائد العباسى فى البصرة قائلا بأنه يتكون من مطوعة البصرة وقبيلة حنبة والبحرانيين ، ويعلق على هذه التسمية بقوله ان المقصود بالبحرانيين أولئك الذين هاجروا من البحرين [٢٥] . ويذكر سبط بن الجوزى فى كتابه « مرآة الزمان » رواية تؤيد ما ذهب اليه المسعودى فى أن تسمية البحرانيين أو البحرينيين ترجع الى البحرين اذ اشار أن البحرينيين هددوا سنة ٣٥٩ هـ/ ٩٦٩ القوافل (التجار والحجاج) الخارجة من البصرة والكوفة باتجاه [٢٦] مكة . المهم أن مهمة البحرانيين فى البصرة لم تقتصر على الجوانب السياسية العسكرية لكنها كانت أيضا تجارية اذ شاركوا فى الأعمال التجارية وكان بعضهم تجارا .

× × ×

انتاجات العراق والبحرين التجارية

كما أوضحنا سابقا أنه من الصعب تحديد اجابات احصائية دقيقة حول موضوع حجم التبادل التجارى بين البلدين ومدى استمرارية هذا التبادل خلال العصر الاسلامى الوسيط . لكنه مع ذلك بامكاننا تناول المسألة من زاوية الانتاجات الزراعية والصناعية القابلة للتصدير لكل بلد منهما لاسيما خلال هذه الفترة التى اصطلحنا عليها بفترة انتعاش الحركة التجارية فى الخليج العربى . ان الكتاب المهم الذى يعطى معلومات احصائية شافية عن البضائع التجارية هو (التبصر بالتجارة) المنسوب الى الجاحظ البصرى . أيضا هناك معلومات ثمينة نادرة فى عدد من كتب الجغرافيين من أمثال كتاب أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم للمقدسى .

كانت المنسوجات القطنية والكتانية الرفيعة والجميلة على رأس قائمة المنتجات العراقية المهيأة للتصدير الى خارج العراق ، وكان خز البصرة وبزها من بين هذه المنسوجات التى بلغت شهرتها الافاق الأمر الذى جعل المقدسى يقول « الم تسمع بخز البصرة وبزها »[٢٧] ومن بين هذه المنسوجات المشهورة الفوطة أو الريطة البصرية ، وعمائم الابلة وثيابها الكتانية الرفيعة ومناديلها . واشتهرت بغداد بمنسوجاتها الحريرية الجميلة الدقيقة الصنع والموشاة ، كما اشتهرت مدينة

الكوفة بأقمشتها الحريرية الفاخرة وبمناديل الخز (الكوفية) . واشتهرت كل من بغداد والبصرة والكوفة بصناعة العطور كالبنفسج والماورد فيذكر المقدسي أيضا عن هذا الموضوع « ومنها - أى البصرة - تحمل التمور الى الأطراف والحناء ولها خز وبنفسج وماورد »[٢٨] . فهي حسبما أورده مشهورة بتصدير التمور التى بلغ عدد أنواعها وأصنافها أيام الخليفة العباسي المعتصم حوالى ثلثمائة وستين ضربا .[٢٩] ويبدو أنه كان هناك سفن خاصة لتصديره وحملة يطلق عليها سفن التمور أو زواريق التمور تغطى عادة بالبوارى[٣٠] . كما يظهر ان وارد التمور كان يشكل مصدرا هاما في حياة الدولة اقتصاديا . فيذكر الصولى مثلا سنة ٣٣٠ هـ/٩٤١ بشأن خروج البريديين في البصرة ومحاولة العباسيين التضييق عليهم بأن « مادة البريديين ضرائب التمر فتقدم بالنداء الا يحمل أحد من التجار مالا الى أسفل[٣١] .. وكان يصنع في البصرة من التمر الدبس ويقول عنه ابن بطوطة انه « عسل يسمى السيلان وهو طيب كأنه الجلاب[٣٢] » . كما اشتهرت البصرة بتصدير الاحذية كما يذكر مؤلف كتاب حدود العالم[٣٣] . واشتهرت المدن الأخرى في العراق بانتاج وتصدير الفواكه والصابون والزيت[٣٤] .. الخ .

أما البحرين فانها اشتهرت منذ القديم بانتاج عدد من البضائع والمواد التى شغلت حيزا في التصدير أهمها النحاس والأحجار الثمينة والأخشاب والتمور والقصدير والرصاص . علاوة على كونها كانت تحتل مركزا مهما في الترانسيت ومرور تجارات الشرق كالثياب الحريرية والاستبراق والتوابل والفلفل والقرنفل والدارصيني والجوزبوا والزعفران والصدف والعاج والدر والمرجان واللبان والبخور والعطور والياقوت الأحمر والمسك والماس والبلور والعنبر والأخشاب وغير ذلك . فقد اتفق الجغرافيون المسلمون على أنه يكثر في البحرين النخيل والفواكه كالرمان والاترج ، وكان يزرع بها القطن والحنطة والشعير[٣٦] . ويستخرج فيها اللؤلؤ ، وكان، كما يذكر ناصرى خسرو، لسلاطين الحسا نصف ما يستخرجه الغواصون[٣٧] . كما يصدر العنبر المستخرج من الخليج حتى ان سليمان التاجر يشير الى أن سمك العنبر يوجد عند العطارين في بغداد والبصرة[٣٨] ، كما يشير صاحب كتاب « الانكار في جواهر الاحجار » بأن الجواهر الجيدة النفيسة انما تستخرج من مواضع معينة منها سرنديب وكيش وعمان والبحرين ، ويعقب على ذلك قائلا بأن الجواهر المستخرجة من البحرين تعد من افخر اصناف الجواهر » وما يوجد منه في غير هذه المواضع لا اعتبار[٣٩] به » . وكان يأتى من البحرين النحاس ومواضع انتاجه كثيرة في برية العرب[٤٠] . وفيما يتعلق الأمر بنخيل البحرين فقد وصفت بكثرته حتى قيل أن نخيلها بقدر غوطة دمشق مستدير عليها[٤١] . وكان أهل الاحساء والقطيف يصدرون التمور الى الخرج وادى اليمامة ليشتروا بدله الحنطة[٤٢] . واشتهرت مدينة هجر بتمورها أكثر من أى بلد آخر في الجزيرة فيقول ابن الفقيه الهمداني « ريف الدنيا من التمر ما بين اليمن الى البصرة وهجر[٤٣] » . وامتدح ابن بطوطة تمر هجر بقوله انه لا يوجد له مثيل في أى بلد آخر وكان الأهالى يعلفون دوابهم[٤٤] منه . وصار ، لكثرة التمر في هجر ، مثلا شائعا « كمهدى أو كحامل التمر الى هجر » ، ويبدو أن أنواعا منه كانت تحمل الى البصرة[٤٥] أيضا . كما اشتهرت هجر بتجارة الخمور[٤٦] . واشتهرت باستخراج اللؤلؤ

أن يقول المقدسي أنه كان يستخرج بحدود هجر حيث يغاص عليه بازاء جزيرة[٤٧] أوال . واشتهرت جزيرة أوال التي كانت قديما تعرف بترم لكثرة نخيلها وكثرة الموز والجوز والأترج والليمون والأشجار والزروع . فضلا عن شهرتها بانتاج الأحجار الكريمة واللؤلؤ بصورة خاصة . ويذكر المقدسي في هذا الصدد أنه « يكترى رجال يغوصون فيخرجون صدف اللؤلؤ وسطها[٤٨] » ويصفها بأنها « معدن البحر » . واشتهرت دارين أودارون التي ، كما يقول ياقوت الحموي ، قد تكون أوال بأنها مرفأ سفن الهند ومشهورة بتصدير المسك والطيب حيث كان يأتيها من الهند وكانت مشهورة بمسكها حتى قال في ذلك الشاعر الجعدي .

القى فيها فلجان من مسك دا
رين وفلج من فلفل ضرم

واشتهرت دارين أيضا بانتاج الخمور ، واشتهرت القطيف بالقطن والحناء والفواكه كالمانجي [٥٠] .

× × ×

بقي هناك أمر آخر هام لا بد من الوقوف عليه في فترة انتعاش التجارة هذه الا وهو دور التجارة كمورد اقتصادي ثابت للدولة . ان نظرة عجلى الى موارد الدولة العربية الاسلامية خلال العهود المختلفة تكشف لنا بأن هناك مصادر ثابتة قائمة على عدد من الضرائب كالخراج والجزية والصدقات والمستغلات وواردات البلدان الخاضعة للدولة كواردات السواد والمشرق والمغرب ، كما أن هناك موارد غير ثابتة وهي الضرائب المفروضة على بعض الأعمال والانتاجات لا سيما عند احتياج الدولة الى الأموال . فقد فرضت الضرائب على المنسوجات والطواحين والمراعي والمروج والملح والارث والحيوانات . أيضا فقد استخدمت وسيلة لجمع الأموال ومساندة بيت المال منذ أيام الخليفة العباسي المقتدر بالله سنة ٢٩٥ هـ/٩٠٧ فصاعدا وهي المصادرات . ان ذلك كله لايعني ابدا بأن الدولة العباسية لم تلتفت الى التجارة والضرائب المفروضة على التجارات المصدرة والواردة على أنها مصدر بارز في تموين بيت المال . وقد كانت هذه الضرائب تفرض من قبل الخليفة والأمراء على حد سواء . وصار في الفترات المتأخرة من حق الضامنين ، كضامن البصرة أو ضامن واسط ، حق فرض الضرائب التي يراها على أهالي المدينة وعلى التجارات أيضا باعتباره يدفع ضمانا سنويا الى الدولة العباسية . وهناك دلائل تاريخية كثيرة تفيد بأن الدولة العباسية والضامنين في حواضر العراق الرئيسة كانوا يعلقون أهمية على الموارد الآتية من التجار في تنمية بيت مال الدولة وسد العجز فيه . فيحدثنا اليعقوبي في تاريخه بأن هناك ضريبة العشر على التجارات الواردة في بحر الصين . كما أن هناك مكوسا على التجارات الواردة من مكة والأهواز وبلاد فارس . وفي هذا الصدد لابد من الاشارة الى أن هناك اشارات تبين بأن ضرائب معينة كانت تفرض على الحجيج . كما أن هناك ضرائب على التجاوزات والبضائع التي تجتاز العراق فيحدثنا المقدسي عن هذه الضرائب بقوله « وأما الضرائب فثقيلة كثيرة محدثة في النهر والبر . وفي البصرة تفتيش صعب وشوكات منكرة وكذلك في البطائح حيث تقوم الأمتعة وتفتش[٥٢] . واذا عاد الحجاج في مكة فانهم يدفعون المكس على أحمال الأدم والجمال العربية ، كما يؤخذ منهم على المحمل ستون درهما وعلى حمل البز مائة درهم[٥٣] . ويذكر الصابي أن المكوس كانت تؤخذ على ما يأتي العراق من بلاد فارس وسوق الاهواز وحصن مهدي ونهر

سدرة » وكان يعترض فى هذه المواضع على ما يجهز الى البحر ويرد منه وتؤخذ الضريبة المسرفة عليه(٥٤) » . وأخيرا فان ابن حوقل خلال حديثه عن البصرة يقول انها مشهورة جدا فى « التجارة والمتاع والمجالب والجهاز الى سائر اقطار الأرض » ثم يستطرد قائلا بأن ارتفاع المدينة خلال فترة زيارته « من وجوه أموالها كلها وجباياتها من اعشارها وجماجمها ومصالحها وضمان البحر بلوازم المراتب فانه زاد وكثر وغلا وغزر » وقدر جبايتها عام ٣٥٨ هـ/ ٩٦٨ بأنه ستة الاف الف درهم(٥٥) ، وهو وارد ضخم بحدود تلك الفترة ويشكل موردا هاما .

اما البحرين فهى الأخرى كانت تتمتع بانماط اقتصادية متنوعة فهناك الزراعة ، كزراعة النخيل والفواكه والقطن والحبوب وغير ذلك ، وهى تدر موردا غنيا لتموين ميزانية الدولة . وكانت بعض حاصلاتها الزراعية مهيأة للتصدير سواء كان ذلك ضمن منطقة الخليج العربى كما هو الحال ببيع التمور الى الخرج فى اليمامة مقابل الحنطة الى البلدان الاخرى . وهناك الصناعة ، خاصة صناعة المنسوجات ، أما المورد الثالث الهام جدا فهو جمع اللؤلؤ والعنبر وما يستخرج من الخليج العربى ، ويبدو أن واردها غنى للدولة اذ يقول ناصرى خسرو أن لسلاطين الحسا نصف ما يستخرجه الغواصون من(٥٦) اللؤلؤ . ويذكر ابن حوقل عن جزيرة أوال معلومات قيمة اذ يقول فى الجزيرة « الضريبة العظيمة على المراكب المجتازة بهم » ويضيف ان وارد ذلك يرجع الى ابى سعيد الجنابى وولده سليمان(٥٧) وتسلمها مما يوضح أن التجارة والضرائب المفروضة على التجارات تعد نمطا اقتصاديا آخر مهما فى حياة البحرين الاقتصادية . ونعود الى ابن حوقل حيث يقدم لنا معلومات عن هذا المورد فيذكرها على انها ١ ـ العشور ٢ ـ المرافق الأخرى ٣ ـ الضرائب المفروضة على الطرق البرية الآتية من بادية البصرة وبادية الكوفة وطريق مكة ٤ ـ الضرائب المفروضة على ما يصل البحرين من عمان عن طريق البر والبحر ٥ ـ وارد حاصلات البحرين الزراعية كالتمور والفواكه والحنطة والشعير . فمن المعروف أن للقرامطة ديوانا على الطريق البرى الذى يربط البصرة والعراق بالبحرين وموضعه على باب (حدود) البصرة ويذكر أن هذا الديوان وكذلك الديوان الذى اسسه الديلم لا يفتح الا ساعة فى النهار ، وكانوا يأخذون ضريبة قدرها أربعة دراهم على كل رأس من الغنم(٥٨) . ويشير ابن حوقل الى أن قرامطة البحرين كانوا « يتوزعون من مال البصرة والكوفة وما يقبضونه من الحجاج(٥٩) » . ويذكر أيضا بأن هناك ضريبة على الحجاج الوافدين الى البحرين ، وضرائب على كل حمل من أحمال البز والخز الواردة من البصرة . وفى الوقت نفسه فقد كان لهم ديوان آخر فى جزيرة أوال التى تعترض طريق السفن التجارية الذاهبة الى البصرة والعراق والخارجة منه الى عمان وسيراف والهند والصين وافريقيا . وقد وصفت الضرائب التى يأخذونها فى مركز جمع الضرائب فى أوال على أنها عالية جدا(٦٠) ـ كل هذا وغيره يدل دلالة أكيدة على مدى أهمية التجارة ومواردها كمصدر اقتصادى فى حياة الدولة خلال العهود الاسلامية ، لذلك نجد بأن الدولة العباسية كانت تولى أهمية خاصة الى طرق الحاج والطرق التجارية بتوفير مستلزماتها . كذلك نجد أن قرامطة البحرين بعد أن استقر أمرهم خططوا كثيرا للاستحواذ على المراكز التجارية الهامة فى المنطقة كالبصرة

وسيراف انطلاقا من المزايا التجارية التى كانت تتمتع بها هذه المراكز .

غير أنه من المؤسف أن المصادر لا تقدم بالضبط مقدار الضرائب المفروضة على التجارات والبضائع الواردة والصادرة لكنه من المحتمل جدا أن نقف ولو مبدئيا على ذلك من خلال اللجوء الى معلومات ضرائبية من منطقة أخرى أو تخص بلدا آخر. فالبحرين كما ذكرنا تقع على طرق التجارة البحرية الآتية من الهند والصين وافريقيا الى العراق لذلك فانها خلال فترة انتعاش التجارة فى الخليج العربى كانت تمثل الممر الرئيسى للعديد من البضائع والتجارات كالاحجار الثمينة والعاج والأخشاب والتوابل والمعادن ، وكان التجار البصريون والسيرافيون والبحرانيون والعمانيون يتولون نقل هذه التجارات ، فمثلا اعتمادا على قول المقدسى ان الضرائب والمكوس المفروضة فى ميناء عدن والتى كان يعتمد عليها كثيرا هى :

نصف دينار على كل حمل حنطة ، ثلاثة دنانير على سفط ثياب الشطوى ديناران على سفط ثياب الديبقى ، ديناران على سلة الزعفران ، دينار على رأس الرقيق . ويذكر أن الزكاوية كانوا يقومون أمتعة التجار ويأخذون عشرها ثم يقدمون ثبتا بأموال التجار الى السلطان ، بعدها يقومون بتفتيش دقيق لما يحمله التجار من البضائع(٦١) .

أما بخصوص المراصد البرية فكانوا يأخذون على باب زبيد دينارا على حمل المسك ، ونصف دينار على حمل البز(٦٢)

ويقدم ابن المجاور في القرن السابع قائمة دقيقة مفصلة عن مقادير الضرائب المفروضة على التجارات ابان دولة بني زريع أرى من المفيد ايضا ذكرها لأنها قد تفيدنا فى موضوع البحث . كان يؤخذ على بهار الفلفل (البهار عيار يعادل حوالى ٣٠٠ رطل) ثمانية دنانير عشور ودينار شواني وديناران على خروجه على الفرضة . ويؤخذ على النيل اربعة دنانير شواني وربع دينار على خروجه على الفرضة ، وعلى بهار الحلتيت ثمانية دنانير ، وعلى بهار قشر المحلب ثلاثة دنانير ونصف ، وعلى بهار الطباشير واحد وعشرون دينارا الا ثلثا ، وعلى فراسلة الكافور خمسة وعشرون دينارا ونصف وسدس ، وعلى بهار الهيل سبعة دنانير .. وعلى فراسلة الزعفران ثلاثة دنانير وثلث ، وعلى بهار الكتان سبعة دنانير ونصف . واذا ابتاع مركب يؤخذ ضريبة من البائع قدرها ١٠٪ ، ويؤخذ على الحديد عشور النصف وعلى اللاك (وهو نبات يستخلص من عصارته صبغ أحمر تصبغ به جلود البقر والماعز) الربع أو الثلث ، كما يؤخذ عليه ديناران استظهارا . وعلى رأس الضأن ربع دينار وعلى الحصان خمسون اذا دخل البلد وسبعون دينارا اذا خرج في البحر الى الخارج ، وعلى رأس الرقيق ديناران ، وفى حالة تصديره فيؤخذ نصف دينار ، وعلى شقق الحرير من عمل زبيد نصف دينار ، وعلى الثوب الظفاري ربع دينار وعلى السوس ثلاثة قراريط ، وعلى فوطة السوس ربع وعلى كورجة الثياب الخام الهندي ديناران ونصف(٦٣) .

فالملاحظ ان هناك العديد من تلك المواد التى كانت تدخل البحرين او تمر بها الى العراق ، مع العلم أنه ينبغى ان نأخذ بنظر الاعتبار بأن هذه الضرائب متغيرة تبعا للتغيرات السياسية والاقتصادية والجغرافية ، فمثلا نجد ان المقدسي فى روايته السابقة يشير الى ان الضريبة على الثياب كانت بين دينارين الى ثلاثة دنانير وعلى سلة الزعفران دينارين وعلى حمل المسك دينارا ، وعلى حمل البز نصف دينار ،

في حين ان صاحب صعدة لم يأخذ اى ضريبة واكتفى بأخذ ربع العشر من التجار . وكان الديلم والقرامطة يأخذون على باب البصرة ضريبة على رأس الضأن قدرها اربعة دراهم وهى فى اليمن ربع دينار ، وعلى حمل البز خمسين درهما بينما تختلف الضرائب على المنسوجات في اليمن تبعا لانواعها . وكان يؤخذ زمن المقدسى على رأس الرقيق دينار بينما هى فى رواية ابن المجاور فى القرن السابع ديناران(٦٤)

فترة انكماش النشاط التجاري :

لقد حدد بعض الكتاب الاجانب والعرب القرن الحادى عشر للميلاد بأنه القرن الذى يمثل فترة هامة فى تاريخ التجارة والملاحة فى الخليج العربى ، اذ اتضح فيه انتكاسها وضعفها وذلك لتحول الطرق التجارية والملاحية الآتية من الشرق الى بحر عمان - البحر العربى - البحر الاحمر بدلا من الخليج العربي . وهى فرضية ذكية تؤيدها العديد من القرائن التاريخية والجغرافية والاقتصادية لا مجال الى الخوض فيها لكن ابرزها :

١ - ضمور المراكز التجارية التى كانت تلعب دورا فعالا فى ميدان الملاحة والنقل والتجارة امثال البصرة والابلة واوال وسيراف وقيس .. وعلى عكس ذلك انتعاش موانىء اخرى امثال موانىء عمان كصحار وعدن وصعدة في اليمن وقلزم وعيذاب في البحر الاحمر .. فقد وصف ابن جبير الاخيرة بقوله : « انها من افضل مراسي الدنيا لان مراكب الهند واليمن تحط فيها وتقلع»(٦٥) .

٢ - ندرة المعلومات التجارية والاقتصادية فى كتب الرحلات والجغرافيين عن الفعاليات التجارية ، وقد يكون العكس بالنسبة الى كثرتها بخصوص الملاحة فى البحر الاحمر صحيحا كمعلومات ابن مجاور مثلا ووثائق الجنيز المهمة .

٣ - اهتمام الدولة الفاطمية فى مصر فى الحقل التجارى وطريق التجارة مع الهند (طريق التوابل) والصين وجذب الطرق عبر البحر الاحمر . ويتضح ذلك من خلال بعض الفقرات فى السجلات المستنصرية ، فضلا عن وثائق الجنيزا .

٤ - تحول العديد من تجار البصرة وبغداد الى مصر ، ونشاط التجار المصريين واتساع اتصالاتهم التجارية بوكلائهم في اليمن وعمان والهند .

ويرجع هذا الانكماش فى النشاط التجارى فى الخليج عموما وفى العلاقات التجارية بين العراق والبحرين خاصة الى جملة عوامل منها :

١ - اضطراب الاوضاع السياسية الناجمة عن سيطرة الديالمة والسلاجقة على مقاليد الامور في العراق وقلة اهتماماتهم بالميادين التجارية وانشغالهم الكبير فى الحروب فيما بينهم من اجل السلطة وتوجيههم العسكري ، مما ادى الى اهمال الطرق التجارية فضعف الأمن بها . كذلك فان البحرين هى الاخرى عاشت فترة اضطراب سياسي وحروب وفوضى ابان سيطرة القرامطة وما بعد ذلك .. والواقع ان هؤلاء كانوا يفرضون سيطرتهم على بادية البصرة والكوفة وكانوا يشكلون خطرا جسيما على القوافل التجارية البرية القادمة من العراق الى البحرين والى مكة حتى انه فى سنة ٣٥٩هـ/ ٩٦٩ اعلنوا تهديدهم للقوافل التجارية والحجاج الخارجة من البصرة والكوفة الى مكة ومن خالف تهديدهم هذا « فلا ذمام(٦٦) له» وكثيرا ما اعترضوا قوافل الحجيج والمارة .

٢ ـ شجع هذا الاضطراب السياسي العديد من القبائل البدوية فى ان تفرض سيطرتها على الطرق وان تهدد المارة والحجاج والتجار فى آن واحد ، مثلما حدث فى سنة ٣٧٨هـ/ ٩٩٨ وهجوم الاصيفر المنتفقي على الاحساء والقطيف ونهبه اموال الناس ، وتعرض بنو هلال على حجاج البصرة سنة ٣٦٣/ ٩٧٣ ونهبهم اموال الحجاج والتجار وكذلك ما احدثوه سنة ٣٩٢/ ١٠٠١ وسنة ٣٩٩/ ١٠٠٩ التى نهبوا فيها حوالى الف الف دينار(٦٧)

٣ ـ الضرائب الفادحة التى اوجدها الديالمة والسلاجقة والقرامطة على التجارات الواردة والصادرة .

٤ ـ المنافسة السياسية والاقتصادية بين الفاطميين فى مصر والعباسيين فى بغداد ، ومحاولة الفاطميين اجتذاب الطرق التجارية عبر البحر الاحمر .

الهوامش

(١) طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ج١ ص٣٨-٤٤ ، نفس المؤلف : « علاقات بلاد الرافدين بجزيرة العرب» مجلة سومر مجلد ٥ ج٢/١٩٤٩/ ص١٣٣-١٣٦ . فؤاد جميل : «الخليج العربي في مدونات المؤرخين والبلدانيين الاقدمين» مجلة سومر مجلد ٢٢/١٩٦٦ ص٥٢-٥٤ .
Leemans: Foreign Trade in Old Babylonian period (1960) p.2-5, 121.

(٢) فؤاد جميل : المصدر السابق ص٥٢ ، ٥٤ . محمد امين واصف : «الجرعاء او الجرعة» في مجلة لغة العرب (ج٧/ السنة الرابعة) ص٤١٧-٤١٩ ، رزوق عيسى : «قبور غريبة قديمة في البحرين سابقة لعهد التاريخ» مجلة لغة العرب (ج٧/ السنة الثانية) ص٢٧٤ ، ٢٧٦ ، «جزيرة تيلوس وارادوس» في مجلة لغة العرب (ج٧/ السنة الرابعة) ص٤٢٠ .
Wilson: The Persian Gulf, p.30, 34, 156;
Bibby: Looking for Dilmun (1969) p.107

(٣) د. طه باقر : مقدمة ج١ ص٤٣٠-٤٤٠ ، د. سامي سعيد الاحمد : العراق القديم ، الجزء الثاني (من العصر الاكدي حتى نهاية سلالة بابل الاولى) بغداد ١٩٨٣ ، فؤاد جميل ص٥٢-٥٤
Seemans, p.2, Rostovizeff: The Social and Economic Hellenistic World, Vol. I p.134

(٤) كان المنذر بن ساوى هو الذي يتولى تعشير التجار ، كما ان هناك سوقا في المشقر حيث يرد اليه تجار فارس ، والمنذر بن ساوى من بني عبدالله بن دارم . انظر القلقشندي . صبح الاعشى ج١ ص٤١٠ ، ابن منظور : لسان العرب (مادة هجر) .

(٥) انظر عن الابلة ابن الفقيه الهمداني : البلدان ص ٢٧٠ ، الاصطخري المسالك والممالك ص٩٥ ، المقدسي : احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ص١٧٨ ، ٤١٩ ، ناصر خسرو : سفرنامة (تعقيب د. يحي الخشاب) ص٩٩ ، ابن بطوطة : رحلة (بيروت) ص١٨٨ .

(٦) المقدسي : احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ص١١٩ - ١٢٠

(٧) الهمداني : صفة جزيرة العرب (تحقيق الاكوع) ص٢٧٩-٢٨٠ ، ياقوت الحموي : معجم البلدان (مادة بحرين)

(٨) ابن الفقيه الهمداني ص ٣٠ - ٣١

(٩) ياقوت الحموي (البحرين)

(١٠) المقدسي : احسن التقاسيم ص ٧١ ، ياقوت الحموي : معجم البلدان (اوال) ، ابو الفداء : تقويم البلدان ص٣٧١

(١١) ابن الفقيه الهمداني : المصدر السابق ص ٥١

(١٢) الجاحظ كما ذكره المقدسي : احسن التقاسيم ص ٣٣ ، ابن حوقل : صورة الارض ج١ ص٢٣٨

(١٣) الاصطخري : الاقاليم ص ١٥ ، ابن حوقل : صورة الارض ج١ ص٤١ .

(١٤) ابن حَوقل : مسالك الممالك ص ٣٥

(١٥) الاصطخري : الاقاليم ص١٥-١٦ ، ابن حوقل : المسالك ص٣٥ .

(١٦) ابن حوقل : صورة الارض (بيروت) ص ٤٧

(١٧) الاصطخري : الاقاليم ص ١٦ ، ابن حوقل : المسالك ص٣٨ ، صورة الارض ق١ ص٤٧

(١٨) الاصطخري : الاقاليم ص ١٦ ، ابن حوقل : المسالك ص٣٨ ، المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر (باريس) ج١ ص٢٣٥ ايضا .

Hasan, H: A History of Persian Navigation (London 1928) p.110

(١٩) ناصر خسرو : سفرنامة ص ١٥١

(٢٠) انظر عن هذا الموضوع ابن رستة : الاعلاق النفسية (ليدن ١٨٩١) ص١٨٤-١٨٥ ، السيراف : سلسلة التواريخ (تحقيق Lengles/باريس ١٨١١) ص ١٥-٢١ ، ١٣٦-١٣٧ ، المسعودي : مروج ج١ ص٢٣٢ ، ج٣ ، ص٦ ، حدود العالم : مؤلف مجهول (تحقيق مينورسكي) ص ٥٨ ، المروزي : شرف الزمان : في الصين والترك والهند (لندن ١٩٤٢) ص١٠ ، ياقوت الحموي : معجم ج٤ ص٢١٦ ،
Chan-Ju-Kua: Chinese and Arab Trade in the 12th and 13th centuries.
(P.St-Petersburg 1914) p.15, 132-35
Adler, E.N: The Jewish travellers (London 1930) p.57,
Boulnois: The Silk Road (1963) p.191

(٢١) البيروني : الجماهر في معرفة الجواهر (حيدر اباد) ص ٢٦١
(٢٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك [ط - اوربية] م١/٢٣/٣١٢٣ ، ٣١٢٧ م٢/ ٦٨١-٦٨٢ ، د. صالح احمد العلي : «خطط البصرة» مجلة (سومر ١٩٥٢) ص٢٩٥ ، التنظيمات الاجتماعية ص٢٤٨
(٢٣) د. صالح العلي : التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الاول للهجرة [بغداد/ ١٩٥٣] ص٢٤٤
(٢٤) المسعودي : مروج ج١ ص٢٠٥-٢٠٦ ، ٣٣٣
(٢٥) المسعودي : التنبيه والاشراف (ليدن ١٨٩٣) ص٣٩٤
(٢٦) سبط بن الجوزي : مرآة الزمان مخطوط المتحف البريطاني ، لندن رقم OR.4619) ورقة ١٦٥ (ب)
(٢٧) احسن التقاسيم ص ١٢٨
(٢٨) ن.م
(٢٩) ابن الفقيه الهمداني : البلدان ص ٢٥٣
(٣٠) ابو الفرج الاصفهاني : الاغاني ج٢ ص١٨٩
(٣١) الصولي : اخبار الراحين والمتقي (القاهرة) ص ٢٨٨
(٣٢) ابن بطوطة : رحلة ج١ ص١٣٦-١٣٧
(٣٣) حدود العالم (ت. مينورسكي)
Minorsiky: Hudud al-Alam pp.138-39
(٣٤) الجاحظ : التبصر بالتجارة [اعتناء حسني عبدالوهاب/١٩٣٥] ص٣٢ ، ٣٤ ، المقدسي : ص١٢٨، ١٤٥
(٣٥) الجاحظ : المصدر السابق ، المقدسي ص٣٢٤ ، ٣٩٦، ٤٤٢ ، ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص٧٠
Lopez, R.S. and Raymond: Medieval trade in the Mediteranean World (London 1955)
Thempson, J.W: Economic and Social history of the Middle Ages (1928) pp.353
B. LEWIS: The Fatimids and the route to India, in RFSE univ. Istanbul XI (1946-50) p.50-54

(٣٦) ابن حوقل : صورة ص٣٣ ، ناصر خسرو ص ١٤٤ ، ابن بطوطة ج١ ص١٧٧ ، نعمان بن محمد : معدن الجواهر بتاريخ البصرة والجزائر [د. محمد حمداش] باكستان/١٩٧٣ ص٨٨-٨٩
(٣٧) سفرنامة ص ١٤٤
(٣٨) سلسلة التواريخ ص ١٣٩
(٣٩) احمد بن يوسف التيفاشي : اظهار الانكار في جواهر الاحجار [مخطوط ، المتحف البريطاني رقم Add 21/953] ورقة ٦ (أ) ، ابو عبيد البكري : الممالك والمسالك (ط١/ ١٩٧٧) ص٣٨-٤٠
(٤٠) ن.م. ورقة ٥٦ (أ)
(٤١) ابو الفداء : تقويم البلدان ص٩٨-٩٩
(٤٢) ن.م.
(٤٣) البلدان ص ١١٤ ، ابوعبيد البكري : الممالك والمسالك ص٣٨-٣٩
(٤٤) رحلة ابن بطوطة ج١ ص١٧٧
(٤٥) ابو الفرج الاصفهاني : الاغاني [١٩٦١] ج٣ ص٥٤ ج١٦ ص٢٠٤ ، ابن بطوطة ج١ ص١٧٧
(٤٦) ابو الفرج الاصفهاني : الاغاني ج٦ ص١٢٨ [١٩٣٥]
(٤٧) المقدسي : احسن التقاسيم ص ١٠١
(٤٨) ن.م ، نعمان بن محمد : معدن الجواهر ص٨٨-٨٩

(٤٩) البكرى : معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضيع [ت. مصطفى السقا ، ١٩٤٩] ج٢ ص٥٣٩
(٥٠) ابن عبدالحق : مراصد الاطلاع ج٢ ص٥٠٩ ، ابو الفداء : تقويم ص٩٩ ، انظر ايضا ابا عبيد البكرى : الممالك والمسالك (ت.د. عبدالله الغنيم ط١ / ١٩٧٧] ص٣٨-٤٠
(٥١) تاريخ اليعقوبي (ليدن ١٨٨٣) ص٥٩٠
(٥٢) احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ص١٣٤ ، الصابي : الوزراء ص ٢٨٦ .
(٥٣) المقدسي ص ١٣٤ ، ويذكر السيوطي في تاريخ الخلفاء (ص٣٩٢) ان عمر بن يحي العلوى فرض ٣٢٧هـ على كل جمل للحجاج ضريبة خمسة دنانير معلقا على ذلك انها اول سنة يؤخذ فيها المكس على الحجاج (اى سنة ٣٢٧هـ)
(٥٤) الصابي : الوزراء ص ٢٨٦
(٥٥) ابن حوقل : صورة قسم ١ ص ٢٣٩
(٥٦) سفرنامة ص ١٤٤
(٥٧) صورة الارض : ق١ ص٣٣
(٥٨) احسن التقاسيم ص ١٣٤
(٥٩) المسالك ص٢٣
(٦٠) صورة الارض ق ١ ص٣٣
(٦١) احسن التقاسيم ص ١٠٤ ـ ١٠٥
(٦٢) ن.م
(٦٣) ابن المجاور ، يوسف بن يعقوب : تاريخ المستبصر [تحقيقLofgren] (١٩٥١-١٩٥٤) ص١٤٠-١٤١
(٦٤) المقدسي : ص ١٠٤-١٠٥ ، ابن مجاور ص١٤٠-١٤١
(٦٥) ابن جبير : رحلة ابن جبير (بيروت ١٩٥٩) ص٤٥، ٤٦
(٦٦) سبط بن الجوزي : مراة الزمان [مخطوط] ورقة ١٦٥ (ب)
(٦٧) انظر ابن الاثير : الكامل في التاريخ [القاهرة] ج٨ ص٢٣٣ ، انظر ج٩ ص٢١، ٧٧ ، ايضا انظر عن حوادث سنة ٣٩٢هـ ابن الجوزي : المنتظم [حيدر اباد] ج٧ ص٢١٩



« اننـا نستخدم اللغـة كوسيلة لنقل افكارنـا واحساسـاتنا ورغباتنا الى الاخرين ومهما كان المنبع التاريخي للغة الناطقة ، فمما لا شك فيه ان الحافز الأساسى لاستخدامها هو رغبة الانسان فى التأثير فى الأشخاص الذين يتعامل معهم ..

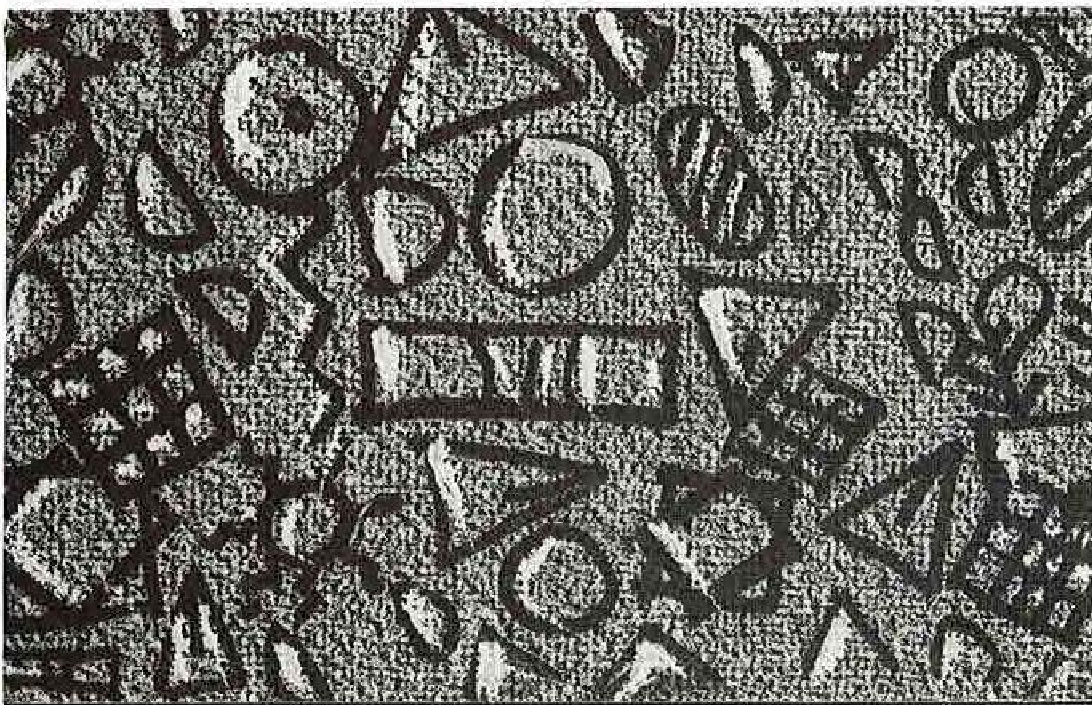
وقد اعرب جون لوك عن هذه الفكرة بصورة اجمل عندما قال «لقد زود الله الانسان بلغة مما أصبح أداة هامة فى توحيد صفوف المجتمع الانساني»(١)

وبعد بحوث قمت بها لسنوات وصلت الى نقطة أمكن لي فيها أن أعرف نظام الكتابة الدلمونية . وكان البحث بمثابة تدوين للغـة جديدة .

ان معرفة نظام الكتابة الدلمونية تمكننا من معرفة رسالتهم الكتابية وكذلك تعطينا معلومـات دقيقة عن نشـاطاتهم وافكارهم وآلهتهم وأنـاشيدهم «فـاللغة بمعنى عـام وسيلة لنقـل الأفكـار .. وهى عبـارة عن أصـوات مـلفـوظة معبـرة عن أفكـار الانسان»(٢)

وقد يكون من الأفضل ان اشير الى نظام الكتـابة الدلـمونى كنظام مبنى عـلى مبدأ الادماج . وكانت الكتابة المدمجة تستخدم للأغراض الفنية والدينية على أختام دلمون وليس على نطاق أوسع كما كان يجب نظرا لعلاقاتها التجارية الواسعة ويرجع السبب الى تعقيد هذا النـظام من الخط وصعـوبة استخدامه .

ويرجع عدم استخدام هذا النظام عـلى نـطاق واسـع ولأغـراض شتى للأسبـاب التالية :



بقلم :

علي أكبر بوشهري

- البحرين

١ - ان هذا النوع من الكتابة يتطلب وقتا طويلا .

٢ - انه صعب للكتابة والقراءة ولذلك صعب للفهم .

٣ - لم يكن مناسبا لاستخدامه فى المعاملات التجارية لان دلمون كانت مركزا تجاريا لتوزيع السلع لعدة ثقافات مختلفة .

٤ - كان هذا الخط مناسبا لاستخدامه لأغراض الطقوس الدينية بأشكال فنية على الأختام .

وقد اتخذت اختام دلمون صيغة فنية من الجمال والجاذبية وأصبحت مشوقة للغاية . اذكر على سبيل المثال كلمة «انانا» وهى اسم آلهة الحب والأرض . لقد كتبت هذه الكلمة بأشكال متنوعة تشبه الشكل الأصلى أحيانا وتختلف كلية أحيانا أخرى وعلى كل حال تمتاز الأشكال كلها بنوع من الابتكار والجمال .

وهذا الأسلوب اعطى جانبا جديدا لحضارة دلمون التى كانت توجد فيها ٤ أنواع لنظام الكتابة والنقوش اثنان منها من (الرافدين) وهما عبارة عن الكتابة التصويرية والكتابة المسمارية وهما من مصدر واحد ، والثالث مكون من نظام الكتابة الدلمونى المدمج وأخيرا الكتابة على طراز وادى الاندوس . وكانت حضارة متقدمة وتمكنت من اختراع نظام جديد للكتابة انطلاقا من نظام آخر .

ونظام الكتابة الدلمونى المدمج كان مبنيا على الكتابة التصويرية السومرية . فمن المعروف بأن السوريين والأكاديين اخترعوا كتابتهم المسمارية لكن الدلمونيين استخرجوا واستنبطوا نمطا جديدا لفن الكتابة وقاموا بتبسيط وتيسير الكتابة التصويرية عن طريق

تخفيض عدد الخطوط في كتابتها وان كان من الصعب علينا أن ندرك الأصل التصويري لكتابات دلمون .

الا انه يمكن التعرف على الارتباط في بنيان اللغات بالمقارنة فحسب وخاصة ان العلاقة بينها كانت وطيدة جدا»[٣] ويؤيد هذا الاحتمال ان سكان دلمون او على الاقل جزءا منهم كانوا من الأصل السومري . وقد عالجت هذا الموضوع في ثلاثة بحوث قدمتها تحت العناوين الآتية : التأثير الثقافي للرافدين على دلمون في «عبادة آلهة الشمس»[٤] و«الأزياء»[٥] و«الآلات الموسيقية»[٦] على التوالي .

استخدمت دلمون نظام الكتابة الذى كان في الاصل سومريا ولكنى لست واثقا مما اذا كان الدلمونيون نطقوا نفس اللغة ايضا . فليس هناك شك بأن كتابتهم كان مصدرها سومريا وربما نطقوا بلغة سومر او بلغة مأخوذة أو متطورة من هذه اللغة . هذا مجرد تخمين فقط . «ومن الناحية التاريخية او الثقافية وحتى في الحياة الشخصية يسبق النطق الكتابة ويفترضها ويستلزمها»[٧]

وتدل الكتابات والنقوش الدلمونية على وجود اربعة نظم للكتابة فيها . أولا : الكتابات المسمارية التى عثرت عليها في البحرين وهناك نصان من المسمارية . وثانيا : نقوش وادى الاندوس التى عثرت عليها في الكويت منقوشة على اختام دلمون . وثالثا : الكتابة التصويرية السومرية التى شوهدت بكثرة منقوشة على الأختام واخيرا نظام الكتابة الدلمونية المدمجة .

وهذا البحث يقوم على الاختام الدلمونية الدائرية بمراجعة تاريخها وهى بمثابة «موسوعة دلمونية» . وكان من الوظائف الهامة لارتداء الأختام الحفاظ على لابسها وجلب حظ سعيد له[٨] لذلك «كانت الأختام تحمل شعارات اسطورية من مصادر مختلفة ومنسوجة في أشكال بصرية متنوعة (ولدينا نماذجها العديدة بشكل الأختام) وامثال سائرة»[٩]

وقد اكتشفت خطوة هامة في فهم الأشكال الفنية المنقوشة على الأختام كما ورد في كتاب «الفن القديم في الأختام» .

فان الخطوة الأولى في فهم الأيقونات والصور المنحوتة على الأختام هى تحليل الشعارات والأفكار الرئيسية التى تمثلها الأختام في النقوش التى تشابه بعضها البعض من حيث الأوضاع الجسمانية والأفعال والحركات التى تظهرها النقوش ، وتصنيفها قبل البحث عن نقوش مماثلة في ادب ما بعد الأكادى»[١٠]

وحسب معلوماتنا يوجد ٦٨٧ ختما دلمونيا منها ٤٠٠ من الكويت و٨ منها ذات نقوش على الوجهين وحوالى ٣٥ من العراق و٥ من تيب يحي في ايران وختم واحد لوادى الاندوس من باكستان[١١]

الا ان جوفرى بيبي في كتابه «البحث عن دلمون» يذكر ان عدد الأختام التى عثر عليها في وادى الاندوس هو ١٥ . ولكن الدكتور محمد رفيق يؤكد بأنه لا يوجد حتى ختم دلموني واحد في مواقع وادى الاندوس[١٢]

ويوجد حوالى ٢٣٠ ختما في البحرين وهى مهمة جدا وتعتبر من احسن النماذج للدراسة والتحاليل من حيث تاريخ الفن . وقد اشرت الى ٤٩٧ ختما دلمونيا في هذا البحث وهو اكبر عدد أشير اليه في أى بحث ويمثل نسبة قدرها ٧٢٪ لمجموعة اختام دلمون لكن هذا البحث يعتمد غالبا على الأختام الكويتية ، فمجموعة الأختام التى لدى البحرين لم تنشر بعد ولذلك لم أستطع الاستفادة منها .

ويستخلص هذا البحث نتائجه من تحليل ٧٢٪ من ٤٩٧ ختما ومن المحتمل بأن هذه النتائج تتطلب اعادة النظر فيها فى ضوء ما تبديه الأختام الدلمونية عندما تنشر .

لماذا اختارت دلمون نظام كتابة غير الذى كان رائجا فى الرافدين ؟ ولماذا لجأت دلمون الى تطوير الكتابة التصويرية السومرية دون الكتابة المسمارية بشكل مختلف تماما ؟ يحاول هذا البحث الرد على هذه الاسئلة .

الكتابة التصويرية السومرية :

« لقد تم اكتشاف هائل للانسان فى ارض الرافدين المجاورة وهو فن الكتابة »[١٣] كيف كانت هذه اللغة ولأى فرع كانت تنتمى اليه من شجرة اللغات .. «ان السومرية ليست لغة سامية او هندية اوربية بل تنتمى الى كتلة ناشئة من اتحاد عناصر مختلفة . رغم ذلك فهى لغة ذات ميزة مستقلة وغير مرتبطة بأية لغة رائجة او ميتة »[١٤]

وقد استخدم السومريون كتابتهم لغرض رئيسي هو كتابة الحسابات[١٥]

وقد أشار احد الكتب العديدة الى الكتابة السومرية ووصف بها احدى مسائل الجبر والمقابلة لأن كل جزء منها كانت له قيمة وكان بالامكان تقديرها بالمقارنة الى قيمة المجموع[١٦]

وعندما اخترع السومريون نظاما للكتابة اشتهر بالكتابة التصويرية اى استخدام صورة لتمثل كلمة . «لا يمكن قراءة الألواح الأولية لأن كل صورة (رمز) كان لها معنى خاص دون الاشارة الى كيف تلفظ الكلمة[١٧] وربما يعود تاريخ هذه الكتابة الى ٤٥٠٠ق.م. وفي الواقع انها عبارة عن «عملية ربط وتركيب بين الكتابات المتنوعة لتخلق معنى جديدا »[١٨]

نذكر على سبيل المثال نموذجا لهذا النظام مثل كتابة اسم آلهة الحب والجنس «انانا» .. تتكون هذه الكلمة من ثلاثة رموز مستقلة بذاتها اى «  » بمعنى المرأة أو السيدة أو الأنثى  «ن» بمعنى الجبل و «نا» بمعنى النجمة او السماء او الزهرة ، وهكذا أصبحت كلمة «انانا» تعنى سيدة الجبال وآلهة السماء والحب .

وقد تم تطوير الكتابة التصويرية للرافدين الى نظام المسمارية بين ٣٠٠٠ و٢٦٠٠ ق.م «أقدم الألواح الطينية المنقوشة يرجع الى حوالى ٣١٠٠ ق.م»[١٩] و«أقدم النقوش السومرية المتواجدة يرجع الى عهد مسيلم كيش الذى عاش حوالى ٢٦٠٠ ق.م»[٢٠]

لقد بدأت الكتابة المسمارية بشكل الكتابة التصويرية وكان كل رمز صورة لشىء مادى او لأشياء ويمثل كلمة ذات معنى مشابه للشىء الذى كانت ترمز اليه او كانت لها علاقة قريبة بالشىء الذى كانت تمثله الكلمة .

وهناك عيبان في هذا النظام ، اولهما هو تعقيد الصور وكثرة الخطوط والرموز مما يجعله نظاما معقدا غير صالح لاستخدامه العملي . فتغلب الكتاب السومريون على هذه المشكلة بواسطة تبسيط الرموز بالتدريج حتى لم تظهر الصور بأشكالها الأصلية ، وثانيا خفض السومريون عدد الرموز الى أقل ما يمكن بواسطة الأساليب المختلفة[٢١]

واختام دلمون والقطع الأثرية الأخرى تشير الى تأثرها بالكتابة المسمارية . فمجموعة الباحث من الأختام التى تم العثور عليها فى البحرين ويبلغ عددها ١٢٤ ويشكل هذا العدد نسبة ٥٤٪ للمجموع وهو ٢٣٠ . لا توجد عليها اية كتابة مسمارية ، ومن المحتمل انها توجد على الأختام التى لم تنشر عنها التفاصيل بعد . ولدينا من المتحف الوطنى في الكويت ٣٧٦ ختما اى ٩٢٪ للمجموع وهو ٤٠٨ اختام . وقد

ساعدنا هذا العدد الكبير من الأختام في اكتشاف ٤ منها ذات نقوش مسمارية . اثنان منها في حالة جيدة ، ويشابهان بعضهما البعض»[٢٢][٢٣] اما الثالث فليس بكامل وجزء منه مفقود[٢٤] بينما الرابع ليس بحالة جيدة»[٢٥]

وقد عثرت على الكتابة المسمارية في الكويت منقوشة على المخلفات الأثرية الاخرى . فهناك نموذجان للكتابة المسمارية احدهما جزء لآنية مصنوعة من الحجر الصابوني وعليها نص مسماري وتم العثور عليها في الجهة الجنوبية للمعبد تحت حائط القلعة ف٥[٢٦] وثانيهما ايضا جزء من آنية مصنوعة من الحجر الصابوني وعليه كتابة مسمارية واسم شخص « ايا مي يو » ومعظم الأواني المزخرفة التي اكتشفت كانت مكسورة من مساحة ف٣ تل سعد[٢٧]

وعثرت على قطعتين في البحرين بالنقوش المسمارية اولهما هو الحجر الاسود الذي اكتشفه «الكابتن دوران» في سنة ١٨٧٩ ، وفقد مرة اخرى وكان طوله قدمين وبوصتين وكان اصلا جزءا لقاعدة معبد ويبدو من اسلوب النحت بأنه ينتمي الى حوالي ١٨٠٠ق.م[٢٨]

وثانيهما لوحة وجدها منقب آثار بحريني في المدينة الاسلامية قبل حوالي ٣ سنوات[٢٩]

ان الافتراض بأن دلمون استخدمت الكتابة المسمارية افتراض معقول لأن دلمون كانت بالقرب من الرافدين والعلاقات التجارية بينهما كانت قوية وكان للتأثير الثقافي للرافدين انعكاس على ثقافة دلمون . وكانت الكتابة المسمارية حينئذ نظاما مفيدا للتبادل الثقافي والتبادل التجاري بين البلدين .

نقوش وادي الاندوس :

كانت الاتصالات بين حضارة وادي الاندوس وجنوب ايران والخليج بما فيه الجزيرة العربية الشرقية والرافدين وطيدة وتبرهن عليها الاكتشافات من الأواني المصنوعة من حجر الصابون التي عثرت عليها في الطبقات الزمنية المبكرة في الحفر في موهنجودارو ويعود تاريخها الى الالف الثالث ق.م[٣٠]

معتمدا على صور الاختام التي جمعتها شخصيا من الاختام الدلمونية وصورها من الكويت في الاغلب اكتشفت ٨ اختام عليها نقوش لوادي الاندوس و٧ منها وجدت في الكويت والآخر في البحرين .

يقول مصدر كتابي «ان اختام حجر الصابون الدائرية المكتشفة في البحرين تحمل نقوشا من كتابة وادي الاندوس وان الختم الذي اكتشف في البحرين هو من نفس النوع الذي عثر عليه في موهنجودارو وهي مدينة في وادي الاندوس»[٣١]

ومن سوء الحظ لم استطع ان استخدم هذه الاختام الثمانية التي جمعتها من البحرين في اعداد هذا البحث لان المراجع المطبوعة لا تذكرها مع انني اخذت بعين الاعتبار تواجد هذه الاختام الثمانية ذات النقوش من وادي الاندوس مع الاخرى مما يرفع عدد الأختام التي تحمل نقوشا من وادي الاندوس الى ١٦ . ويعتبر هذا عددا قليلا بالمقارنة بالعدد الكلي للاختام من دلمون لكنه يمثل عددا كبيرا من حيث انه يحمل نقوشا مسمارية اي حوالي ٤ اضعاف نسبيا وهذا أمر استثنائي ، بلاد الرافدين كانت اقرب الى دلمون من الاندوس وكان لثقافة الرافدين تأثير اكبر على دلمون من ثقافة وادي الاندوس . فلماذا يكثر عدد الاختام

التى تحمل كتابات من أصل وادى الاندوس .

هناك سببان محتملان يجدر ذكرهما تفسيرا لهذا المظهر . اولا : كانت العلاقات التجارية بين دلمون ووادى الاندوس متينة فى العصور المبكرة . يرجع تاريخ ٧ اختام عثرت عليها فى الكويت الى حوالى ٢٤٠٠ق.م. وثانيا : ربما عاش عدد كبير من مواطنى وادى الاندوس فى دلمون التى تمثلت نموذجا للتعايش بين ثقافات متباينة ومن المحتمل ان وكيلا تجاريا من وادى الاندوس اخذ دلمون مقرا له . فلننظر الى الأختام الثمانية على سبيل المثال :

١ ـ هذا الختم من البحرين وربما من نفس النوع الذى عثر عليه فى وادى الاندوس وعليه نقوش من طراز وادى الاندوس فوق رسم الحيوان .

٢ ـ ان الدكتور محمد رفيق مغل[٣٣] لفت نظرى اليه عندما كان فى البحرين وكان ذلك لأول مرة اسمع فيها عن تواجد ختم من هذا النوع . ويحمل هذا الختم نقشين مختلفين ولو لم يساعدنى الدكتور مغل ، لما فهمت اهمية تلك النقوش[٣٤]

٣ ـ يحمل هذا الختم نقوشا مكتوبة بخطوط مستقيمة وعددها ستة[٣٥]

٤ ـ هذا الختم نادر وهام وعليه نقوش من طراز وادى الاندوس ، ومعها صورة لرجل دلمونى وهو واقف وفى يده اليمنى لوحة النقوش مما يدل على التأثير الثقافي والعلاقات التجارية التى كانت قائمة بين دلمون ووادى الاندوس[٣٦]

٥ ـ هما ختمان مكسوران وتبدو النقوش عليهما في النصف الأعلى فقط ومن المحتمل ان رسوم الحيوانات كانت في الجزء الاسفل المفقود[٣٧]و[٣٨]

٦ ـ هما ختمان غير كاملين وليس عليهما الا النقوش[٣٩]و[٤٠]

في دلمون كان يعيش عدد كبير من سكان وادى الاندوس وعلى الاقل فى الايام التى نشأت فيها الاتصالات الاولية بين دلمون ووادى الاندوس . كان بالامكان ان ممثلا تجاريا من وادى الاندوس يتخذ مقرا له فى دلمون وتوجد بينة على وجود السكان من وادى الاندوس فى دلمون فى حوالى ١٨٠٠ق.م[٤١] ، فان الاختام من الكويت كلها تنتسب الى ٢٤٠٠ق.م وكانت حضارة «هرابا» تستخدم نظام كتابة وادى الاندوس ما بين ٢٥٠٠ و ١٥٠٠ق.م[٤٢] مما يرجح ان سكان وادى الاندوس اصلا سكنوا دلمون لأن «أختام الاندوس كانت تستخدم لأغراض تجارية على المستويين المحلي والدولي . ولا بد ان الميزات الاساسية للاختام كانت لها صلة باستخدامها[٤٣]

نظام الكتابة الدلمونية بالادماج :

يقول البعض بأن حضارة دلمون كانت حضارة دون ان يكون لها اى مرجع كتابي . بمعنى أخر كانت ثقافة دلمون ثقافة دون نظام للكتابة او حتى لغة مدونة . وانا لا اؤيد هذا الرأى اذ كيف يمكن لحضارة دلمون ان تكون حضارة قديمة ومتقدمة وتمثل ثقافة «مختلطة» دون ان يكون عندها نظام للكتابة . وكيف تم الاتصال بين طبقاتهم المختلفة وجالياتهم المتباينة من السومر ووادى الاندوس . اذا لم تكن لديهم المعرفة بعلوم الفلك[٤٤] والملاحة[٤٥] ، واذا لم تكن عندهم أساطيرهم الخاصة المختلفة عن الأساطير السومرية واساطير وادى الاندوس وكانت عندهم آلات موسيقية وذوق فى الموسيقى[٤٧] وكانت الصلات التجارية

بينهم والعالم القديم قوية بالاضافة الى وجود رموز كثيرة اخرى ترمز الى حضارة متقدمة فهل ازدهرت كل هذه الميزات دون ان يكون عندهم نظام للكتابة .

استخدمت دلمون جزءا من كتابة الرافدين المسمارية وجزءا من كتابة وادى الاندوس لكننا نعلم ايضا بأنهم استخدموا الكتابة السومرية التصويرية وقاموا بتطويرها لنفعهم . قامت بلاد الرافدين بتطوير الكتابة الى المسمارية لكن دلمون ادخلت عليها مزيدا من الابتكار والتعديل وحصلت على نظام ما اسميه الكتابة المدمجة . ولم تكن هذه العملية عملية تطوير فحسب بل اعادة هيكل الكتابة الصورى ووضعها فى قوالب جديدة دون تشويه اشكالها الرئيسية .

استخدمت الكتابة المدمجة الدلمونية على الاختام فقط . ولم تكن لديهم مواد ونصوص مكتوبة على الالواح والصخور وغيرها الا انه كان عندهم حوالى ٧٠٠ ختم لنقل رسائلهم . ويتناول هذا البحث موضوع الكتابة المدمجة وكيفية استخدامها على الأختام ولنقل افكارهم الاسطورية بأساليب فنية . وهكذا نستطيع ان نقرأ ونفهم لأول مرة افكار الدلمونيين ومعتقداتهم الاسطورية . ويوفر هذا للباحثين مصدرا غنيا للبحث فى ٧٠٠ رسالة دلمونية .

كتب الدلمونيون كلماتهم بأشكال مختلفة حسب اهمية الكلمة عندهم . واذكر على سبيل المثال اهم كلمة لديهم اى «انانا» بمعنى الهة الحب والجنس فكتبت هذه الكلمة بـ ٥٢ شكلا متباينا وهذا عدد ضخم لتمثيل كلمة واحدة فقط فى اى نظام للكتابة كان .

ومن المرجح ان دلمون استخدمت كتابة الرافدين المسمارية لسجلاتها الرسمية ولذلك من المحتمل استخدام كتابة وادى الاندوس لاتصالاتها التجارية مع وادى الاندوس واخيرا استخدمت الكتابة المدمجة بالكتابة السومرية التصويرية للتمثيل الديني والفنى على الاختام ويناقش هذا البحث الافتراض المذكور اعلاه .

من الممكن ان نظام دلمون فى الكتابة المدمجة كان صعب القراءة للاجانب لان معظمها كانت تختلف عن الاشكال التصويرية الاصلية .

وهذا البحث لا يناقش موضوع اللغة التى نطق بها الدلمونيون اذ لا يمكن للباحث ان يورد حكما فى هذه المسألة مع انه معروف بأن حضارة دلمون كانت مختلطة وتأثرت بمصادر سومرية اكثر من وادى الاندوس ولذلك فمن المحتمل بأنهم نطقوا بلغة شبيهة باللغة السومرية المتطورة وكانت لها صلة الى حد ما مع لغة وادى الاندوس الناطقة .

وقبل ان نناقش موضوع التطور الذى قامت به دلمون فى الكتابة السومرية التصويرية حتى جعلتها كتابة «مدمجة» يجب علينا اولا ان نتأكد من ان دلمون استخدمت الرموز التصويرية في كتابتها ، اذ لو لم تكن دلمون قد استخدمت هذا النظام فكيف كان يمكن لها ان تقوم بتطويره . وفيما يلي بعض الامثلة الرئيسية للكتابة التصويرية الى استخدمتها دلمون على كثير من اختامها :

١ ـ الأرض : تتكرر هذه الكلمة ١٤ مرة على ١٢ ختما من أنواع مختلفة ٧ منها من الكويت والبقية من البحرين[٤٩] وتظهر هذه الكلمة بخصوص الهة الحب والأرض «انانا» وتشير الى تأدية الصلاة أو ما الى ذلك .. قد وجدت هذه الكلمة على ٣ أختام وفى كلمة النحاس التى تدل على التجارة عن طريق البحر[٥٠]

٢ ـ سبائك النحاس : تتكرر هذه الكلمة ٧ مرات على ٧ اختام متنوعة ، ٣ منها من

الكويت و٤ منها من البحرين . وفي ٣ اختام الى اثنين من البحرين وواحد من الكويت تتعلق كلمة سبائك النحاس بكلمة «الأرض»[٥١] أما في بقية الأختام[٥٢] فتتعلق كلمة سبائك النحاس بالالهة «انانا» أي الهة الأرض بشكل أو آخر وتوجد رموز على الأختام تتعلق بـ «انانا» كالغزال او الثور او النخلة طبقا للأساطير السومرية وما يثير اهتمامنا بخصوص آخر ختم ثور لكنه منقوش على طراز وادي الاندوس كلية بعينيه الدائريتين[٥٤] رسم أ-٢ . هذا النوع من سبائك النحاس استخدمته ثقافات عديدة اخرى كقبرص وكريت وحتى الهنود الامريكيين الحمر[٥٥] و[٥٦]

٣ ـ القمح : آلهة «نيدابا» تتكرر مرتين على ختمين من البحرين . تغطي النقوش وجه الختم كلية[٥٧] و[٥٨] رسم أ-٣ . تمثل الكلمة الاعشاب والقصب والجعة والخبز (الحبوب) والقمح حسب اساطير الرافدين ايضا .

٤ ـ النهر والماء العذب والماء المطهر : تتكرر ٤ مرات على ٣ اختام[٥٩] . لها معان مختلفة : الماء او الماء العذب او المطهر او الهة المطر ـ «انانا» ـ النهر او القناة او حتى «انكى» الهة الماء العذب . توجد على ختمين فقط من البحرين ربما على اساس علاقتها مع «انكى» معتمدا على اساطير الرافدين[٦٠] رسم أ-٤ .

٥ ـ يحتوي : تتكرر هذه الكلمة ٦ مرات على ٦ أختام وكلها من الكويت ولا واحد من البحرين .

٦ ـ العداوة : تتكرر على ٣ أختام احدهما من البحرين واثنان من الكويت[٦٢] رسم أ-٦ ـ

٧ ـ الأرض ـ الحقل : هذه الكلمة منقوشة على ختم واحد فحسب من الكويت[٦٣] رسم أ-٧ .

٨ ـ المخاضة ـ محل العبور عبر النهر: تتكرر على ٣ اختام، اثنان منها من البحرين وواحد من الكويت[٦٤] رسم ـ أ ـ ٨

٩ ـ الغزال : تتكرر ست مرات على ٥ اختام ٤ منها من الكويت وواحد من البحرين. هذا الختم فريد النوع لأن البحرين كانت تشتهر بغزالها منذ القدم حتى العصور الحديثة ـ رسم أ ـ ٩

١٠ ـ القدم : تتكرر هذه الكلمة المشوقة ٢٤ مرة على ٢١ ختما من انواع مختلفة. ١٢ منها من البحرين و٨ من الكويت وواحد من تيب يحيى في ايران[٦٦]. وتوجد هذه الكلمة بأشكال واحجام مختلفة[٦٧]. منها الطويلة والحادة ومنها القصيرة والواسعة[٦٨] ـ رسم أ ـ ١٠

توجد كلمات تصويرية اخرى وهي في رايي «نادرة». لان الحيوانات المختلفة تمثل كلمات عامة ومنها ١٧ كلمة كالسمك والقرش والبطة والغزال والثور والثعبان والضفدعة... الخ. كما توجد الكلمات المشيرة الى المظاهر الفلكية كالنجوم والسماء والخلد والقمر والزهرة والشمس والالهات المتعلقة بها كـ «انانا» و«اوتو» وغيرهما وتوجد اسماء اخرى للاشجار المتنوعة والآلات الموسيقية والاسلحة والمعابد... الخ.

تتواجد نقوش سومرية تصويرية يزيد عددها على ١٠٠ على اختام دلمون . ربما توجد كلمات كثيرة أخرى عندما تنشر تفاصيل الاختام البحرينية[٦٩]. لذلك استخدمت الكلمات الرمزية التصويرية دون الكتابة المدمجة .

واعرض الآن كلمة «واحدة» من نظام الكتابة المدمجة الدلموني على سبيل المثال واوضح اسلوب التمثيل الذي يكمن وراءها. وهي كلمة «انانا» التي استخدمت على معظم الاختام وهي الاختام التي ينبني عليها هذا

البحث بصورة خاصة. تكررت هذه الكلمة على ٩٣ ختما و٣ منها فقط هي من البحرين والبقية اي ٩٠ منها من الكويت وهذا يمثل نسبة ٩٧٪ لمجموع الاختام التي ورد عليها هذا الاسم.

لقد كتب هذا الاسم على الاختام الدلمونية بستة عشر شكلا مختلفة في الكتابة المدمجة الدلمونية باثنتين وخمسين اسلوبا ١٠٦ مرات. وعدد قليل من هذه الاساليب فقط يتبع الكتابة التصويرية ومعظم الاساليب الاخرى يختلف بعضها عن البعض.

كتب الكتاب الدلمونيون ٥٢ كلمة متباينة للتعبير عن اسم «انانا» فقط وتوجد ٣ منها على الاختام البحرينية و٤٩ على الاختام الكويتية[٧٠]. ان كلمة «انانا» توجد على ١٩٪ من الاختام التي استخدمت في تقديم هذه الدراسة وهذه نسبة كبيرة.

هناك كلمات اخرى استخدمتها دلمون مثل كلمة «اوتو» UTU او اله الشمس التي توجد منقوشة بـ ٥٣ شكلا او اسلوبا في الكتابة.

فلنبدأ بالتعرف على الهة «انانا» ذات الميزات التي لا تعد ولا تحصى. هي اخت «اشكور» ISHKURY وتمثل شخصية غامضة من نواح عديدة من بين جميع الالهات. انها الطفلة الثالثة «لنانا» NANNA والآلهة «انانا» (كانت معروفة عند الاكاديين باسم «عشتار») تزوجت «امشونجانا AMAUSHUNGANNA إله شجرة التمر و«اصبحت الهة مخزن التمور»[٧١]. تزوجت ايضا « دموز ـ تموز » DUMUZ - TUMUZ الذي جاء ذكره في التوراه. يشار اليها ايضا كالهة المطر بسبب زواجها مع دموز DUMUZ كما كانت «الهة العواصف ايضا» انها الهة الماء والهة نجمة الصباح»[٧٢] و «الهة الحرب والهة الحب الجنسي»[٧٤] وكانت «انانا» الهة الارض[٧٥] ومناصب كثيرة اخرى مما يثير الدهشة والاعجاب.

لذلك كان اسم «انانا» ذا اهمية فائقة كشخصية والهة اذا اخذنا بعين الاعتبار عدد المرات والاشكال التي ظهر بها اسمها على الاختام الدلمونية.

ان كلمة «انانا» رمز مركب «ومكون من اختلاط كلمتين تصويريتين او اكثر» وتطور رمز واحد الى رمزين (او اكثر) لكي تعبر عن المفاهيم المختلفة وتم هذا التطور بتطوير الرمز الاساسي البسيط الى رمز مختلط بواسطة ادخال الخطوط الاضافية او باندماج رمزين او اكثر في رمز واحد[٧٧]. وفي المثال الذي اخترناه اي كلمة «انانا» يمكن ان تكون كلمة ادمج فيها رمزان او ٣ او٤ او حتى ٥ رموز كي تصبح كلمة مختلطة موحدة.

تعود هذه الكلمات المركبة الى وقت مبكر في تطورها مما يشير الى امكان استخدام الكتابة السومرية التصويرية في دلمون في نفس الوقت الذي اتخذت سومر نفسها هذه الطريقة في الكتابة. وهذا الاسلوب في تدوين الرموز المركبة كان رائجا منذ اقدم العصور[٧٨].

تعرضت الكتابة المدمجة الدلمونية الى تغييرات اساسية وحتى لبعض التدهور واكثرها فقد التشابه في اشكالها الاصلية واصبح صورا مختلفة تماما عن الاصل واصبح التعرف عليه امرا صعبا[٧٩].

لقد كتبت كلمة «انانا» بأشكال ١٦ كلمة مركبة واستخدمت فيها ٩ كلمات مفردة مختلفة في جميع الامثلة اي ١٦ كلمة مركبة و٤ منها مركبة من ٣ رموز على حدة وتكررت ٣٤ مرة. و٦ منها مركبة من ٤ رموز على حدة وتكررت ٢٨ مرة.

واستخدمت ٩ كلمات رمزية تصويرية في تكوين كلمة مركبة بصورة نهائية وهي كلمة «انانا» وقسمتها الى قسمين بناء على استخدامها الواسع كالتالي:

أ ـ الكلمات الرمزية العامة:

١ ـ الانثى ، المرأة، السيدة، الجنس: استخدمت ٧٧ مرة في ١٥ كلمة مركبة دالة على «انانا».

٢ ـ الجبل، القوي: وجدت ٧٤ مرة في ١٢ كلمة مركبة دالة على «انانا».

٣ ـ النجمة، السماء، الجنة، الزهرة: وجدت ٧٨ مرة في ١١ كلمة مركبة دالة على «انانا».

ب ـ الكلمات الرمزية النادرة:

١ ـ بعيد، عبر: وجدت ١٦ مرة في ٣ كلمات مركبة.

٢ ـ المعبد، مكان العبادة، العبادة: وجدت ١٤ مرة في ٣ كلمات مركبة.

٣ ـ الارض: وجدت ٣ مرات في ٣ كلمات مركبة.

٤ ـ الماء، القناة، المطر، النهر: وجدت مرتين في كلمة مركبة واحدة.

٥ ـ الثعبان: وجدت ٤ مرات في كلمتين مركبتين.

٦ ـ الحديقة، النخلة: وجدت مرتين في كلمتين مركبتين.

وعلينا ان نفهم معنى وتأثير كل كلمة من هذه المجموعة عبارة عن ٩ مفردات لكي ندرك سعة معانيها بعد تركيبها مع الكلمات الاخرى لتصبح كلمة «انانا»[٨٠].

أ ـ الكلمات الرمزية العامة المنفردة:

١ ـ الانثى، الجنس، المراة او السيدة: شكلها مثلث «وترمز الى الجنس وتطورت من تمثيل الانثى او الاعضاء التناسلية»[٨١]. كانت في الاول «بيضاوية الشكل»[٢]. وقامت هذه الكلمة بتمثيل «انانا» كأنثى ذات علاقة قوية مع الاتصال الجنسي لانها كانت الهة الحب والجنس والخلود. وعندما اصبحت هذه الكلمة كلمة «مركبة» بعد اختلاطها مع كلمات رمزية منفردة اخرى فانها اشارت الى «انانا» بصفتها الهة الحب.

٢ ـ الجبل، الجبار والعالي: تبدى هذه الكلمة القوة (الصخر) ومستوى اعلى من سطح الارض وعندما تستخدم مع كلمة اخرى كأنثى تشير الى جارية او سيدة قوية. لذلك تشرح هذه الكلمة جانبا من سيرة «انانا» كسيدة قوية مثل الهة. تطورت كلمة الجبل لتحمل في طيها معنى (ارض اجنبية) او الارض بصفة عامة[٨٣].

٣ ـ النجمة، السماء، الجنة، الزهرة: تظهر هذه الكلمة بأشكال مختلفة لكنها تشبه بعضها البعض. وفي اغلب الاحيان هي بشكل دائري او بشكل نجمة ذات ٨ رؤوس او رمز كوكب الزهرة الى رمز الحب. تظهر هذه الكلمة «انانا» كآلهة السماء لانها كانت (ملكة السماء) وبعد ان اصبحت كلمة «مركبة» بالاختلاط مع الكلمات الاخرى حملت معنى «الهة السماء» او الزهرة او الجنة. وتظهر النجمة بأشكال واساليب مختلفة. ويشكل حوالي ثلث عدد الامثلة جزءا لكلمة مركبة «انانا» ليس بشكل دائري بل بشكل نجمة ذات ٨ رؤوس «تمثلها ـ عشتار ـ انانا ـ بنجمة ذات ٨ رؤوس كتمثيل للزهرة»[٨٤].

ب ـ الكلمات الرمزية النادرة:

١ ـ بعيد ـ عبر: تظهر هذه الكلمة بشكل خطين مستقيمين بمعنى «بعيد» اي السيدة القوية «انانا» من بعيد او من مكان آخر، من وراء الجبل، وراء السماء والجنة.

٢ ـ المعبد، محل العبادة، العبادة: تظهر هذه الكلمة بشكل مستطيل ويبدو كأنها صندوق او كتيفة. ترمز هذه الكلمة الى

«تمثيـل الجنس بمعنـاه التـجـريـدي الاكثر»[٨٥]. بدأت الكلمـة اساسـا كرمـز للعضو التناسلي الانثوي وتطورت الى شكلها الحـالي اي التمثيل التجـريدي للمعبـد او العبـادة بصـفـة «انـانـا» آلهـة الحب والجنس[٨٦].

٣ ـ كرة الارض ـ الارض: هذه الكلمة بيضـاوية الشكـل ومخططة داخـل الحلقة وتعني كرة الارض او الارض او المكان او البلد او الهـة الارض اي «انانـا» وعندمـا تكتب ككلمة مركبـة «انانـا» فانهـا تعكس موقعها ومكانتها كالهة الارض.

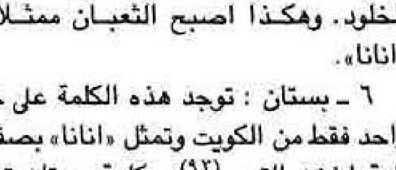
٤ ـ المـاء: تكتب هذه الكلمـة بشكل ٣ خطوط افقية وتمثـل الماء او النهـر او الماء العذب او الهة الماء العذب «انكي» او القناة او المطر او الهة المطر «انانا» او اي شيء أخر يتعلق بالماء بشكل من الاشكال. تمثل هذه الكلمـة فيما يتعلق بهـذا البحث «انـانـا» بصفتها الهة العواصف والمطر[٨٧]. نـزلت «انانا» الى العـالم السفلي طبقـا للاساطير وشعرت بحاجة الى الاكل والماء لتعود الحياة اليها وتستطيع ان تخرج من العالم السفلي. «يخـطط «انكي» مخـططا ليحيي «انـانـا» ويخلق كائنين من دون الجنس ويرسلهما الى العالم السفلي بمهمة رش الاكل والشرب ٦٠ مرة على جثمان «انانا» المعلق»[٨٨]. وورد في اساطير الرافدين «بأنهما قاما برش جثماني «عشتار» و«انانا» بماء الحياة...»[٨٩]. تقول اسطورة «كور» «.. ٦٠ مرة. ماء الحيـاة. رش على «انانا»...»[٩٠].

٥ ـ الثعبـان: تمثل هـذه الكلمة فكـرة الخلود لانـه اخذ واكـل زهـرة الخلود من جلجامش، البطل الاسطوري من الرافدين. تقـول اسـطورة جلجـامش بـأن الثعبـان استخـدمته «انـانـا» الهـة الجنس والحب ليمثل هذا الجانب من سيرتهـا لذلك تعني هذه الكلمة بالاضافة الى الكلمات الاخرى «انانا» آلهة الجنس.. يخطف الثعبان زهرة الخلود ويأكلها وهكـذا يكسب القدرة عـلى خلع جلده القديم وتجديد حياته[٩١] ويحقق الخلود. هنا تجدر الاشارة الى نقطة، وهي: لم يكن الثعبان قط في اية مرحلة من مراحل الحضارة العراقية القديمة رمزا او تمثيـلا للالهة «انانا»[٩٢]. كان الثعبان رمزا للخلود وكان ذلك من ميزات «انانا» الرئيسيـة اي الهـة الجنس والحب وبناء عـلى ذلك الهـة الخلود. وهكـذا اصبح الثعبـان ممثـلا لـ «انانا».

٦ ـ بستان : توجد هذه الكلمة على ختم واحد فقط من الكويت وتمثل «انانا» بصفتها الهة لمخزن التمور[٩٣]. وكلمة بستان تعني «الحديقة او الحـظيرة حيث تنبت اشجـار الفواكه والجـوز»[٩٤]. وتنتسب التمور الى «انانا» كالهة لمخزن التمور.

ان الكلمات المركبة وعددهـا ١٦ والتي تشير الى «انانا» كالآتي:

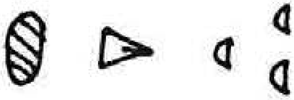
١ ـ هي كلمـة مـركبـة من ٤ كلمـات تصويرية. الثعبان والانثى والجبل والسماء (الزهرة)[٩٥]



وتفسيرها: «سيدة الزهرة القـوية ذات سلطة والهة الخلود» او «أنانا ـ الهة الحب والجنس» والثعبـان هـو رمـز الخلود. ان الشكـل الدائري يمثـل السماء. وفي امثلة اخرى لهذه الكلمة المركبة توجد نجمة ذات رؤوس ثمـانية بـدلا من الدائـرة. وتمثـل النجمة الزهرة اي كـوكب الحب و«انانـا» بصفتهـا الهـة السمـاء ونجمـة الصبـاح والمساء والجنة والزهرة. توجد هذه الكلمة مـرة واحدة فحسب عـلى ختم من الكويت

ويعود تاريخه الى حوالي ٢٤٠٠ق.م (الرسم ١).

٢ ـ هذه الكلمة مركبة من ٣ كلمات تصويرية: الارض، المرآة، والجبل(٩٦).

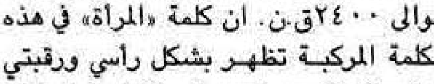


وتفسيرها: «سيدة الارض القوية» او «الهة الارض».

ترمز الكلمة الاولى الى الارض او التراب أو الهة الارض، او «انانا» أو الهة الحرب وتمثل «انانا» الهة الحرب ايضا. تقول «انانا» وهي تحتفل بقوتها كالهة الحرب «البسني (انكي) على قدمي كرة الارض كأنها احذيتي(٩٧). وجد هذا النقش على ختم واحد فقط من الكويت ويعود تاريخه الى حوالي ٢٤٠٠ق.ن. ان كلمة «المرآة» في هذه الكلمة المركبة تظهر بشكل رأسي ورقبتي غزال والغزال حيوان يمثل «انانا» في اساطير الرافدين. هناك تفسيران في قراءة هذه الكلمة وهما الهة الارض أو الهة الحرب ومن المرجح ان تكون الهة الارض وليست الهة الحرب لان النقوش على الختم لا تعكس اي جانب عسكري. ويبدى الختم اثنين من الدلمونيين وهما يؤديان الصلاة مما يثبت دورها كالهة الارض (الرسم ٢)

٣ ـ هذه الكلمة مركبة من اربع كلمات تصويرية:

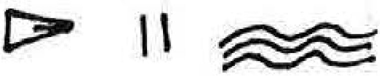
البستان والمعبد والمرآة والزهرة(٩٨).



وتفسيرها: «عبادة الهة «انانا» ـ «الزهرة» الهة مخزن التمور».

تمثل كلمة بستان وصف «انانا» كالهة مخزن التمور، وبالنسبة الى الشجرتين فهما من الاشكال التصويرية الاصلية حولهما الدلمونيون الى رقبتي ورأس غزال في نفس الموقع. وورد تمثيل كلمة المرآة بشكل النخلة واغصانها العليا بشكل نجمة ذات ٨ رؤوس اي كوكب الزهرة. يمكن ان يكون تفسير كلمة «المعبد» او العبادة عبادة «انانا» الهة مخزن التمور(٩٩). وقد عثرت على هذه الكلمة على ختم واحد فقط من الكويت وتاريخه حوالي ٢٤٠٠ق.م (الرسم٣).

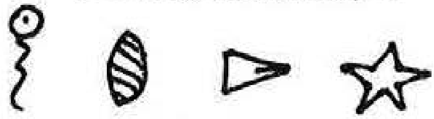
٤ ـ ان هذه الكلمة كلمة مركبة من ٣ كلمات رمزية منفردة اي: المرآة والبعيد والمطر(١٠١).



وتفسيرها: «المرآة ما وراء المطر» او «الهة المطر» وبصفة «انانا» الهة المطر ايضا(١٠٢). ويمكن ان تعني الكلمة المفردة اي «المطر» اشياء اخرى كالنهر او القناة او الماء العذب او الهة الماء العذب او «انكي» او اشياء اخرى تتعلق بالماء. وفي هذه الكلمة المركبة فان كلمة «المرآة» تظهر بشكل رقبة ورأس الغزال بصورة جذع النخيل. واخيرا كلمة ما وراء المطر يمكن ان تعني إما صاحبة المطر وإما وراء او فوق المطر او بالاتصال به متمثلا جانبا من شخصية «انانا» كالهة المطر. وجدت هذه الكلمة المركبة مرة واحدة فقط على ختم من الكويت ويرجع تاريخه الى حوالي ٢٤٠٠ق.م (الرسم٤).

٥ ـ هي كلمة مركبة مكونة من ٤ كلمات تصويرية:

الثعبان، الارض، المرآة، السماء(١٠٣).



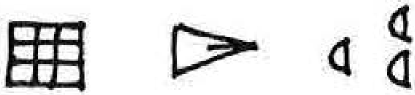
وتفسيرها: «ملكة السماء والهة الارض والخلود». هذا المثال يشابه المثال الثاني

الزهرة بكلمة السماء. وجدت هذه الكلمة بسبعة اشكال مختلفة ٨ مرات على ٦ اختام من الكويت وكلها مؤرخة حوالي ٢٤٠٠ق.م. وعلى ختم واحد فقط من البحرين[١١٢].

ان الشكل ذي الرجلين يمثل الوضع الجنسي مع ان الاشكال بصفة تختلف الى حد كبير في صورها المدمجة (الرسم٩).

١٠ ـ هذه الكلمة المركبة مكونة من ٣ كلمات تصويرية:

المعبد ـ المرأة ـ الجبل[١١٣].

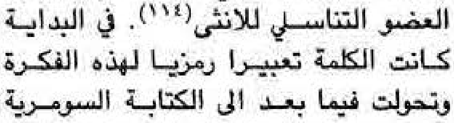


وتفسيرها: «عبادة السيدة من الجبل».

ان الكلمة المفردة «المعبد» تعني ايضا مكانا يعبدون فيه او العبادة نفسها وتم تطوير الكلمة التصويرية عن «المعبد» من المراحل الاولى لفكرة الانسان عن الخلود. وكأن شكلها الاساسي على الختم ليس الا العضو التناسلي للانثى[١١٤]. في البداية كانت الكلمة تعبيرا رمزيا لهذه الفكرة وتحولت فيما بعد الى الكتابة السومرية التصويرية ثم الى الكتابة المدمجة الدلمونية حيث انتسبت الى شكلها الاساسي مبدئيا. لكنها تغيرت في شكلها النهائي. ووجدت هذه الكلمة مرتين على ختمين من الكويت ويعود تاريخهما الى حوالي ٢٤٠٠ق.م. (الرسم١٠).

١١ ـ هذه الكلمة المركبة مكونة من ٤ كلمات تصويرية مفردة وهي:

العبادة ـ المرأة ـ الجبل ـ السماء[١١٥].



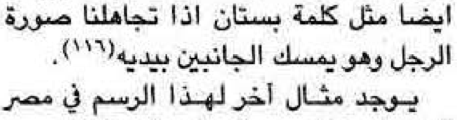
وتفسيرها: «عبادة سيدة الجبال للسماء».

تشبه هذه الكلمة الرقم (١٠) الا ان فيها كلمة اضافية اي السماء او الجنة او الهة السماء. ووجدت هذه الكلمة بأربعة اشكال ١١ مرة على ١١ ختما من الكويت يعود تاريخها الى حوالي ٢٤٠٠ق.م. يشبه ختمان منها بعضهما البعض شكلا ويختلف الختمان الاخران عن بعضهما البعض شكلا. وفي الختم النموذجي رقم ٢٣٩ حصل ادماج كلمة «المرأة» كالمعتاد بشكل حاد وطويل لكن هذا الشكل واسع بحيث انه يتسع ليسمح لرجل ان يقف في الوسط ويمسك جانبيه بيديه وهو في وضع تأدية الصلاة. ان هذا الوضع يشابه الامثلة الاخرى المتواجدة على الفخار القديم للرافدين وسوس. وتوجد آنية من فخار سوس في ايران القديمة وعليها رسم لرجل وهو يحمل رمحا او سلاحا طويلا. ويبدو ايضا مثل كلمة بستان اذا تجاهلنا صورة الرجل وهو يمسك الجانبين بيديه[١١٦].

يوجد مثال آخر لهذا الرسم في مصر القديمة بشكل «حيوان في مواجهة التحدي» مما يثبت العلاقات بين مصر والرافدين اذا اعتمدنا على التشابه بين النماذج للرافدين والحيوانات ذات الرقبة الطويلة التي تتواجد في مصر[١١٧]. ويعود هذا الرسم الى المملكة المتوسطة.

١٢ ـ هذه الكلمة المركبة مكونة من ٤ كلمات تصويرية مفردة:

البستان ـ المرأة ـ الجبل ـ السماء[١١٨].

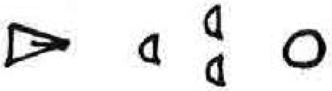


وتفسيرها: «الهة مخزن التمور والحب».

وتشابه هذه الكلمة الرقم (٣) ولكن بفارقين. اولا تظهر كلمة «بستان» بشكلها التصويري الاصلي دون استبداله برقبة

غزال ورأسه كما يرى في الرقم ٣ وثانيا ليست النجمة كوكب الزهرة كما في الرقم ٣.
وجدت هذه الكلمة مرة واحدة فحسب على ختم واحد من الكويت ويعود تاريخه الى حوالي ٢٤٠٠ ق.م. يمثل البستان «انانا» كالهة مخزن التمور وزوجة «دموز ـ تموز» (الرسم ١٢).

١٢ ـ هذه الكلمة المركبة تتكون من ٣ كلمات تصويرية مفردة:
المرأة ـ الجبل ـ السماء(١١٩).



وتفسيرها: «الهة السماء والحب».

وجدت هذه الكلمة بأحد عشر شكلا متباينا، ٢٣ مرة على ٢١ ختما من الكويت حوالي ٢٤٠٠ق.م. وعلى ختم واحد من البحرين. ان كلمة «أنانا» هذه كثيرة الاستعمال ومن اهم الكلمات التي توجد على الاختام. وكلمة «أنانا» كلمة كاملة وتعكس جوانبها وموقفها كالهة الحب والسماء. وقد تم ادماج هذه الكلمة في الرقم (١٢٠) بشكل النخلة والنخلة مرتبطة «بأنانا» في اساطير الرافدين.

هذه الكلمة المدمجة تعكس تشابها بشكل او أخر بثقافات قديمة اخرى. فاستخدم الفينيقيون هذه الكلمة الرمزية «انانا» أو الهة الحب(١٢١) لترمز الى الهة «تونيث» TONITH (زوجة بال) BAAL كما استخدموا الرموز الاخرى المتصلة بها كما نراها على لوحات القبور القرطاجية في شمال افريقيا(١٢٢) واستخدمها المصريون ايضا.

«ان رمزا مماثلا من مصر(١٢٣) يدل على دور الهة «نيث» NEITH تجاه الملاحين المصريين(١٢٤) واستخدم المصريون نفس الرمز تفسيرا للخلود.

وكلمة «انانا» من اهم الكلمات في كتابة دلمون المدمجة . وبطريقة او أخرى تبنتها الثقافات القديمة الأخرى كرمز عام لديها .

ان الشكل الذى يظهر فى رقم ٤٧١ يبدى وضعا رمزيا مزخرفا وليس له علاقة بشكله الأساسى واما بمنهج محدد .

لقد كتب رقم (٢١١) بشكل حاد وبسيط بينما النموذج فى الرقم ٢٤٠ كتب بخطوط مستقيمة مع اضافة رمزين اليه، واحدهما لـ «انانا» دون شك بسبب تواجد اوجه شبه بينه وبين بعض الأختام البحرينية والكويتية بخصوص بعض المظاهر للالهة «انانا» .

النموذج فى رقم ١٦ يظهر كلمة «المرأة» المفردة بشكل مدمج ويظهر فيها غصنان لشجرة التمر كما تم ادماج كلمتى «الجبل» و«السماء» بشكل دائرة كبيرة مكونة من جذع نخلة .

ان النموذج فى رقم ٢٨٠ مبنى على كلمة مدمجة لتمثل شخصا وهو يرفع يديه فى وضع العبادة . وحصل الادماج بين كلمة السماء وكلمة الجبل فى تمثيل راس للانسان . ان هذا الاسلوب في تمثيل «انانا» مشوق وبارع فى التصوير المجازي .

يشبه النموذج فى رقم ٣٤١ نماذج الادماج الأخرى فى كل من الأقام ٧٦ و٣٣٨ و٢١١ و١٩٤ ، وحتى ٢٤٠ والفرق الوحيد بينها هو ان النموذج فى رقم ٣٤١ يمثل كلمة «انانا» المزدوجة . اى انها تتكرر مرتين ، واحدة فوق ثانية لأجل التأكيد على ابرازها . والجزء السفلي من كلمة «انانا» على شكل جذع النخلة .

لقد تم الادماج فى رقم ٥٦ بشكل استثنائي حتى حسب معايير كتابة دلمون . فقد كتبت كلمة «المرأة» بشكل عارضتين طويلتين من جذع النخلة وكتبت «الجبل» فوق العارضتين بشكل صندوق كبير مربع

الشكل . والصندوق ايضا مكون من جذع النخلة .

والنموذج فى رقم ١٦١ جميل الشكل اى شكل النخلة حيث يمثل الجذع «المرأة» والأغصان تمثل «الجبل» وفى وسطها توجد كلمة «السماء» وتمثل الأشكال الأخرى نموذج ادماج وتعنى «انانا» (الرسم ١٣) .

١٤ ـ هذه الكلمة مركبة مكونة من ٣ كلمات تصويرية وهى :

السماء ـ المرأة ـ الجبل (١٢٥)

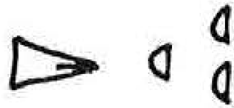


وتفسيرها : «الهة السماء والحب»

تشبه هذه الكلمة النموذج فى ١٣ بفرق واحد وذلك فى تغيير موقع كلمة «السماء» من الآخر الى الأمام ووجدت هذه الكلمة مرتين على ختم واحد من الكويت ويعود تاريخه الى حوالى ٢٤٠٠ق.م (الرسم ١٤) .

١٥ ـ هذه الكلمة المركبة مكونة من كلمتين تصويريتين :

ـ المرأة ـ الجبل (١٢٦)



وتمثل هذه الكلمة «انانا» وتشبه رقم (١٤) دون شمول كلمة «السماء» فيها . وهذه من أبسط الكلمات المركبة لتمثيل «انانا» على الأختام ولا يظهر هذا التركيب اية جوانب او مواقف للالهة «انانا» . ووجد هذا التعبير بتسعة اشكال مختلفة على ١٦ ختما من الكويت ويرجع تاريخها الى حوالى ٢٤٠٠ق.م. وختم واحد من البحرين يرجع لعهد معبد دراز يحمل نفس النقوش . (لرسم ١٥ أ/ب/ج) .

تشابه لنماذج ٢٨٩ و١٧٦ و١٨٥ بعضها البعض بصفة عامة مع تعديلات بسيطة فى الادماج مثلما يسرى فى رقم ٢٨٩ حيث تظهر كلمة «الجبل» بشكل خطوط مستقيمة لكنه حصل ادماج ثلاثة جبال مع بعضها البعض وتبدو كعينين واسعتين .

يظهر النموذج ٣٦٨ بخطوط مستقيمة بشكل جذوع النخلة بينما يختلف النموذج ٣٣٢ كلية فى تمثيل كلمة «الجبل» لان الجبل يبدو فيه ادماج اجزائه الثلاثة بشكل «٧» ممثلا للوجه ، والجزءان الآخران لأعلى الجبل يظهران بشكل الشعر الطويل ويظهر الشكل عامة كسيدة رفيعة بشعر طويل اى «انانا» بثديين كرويين وموقعها فى الجزء الأدنى من «٧» والعضو التناسلي للأنثى .

يشبه النموذج ٣٤٤ ما جاء فى رقم ٢٦٨ اى بشكل جذع النخلة باضافة جزءين علويين لكلمة «الجبل» حيث تم ادماجهما بشكل صناديق مستطيلة كأنها جذع النخلة .

وفي رأيي ان النموذج فى رقم ٣٤٢ يمثل احسن تمثيل لكلمة «انانا» المركبة بالادماج . فقد تم تركيب كلمة «المرأة» فيه بشكل صندوق طويل ومستقيم . وكتبت كلمة «الجبل» بشكل نصفى دائرة واسعة فوق كلمة «المرأة» ومما يثير اهتمامنا استخدام ٤ كلمات تصويرية سومرية في وسط كلمة «المرأة» أولا تقرا الكلمة من ادناها الى اعلاها «المعبد ، العبادة» او عبادة «أنانا» وتمثل الكلمة الثانية الارض أو الهة الارض «أنانا» وتمثل الكلمة الثالثة «السماء ، الجنة» بصفة «انانا» الهة السماء وملكة الجنة . وتعنى الكلمة الرابعة «الغزال» اى مكانتها كآلهة الحب والجنس .

بصفة عامة تشكل الكلمات التصويرية الاربع كلمات مستقلة وبعد ادماجها فى

تمثيل «انانا» تعنى النقوش على الختم كالآتي : «انانا» التى تعبد (المعبد  بصفتها الهة الأرض  وملكة السماء  والهة الحب  وهكذا يغطى التعبير ٣ من مراكزها الرئيسية .

يشبه النموذج ٣٨٥ بشكل عام ، النموذج ٣٤٢ ما عدا كلمة «الجبل» التى كتبت بشكل «٧» بدلا من نصف الدائرة وتظهر كافة الأجزاء الثلاثة لكلمة «الجبل» وفى وسط كلمة «المراة» لا توجد اية كتابة تصويرية عدا علامة «٧» المعكوسة التى تتكرر ٤ مرات .

١٦ ـ هذه الكلمة المركبة مكونة من ٣ كلمات تصويرية :

المراة ـ الجبل ـ السماء (١٢٧)



وتفسيرها : « انانا ـ الهة الحب والخلود »

ومبدئيا يشابه هذا النموذج ما ورد فى رقم ١٣ الا انه يعكس شكلا مختلفا للادماج . وتم ادماج هذه الكلمة المركبة بشكل شجيرة حيث حصل تغيير فى تمثيل كلمة «المراة» واصبحت تمثل الجنس كهيكل شجيرة بجذريه . تعكس الكلمة الثانية اى «الجبل» غصنى الشجيرة مربوطين بها فى الأسفل ممثلا المراة والجنس ، والكلمة الثالثة هى السماء والجنة بشكل نجمتى الصباح والمساء بصفة «انانا» الهتهما وتتعلق بمرحلتى الخلود بتقسيم الزمن الى الصباح والمساء على التوالى وتم ادماج هذه الكلمة بتشكيل الجزء الاعلى للشجيرة اى بتمثيل الزهرة نفسها . وتظهر الزهرة بشكل كأس يشرب منها دلمونيان بأنابيب طويلة وضيقة . تمثل هذه الكلمة المعانى الآتية : «انانا ـ الهة الحب والجنس والخلود» وفى هذا التعبير تحمل كلمة «الخلود» اهمية رئيسية وتم ادماجها بشكل غرس الحياة الذى حاول جلجاميش ان يصل اليه لنيل الحياة الابدية . ان السمكتين الكبيرتين على الختم تساندان هذه الكلمة وربما هما من نوع القرش وطبقا لموقعهما على الختم فهما تحت الماء على مستوى ادنى من موقع الدلمونيين بالقرب من جذور الشجيرة .

وشكل الكلمة استثنائي بمقارنة ٥٢ نوعا من تمثيل كلمة «انانا» التى تتواجد على جميع الأختام ودون شك فهذا الشكل من أجمل أشكال الاندماج خياليا ويحمله ختم واحد فقط من البحرين ويعود تاريخه الى حوالى ٢١٠٠ق.م (الرسم ١٦)

الخلاصة :

لم تكن دلمون تمثل حضارة دون رسالة . كما لم تكن ثقافة دلمون دون نظام للكتابة . يحرص بعض «منقبي» الآثار الدلمونية على العثور على كتابات دلمونية ونصوص ولوحات كالتى عثر عليها فى الرافدين . وفى الواقع فمن المرجح ان نهتم بالكتابات الدلمونية التى لدينا بالفعل على حوالى ٧٠٠ ختم دلمونى وكل ختم منها بمثابة نص بحد ذاته كأنه بطاقة شخصية لافراد دلمون ذات رسالة وعلينا ان نقرأها .

كانت دلمون حضارة متقدمة ذات نظام للكتابة واساسه نظام الكتابة السومرية أشبه بالكتابة التصويرية ولم يتطور نظام الكتابة الدلمونى بنفس المراحل التى مر بها نظاما سومر والرافدين وبدلا من تطورها الى الكتابة المسمارية اتبعت دلمون اسلوب الادماج بواسطة تركيب الكلمات وتبسيط الاشكال التصويرية الأصلية بالتدريج الى شكلها النهائي المدمج بالمراحل .

ان نظام الكتابة المدمجة مبنى على تبسيط الكتابة التصويرية او شبه

التصويرية بواسطة تمثيل الكلمات بشكل ابسط وخطوط ارفع . ورغم انها تتبع الاشكال التصويرية الاصلية مبدئيا الا انها تختلف في أشكالها النهائية ، ان كتابة دلمون تختلف الى حد كبير عن الكتابة التصويرية .

لقد استخدمت الكتابة المدمجة اساسا على الاختام وفي الرسائل الدينية بصورة مزخرفة .

ومما لا شك فيه فان حضارة دلمون كانت حضارة متقدمة . وتطور نظامها الخاص في الكتابة . ان فن الكتابة من اهم الاختراعات لدى البشر واية حضارة لا تملك نظاما للكتابة تفرض على نفسها عوائق في تطويرها وتنميتها . «ان ابتكارات اللغة والكتابة ربما شكلت اداة (ضرورية) لانتاج جميع المنتجات الأخرى وادت الى العصور البرونزية والحديدية والماكينية»(١٢٨)

يلاحظ ان دلمون استخدمت على أختامها الكتابة التصويرية والكتابة المدمجة معا وتوجد على الاختام اما الكتابة التصويرية واما الكتابة المدمجة او الاثنتان .

والعلاقة بين النوعين للكتابة اللذين تطورا على نمطين مختلفين رغم مصدرهما الواحد ممكنة في تعايشهما في حضارة واحدة. وهناك سوابق لهذا المظهر في الحضارات القديمة الاخرى كالحضارة المصرية التى استخدمت ٣ لغات كتابية ، كل واحدة منها لاغراض خاصة . لقد كانت دلمون ثقافة قديمة مكونة من اختلاط عدة ثقافات مختلفة واستخدمت كتابات مختلفة لاغراض مختلفة ، ولقد شوهدت الكتابة المسمارية على ٤ اختام و٤ قطع اثرية اخرى وربما استخدمت للحفاظ على وثائقها التسجيلية . وكتابة وادى الاندوس التى شوهدت على ٨ اختام ويحتمل تواجدها على ٨ اختام اخرى ربما استخدمت لاغراض تجارية مع وادى الاندوس .

وان جميع الامثلة للكتابة على الاختام ومنها التصويرية والمدمجة والمسمارية ونقوش وادى الاندوس يرجع تاريخها الى حوالى ٢٤٠٠ق.م .

يناقش هذا البحث مبدئيا اختام ثقافة دلمون وغالبا الأختام من الكويت بينما استخدمت كلمة «انانا» على ٣ أختام فقط من البحرين . لهذا السبب يتطلب هذا البحث حول الكتابة المدمجة مزيدا من التحليل والدراسة في ضوء ما تكشف عنه الاختام الدلمونية المتواجدة في متحف البحرين الوطني . هذه هى النتيجة التى وصلت اليها بعد دراسة الاختام لست سنوات وهى ذات اهمية خاصة . ومعظم الاختام التى استخدمت في هذا البحث يعود تاريخها الى حوالى ٢٤٠٠ق.م . لكن الاختام التى في حوزة البحرين تتعلق بأدوار مختلفة في التاريخ ولذلك فكل واحد منها يحمل اهمية خاصة ويلقى الضوء على الموضوع اكثر من الأختام الكويتية . ولكن مجموعة الأختام البحرينية لم يتم نشرها وهكذا تبقى النتائج التى وصلت اليها في هذا البحث نتائج مؤقتة فحسب لاننى لا استطيع ان احكم نهائيا في الموضوع إلا اذا استخدمت كتابة مختلفة على مجموعة الاختام البحرينية .

لم تعد حضارة دلمون دون رسالة كما لم تعد ثقافتها دون نظام للكتابة ، كان لديها نظامها الخاص للكتابة المدمج . وكانت ثقافة دلمون ثقافة قديمة متقدمة مكونة من مزيج من ثقافات متباينة ويجب علينا ان نعترف بتراثها الثقافي ونتحقق من مكانتها المستحقة بدقة مما يفتح امامنا مجالا واسعا للدراسة والبحث .

الهوامش

(١) المقدمة الحديثة الى المنطق ، ص
(٢) الموسوعة امريكانا . المجلد ١٦٥ . ص ٧٢٢
(٣) اى اس او بي المجلد ١٠ ـ الجزء الثانى ص ـ ١
(٤) ـــ ، ـــ المجلد ٨ ـ الجزء الاول
(٥) «الوثيقة» العدد الاول رقم ١ . يوليو ١٩٨٢
(٦) اى اس او بى المجلد ٩ ـ الجزء الثانى
(٧) الموسوعة البريطانية الجديدة ، المجلد ١٠ ، ص ٦٥٨
(٨) « الفن القديم في الاختام » ـ ص ٣
(٩) ـــ ، ـــ ، ص ١٠
(١٠) ـــ ، ـــ ، ص ٤٣
(١١) « تثبت الاختام العلاقات بين غرب آسيا واندوس » ـ ص ١٠٧
(١٢) دكتور محمد رفيق مغل
(١٣) « ايران » ـ ص ٣٨
(١٤) « الاساطير السومرية » ص ٢١
(١٥) « البابلي » ص ١٥
(١٦) البنية الذهنية الحضارية في الشرق المتوسط ، ص ٦٢
(١٧) « البابلي » ص ١٥
(١٨) « محاضرات في تاريخ العراق القديم » ـ ص ٧٤
(١٩) « الاسطور البابلي عن الفيضان » ـ ص ١٨
(٢٠) « وجه الشرق القديم » ص ٢٠
(٢١) « السومريون » ـ ص ٣٠٢
(٢٢) ختم رقم ٣٥٤
(٢٣) ختم رقم ٣٥٨
(٢٤) ختم رقم ٣٦٩
(٢٥) ختم رقم ٣٤٨
(٢٦) « التنقيبات الاثرية » ـ ص ٨٥
(٢٧) ـــ ، ـــ . ص ١١١
(٢٨) « البحث عن دلمون » . ص ٣٦
(٢٩) « بيان لمنقب الآثار البحريني » ٨٠ ـ ١٩٨١
(٣٠) « نشوء حضارة الاندوس »
(٣١) « العلاقات الاثرية في الخليج »
(٣٢) ختم رقم ٣٧٩
(٣٣) الدكتور محمد رفيق مغل «مدير الاستكشافات» باكستان
(٣٤) ختم رقم ٣٧٣
(٣٥) ختم رقم ٣٥٦
(٣٦) ختم رقم ٣٥٠
(٣٧) ختم رقم ٣٦٨
(٣٨) ختم رقم ٣٦٥
(٣٩) ختم رقم ٣٤٩
(٤٠) ختم رقم ٣٦٦

(٤١) اى ـ اس ـ او ـ بي «المجلد ٩ ، الجزء الثانى «حيوان دلمون»
(٤٢) اى ـ اس ـ او ـ بي المجلد ١ ـ الجزء الثانى ، رقم ٦٦ ، ص ١
(٤٣) ـــ ، ـــ ص ١
(٤٤) «الوثيقة» المجلد ٣ «فلكية دلمون الاثرية»
(٤٥) «دلمون» ب هـ ا س ، المجلد ١٠ «سفن دلمون»
(٤٦) «تصرف غير عادى» ـ مقال لم ينشر بعد للباحث
(٤٧) «الوثيقة» ، العدد ٢ ، «دور الموسيقى فى دلمون»
(٤٨) « اى ـ اس ـ او ـ بى » المجلد ٩ «الجزء الاول» ـ تجارة دلمون
(٤٩) اختام من ارقام ١٣ و١٥٢ و٢١٣ و٢١٨ و٢٩٢ و٣٤٢ و٣٩٢ و٤٠٣ و٤١٧ و٤٧٩ و٤٩٦
(٥٠) رسم كلمة «الارض» على الاختام
(٥١) ختمان ٤٠٣ ، ٤١٧ من البحرين ، ختم ٢١٧ من الكويت
(٥٢) اختام من ارقام ٣٨٧ ، ٤٧٣ ، ٢٦١
(٥٣) ختم رقم ٩٠
(٥٤) ختم رقم ـ صورة
(٥٥) « ساجا امريكا » ص ١٤٢
(٥٦) « امريكا ق.م » ص ١٦٥
(٥٧) اختام من ارقام ٣٩٦ و٣٩٧
(٥٨) صور ـــ ، ـــ
(٥٩) اختام ٣٩٩ ، ٤٨٢
(٦٠) صور ـــ ، ـــ
(٦١) اختام ١٩ ، ١٥٣ ، ١٥٩ ، ١٩٩ ، ٢١٠ ، ٢١٣
(٦٢) اختام ٢٤٣ ، ٣١٦ ، ٢٢٧
(٦٣) ختم رقم ١٣
(٦٤) اختام ١٧٧ ، ٤٨٢ ، ٤٩٧
(٦٥) ختم رقم ١٩ ، صورة
(٦٦) اختام ١٩ ، ١٧٦ ، ١٨٩ ، ٢٤٢ ، ٣١٦
(٦٧) اختام ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٥ ، ٤٤٤ ، ٤٩٥ ، ٤٦٥ ، ٢١ ، ٣٥٧ ، ٤٨٤ ، ٤٩٠ ، ٩٠ ، ٣٨٦ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١٧٠ ، ١٢٧ ، ٥٠٠ ، ١٥٦ ، ٤٩٢
(٦٨) صورة كلمة «القدم» على الاختام
(٦٩) جدول «الرموز الدلمونية التصويرية » على الاختام
(٧٠) «اناناه ـ جدول الكلمات
(٧١) «كنوز الظلام» ص ١٣٥
(٧٢) ـــ ، ـــ ص ١٣٦
(٧٣) ـــ ، ـــ ، ـــ
(٧٤) ـــ ، ـــ ص ١٣٦ ، ١٣٧
(٧٥) ـــ ، ـــ ص ٧٠
(٧٦) البنية الذهنية الحضارية ، ص ٢٣٢
(٧٧) الكتابة السامية ـ ص ٥١
(٧٨) ـــ ، ـــ ص ٥٢
(٧٩) ـــ ، ـــ ص ٤٩
(٨٠) الرموز التصويرية لجدول الكلمات المركبة عن «اناناه
(٨١) «الصيادون والفلاحون والحضارات» ـ الصيادون ، ص ٤٤
(٨٢) ـــ ، ـــ ص ٤٤
(٨٣) الأساطير السومرية
(٨٤) سومر : شخصية الألهة الأم ،ص ٥٠
(٨٥) « الصيادون والفلاحون والحضارات » ، ص ٤٤

(٨٦) تطوير كلمة «المعبد» ـ جدول
(٨٧) «كنوز الظلام» ص ١٣٦
(٨٨) «الاساطير السومرية» ص ٨٧
(٨٩) «الشرق الادنى القديم» المجلد ١ ، ص ٨٤
(٩٠) «الاساطير السومرية» ، ص ٩٤
(٩١) اساطير جلجاميش ، ص ١٠
(٩٢) سومر «شخصية الآلهة الام» ص ٢٥
(٩٣) ختم رقم ١٤
(٩٤) قاموس مريام ـ ويبستر ، ص ٤٩٣
(٩٥) ختم ٢٤٠
(٩٦) ختم رقم ١٠
(٩٧) «كنوز الظلام» ، ص ١٣٨
(٩٨) ختم ١٤
(٩٩) «تطوير كلمة المعبد» ـ الجدول
(١٠٠) ختم ٢٧٤
(١٠١) «كنوز الظلام» ص ١٣٦
(١٠٢) ختم ٧٣
(١٠٣) «كنوز الظلام» ص ١٣٨
(١٠٤) ـــ» ـــ ص ١٣٩
(١٠٥) ختم ٣٠٣
(١٠٦) اختام ٨٩ ، ٢٧٩ ، ٢٩٩
(١٠٧) اختام ٣٢٨ ، ٢٩١ ، ١٠٧ ، ١٣١ ، ١٢٢ ، ١٦٤
(١٠٨) اختام ٢٩١ ، ١٠٧ ، ١٣١
(١٠٩) اختام ٢٤٣ ، ١٩٣ ، ١٦٠ ، ١٤٠ ، ٣١٧ ، ٢٩٥ ، ٤٩٨
(١١٠) ختم ٢٤٣
(١١١) ختم ٢٩٥
(١١٢) ختم ٣٩ ، ٨٥
(١١٣) تطوير كلمة «المعبد» ـ جدول
(١١٤) اختام ١٨٤ ، ٢٣٩ ، ٢٩١ ، ٨٣ ، ٢٢٠ ، ١٦٧ ، ١٠٥ ، ١٧ ، ٧ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦
(١١٥) سومر ص ١١٠
(١١٦) «الفن والفن المعماري في مصر القديمة» ، ص ٣٦
(١١٧) ختم ٦٨
(١١٨) اختام ٤٧١ ، ٢٨٠ ، ٣٤٠ ، ٢١١ ، ١٦ ، ١٦١ ، ٣٤١ ، ٥٦ ، ٣٣٨ ، ٧٦
(١١٩) ختم ١٦١
(١٢٠) رسم ١٣ ـ د «ساجا امريكا» ص ٥٨ ، ٦٧ ، ١٠٥
(١٢١) «ساجا امريكا» ـ ص ٥٨
(١٢٢) ـــ» ـــ» ـ ص ٦٧
(١٢٣) ـــ» ـــ» رسم ١٣ ، ص ٦٧
(١٢٤) ختم ١٧٤
(١٢٥) اختام ٣٨٥ ، ٣٤٤ ، ٣٤٢ ، ٣٣٢ ، ٢٦٨ ، ٢٠٩ ، ٢٨٩ ، ١٧٦ ، ١٨٥
(١٢٦) ختم ٤٤٦
(١٢٧) المقدمة لدراسة الانسان ، ص ٥١٦

جدول الأختام ذات الكتابة الدلمونية

البلد	عدد الأختام	٪	عدد التشكيلات	٪	تكرر عدد التشكيلات	٪
البحرين	٣	٪٣	٣	٪ ٦	٣	٪٣
الكويت	٦٠	٪٩٧	٤٩	٪٩٤	١٠٣	٪٩٧
المجموع	٦٣	٪١٠٠	٥٢	٪١٠٠	١٠٦	٪١٠٠

٦ ـ نظام الكتابة الدلمونية بالادماج

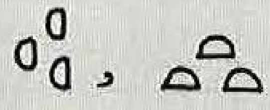
الجدول ٢

أ ـ الكلمات العامة

١ ـ الأنثى ، المرأة ، الجنس



٢ ـ الجبل ، قوى ، اعلى

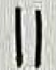


٣ ـ النجمة ، السماء ، الجنة ، الهة السماء ، كوكب الزهرة .

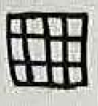


ب ـ كلمات نادرة الاستخدام

١ ـ ما وراء



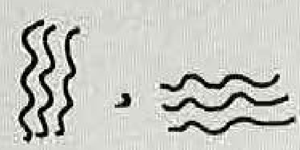
٢ ـ المعبد ، محل للعبادة ، العبادة



٣ ـ الرض ، الهة الأرض



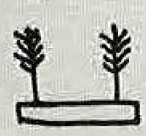
٤ ـ الماء ، القناة ، النهر ، المطر .



٥ ـ الثعبان ، خلود .

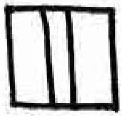
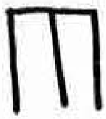
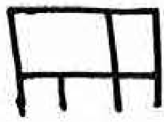
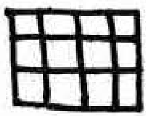
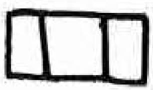


٦ ـ البستان .



تطوير كلمة « المعبد »

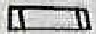
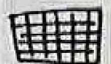
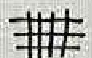
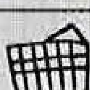
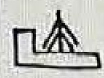
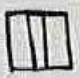
الجدول ٣

التاريخ ق.م	الشكل	الموضع
١٥,٠٠٠		العادى
		المبسط
١٢,٠٠٠		المشتق
٤٥٠٠ دلمون		الرمزى
دلمون		الرمزى

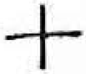
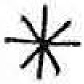
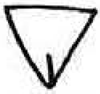
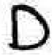
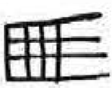
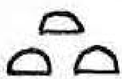
* الصيادون ٠٠٠٠٠ ص ٤٤

صور دلمون

جدول الاشتقاق ٤

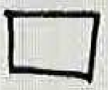
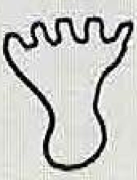
التفسير	الصورة	التفسير	الصورة	التفسير	الصورة	التفسير	الصورة
غزال		العقرب		في المخزن محفوظ		المعبد	
الجبل		الهواء		الصداقة	=	الدرع	
البستان		الرمح		الشبكة		النجمة	
خراب		القوس		الحقل		الشمس	○
جنس الانثى		الوتد		تمليك		سور المدينة	
جنس الذكر		المعبد		دلمون		الحبل	
جره		بعيد وراء	||	القيثارة		مفتوح	
غرس	▷	الحزمة		زمار		الري الارض الحقل	
داخل		أحضر		طيب حلو		صولجان الحرب	
قصب القمح		الخشب		القمر		غصن النخلة	
قلب		سفينة		مفتوح		جنس الانثى	

٦ ب ـ جدول الكتابة التصويرية السومرية

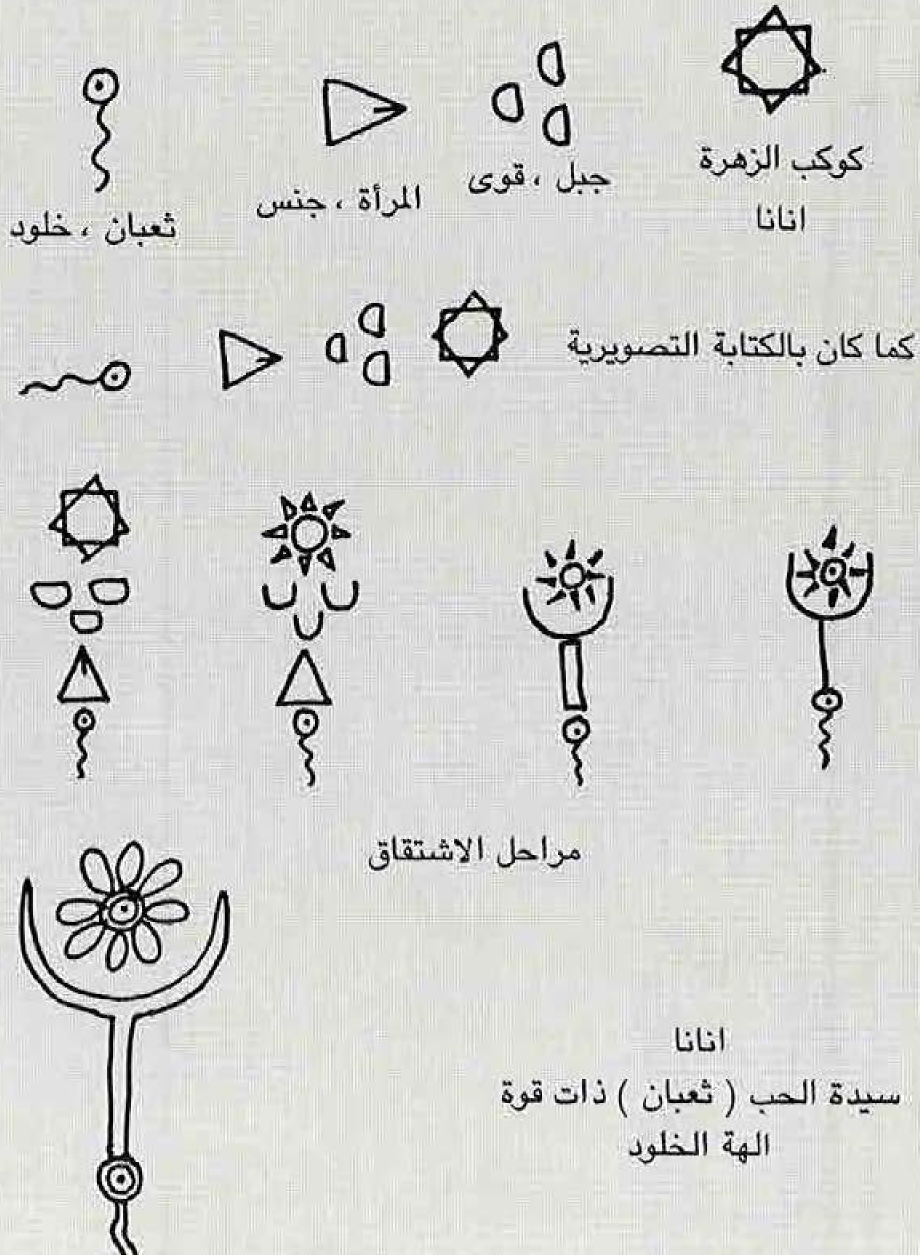
غزال ++++		آله ، سماء +++		نهر ++	
خروف ++++		أرض ٣ +++		سمكة +	
قلم ٥		مرأة ٣		سنبلة الشعير +	
الشمس عند الطلوع		ذهاب ٣		طبق الأكل	
١ +++		ثور ٤		قمح +	
٣ +++		قلب ٤		جبل ++	
٢ +++		شبكة ٤		ثور ++	

+ الصيادون صفحة ١٨٤
+++ بابليين ، صفحة ١٧
++++ السومريين ، رسم ١ ، ٣
+++ اللغة الأشورية ، صفحة ٤
+++++ الكتابة السامية ، صفحات ٣٧ ، ٤٧ ، ٤٩

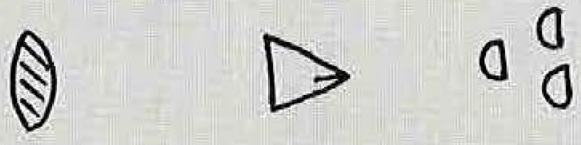
٦ ج ـ أمثلة الكتابة التصويرية الدلمونية

المعنى	العلامة	الرقم
الأرض ، أنانا ـ الهة الأرض		أ ـ ١
سبيكة النحاس		أ ـ ٢
قمح ، الهة القمح		أ ـ ٣
نهر ، ماء ، الحلو ، قناة ، انكى ، آله الماء العذب ، مطر (الهة المطر ـ انانا)		أ ـ ٤
يحتوى ، داخل		أ ـ ٥
عداوة		أ ـ ٦
أرض ، حقل		أ ـ ٧
مخاضة النهر		أ ـ ٨
غزال		أ ـ ٩
قدم		أ ـ ١٠

الرسم ـ ١

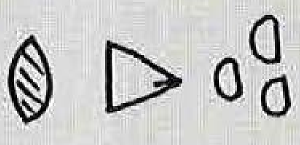

كوكب الزهرة
انانا
جبل ، قوى
المرأة ، جنس
ثعبان ، خلود
كما كان بالكتابة التصويرية
مراحل الاشتقاق
انانا
سيدة الحب (ثعبان) ذات قوة
الهة الخلود

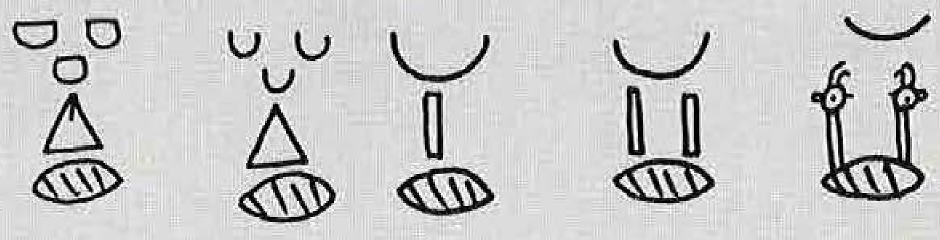
الرسم ـ ٢



الجبل المرأة الأرض

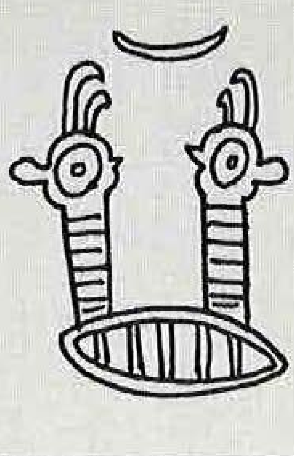
بشكل الكتابة التصويرية



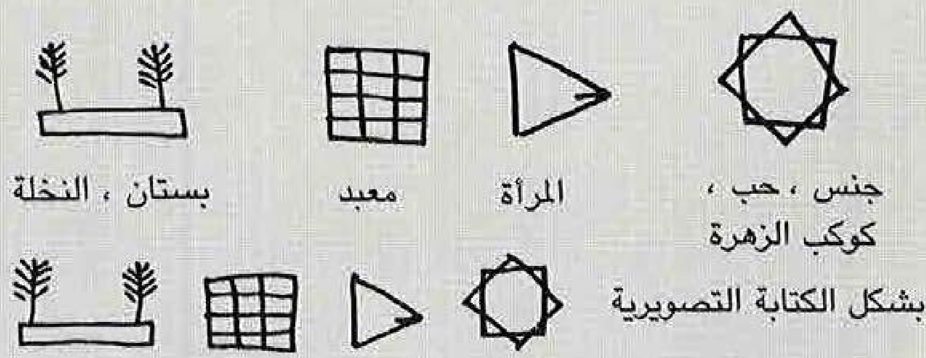


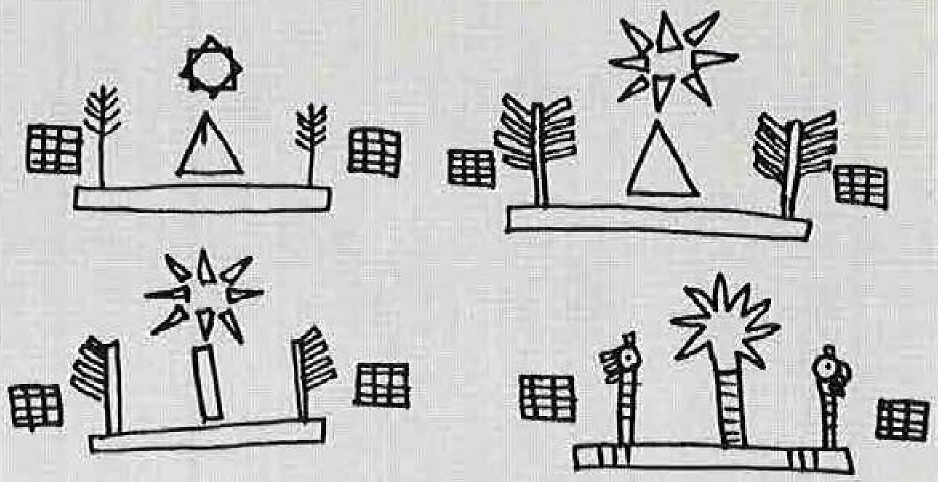
المراحل فى الاشتقاق

أنانا
سيدة الأرض القوية
أو
الهة الأرض

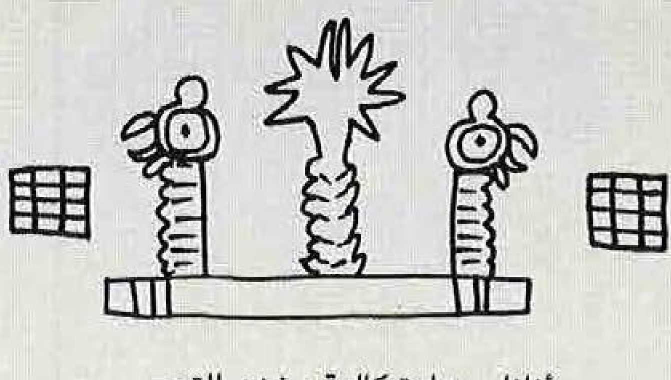


الرسم ـ ٢



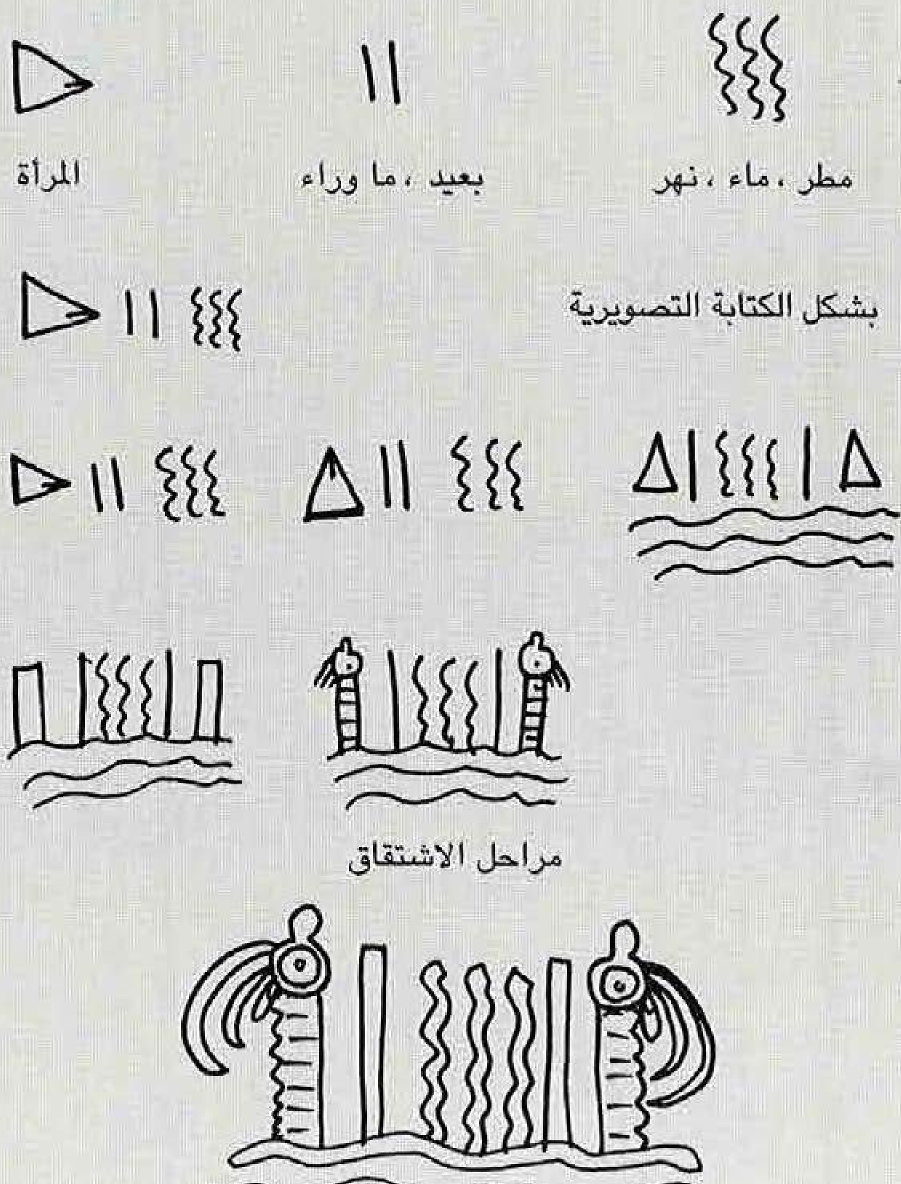


مراحل الاشتقاق



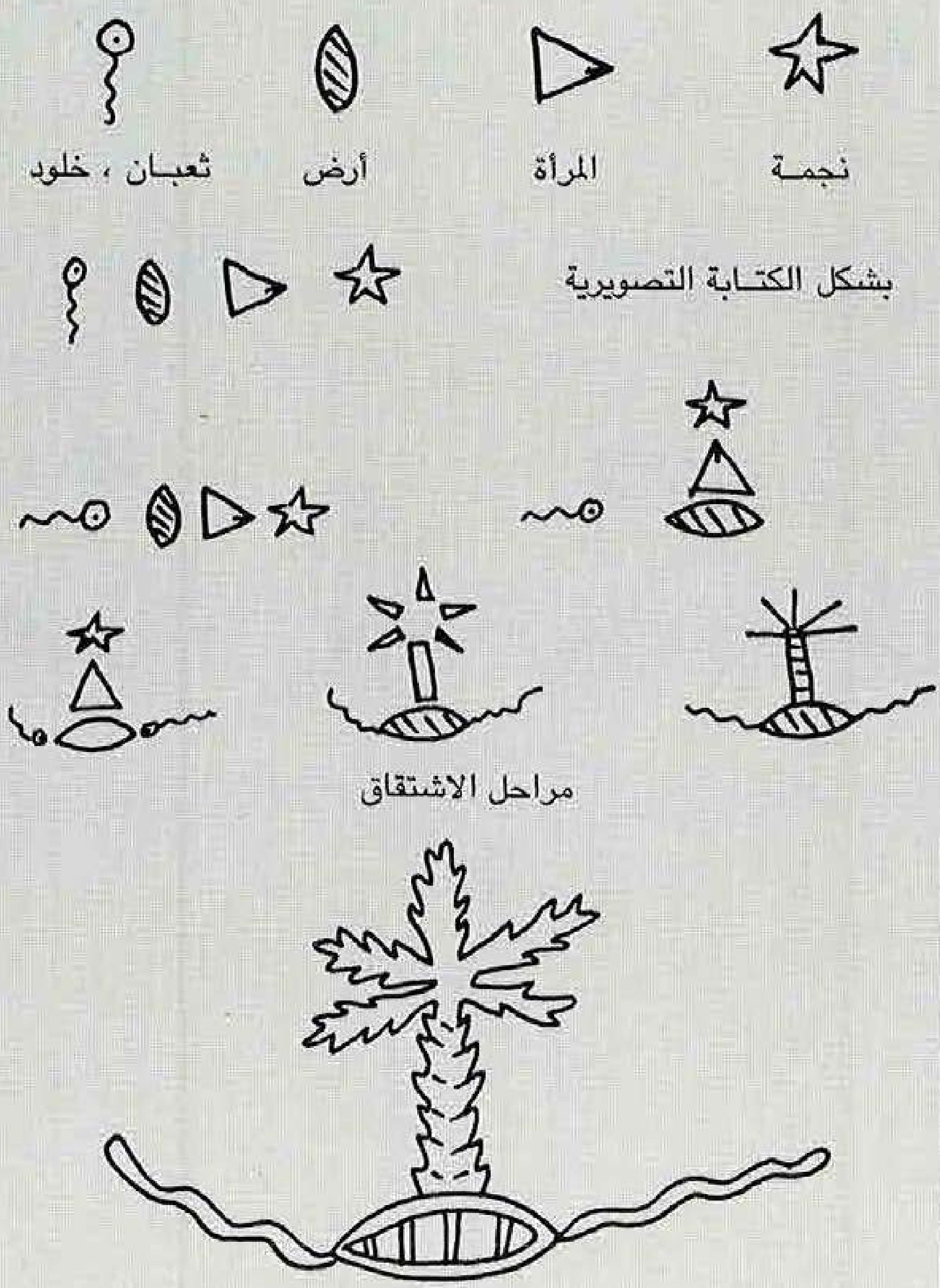
أنانا ـ عبادة كالهة مخزن التمور

الرسم ـ ٤



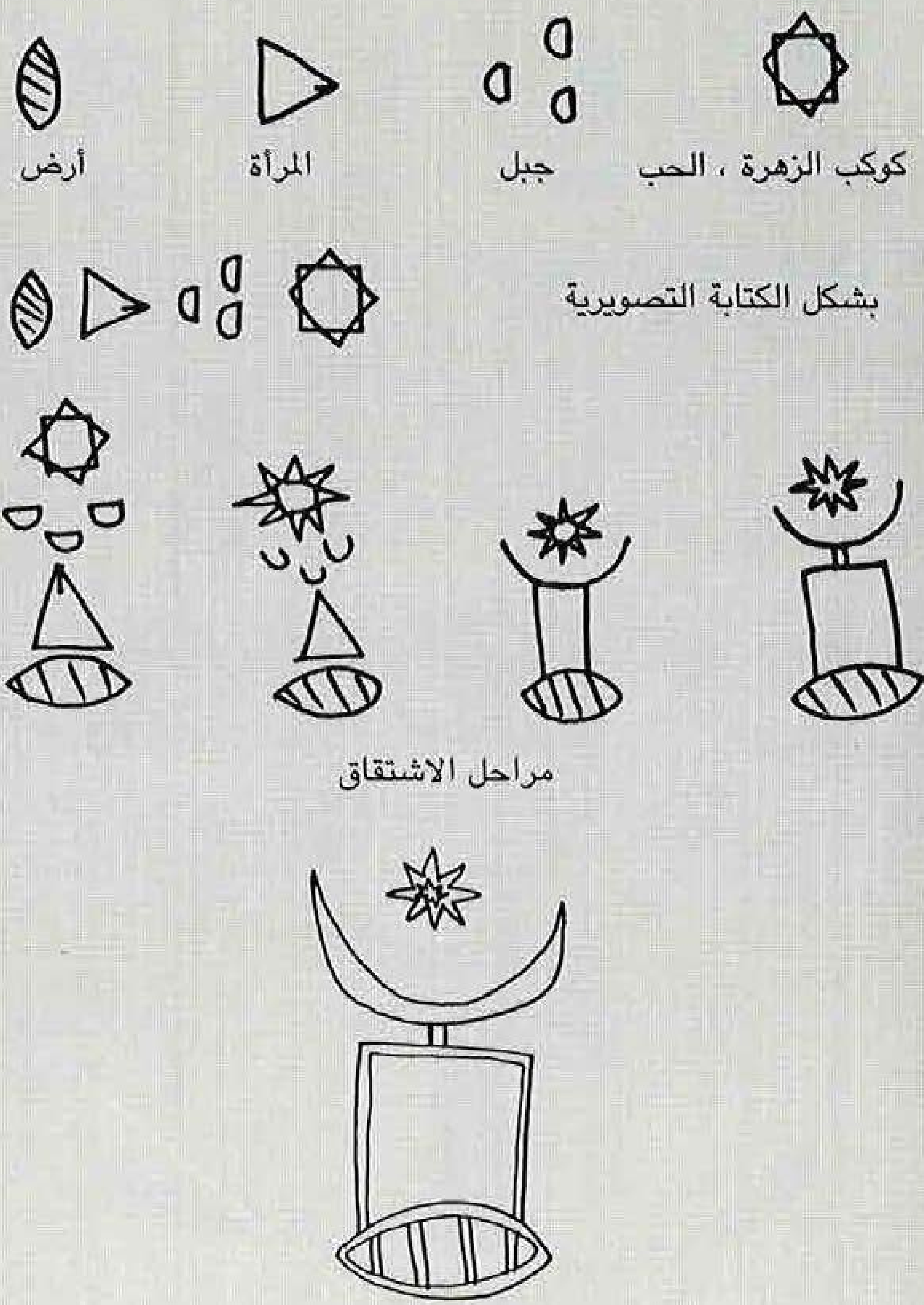
انانا ـ الهة المطر

الرسم ـ ٥



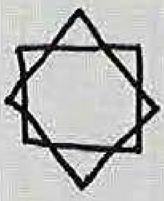
أنانا ـ الهة الأرض ، خلود ، ألهة السماء

الرسم ـ ٦

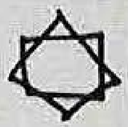


أنانا ـ الهة الحب والأرض

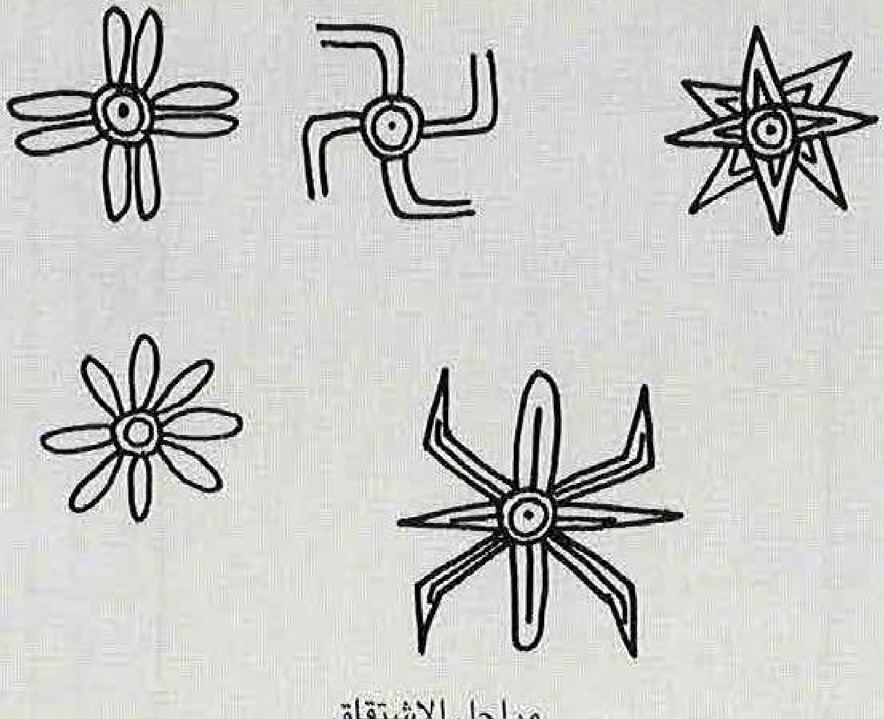
الرسم ـ ٧



كوكب الزهرة ، الحب



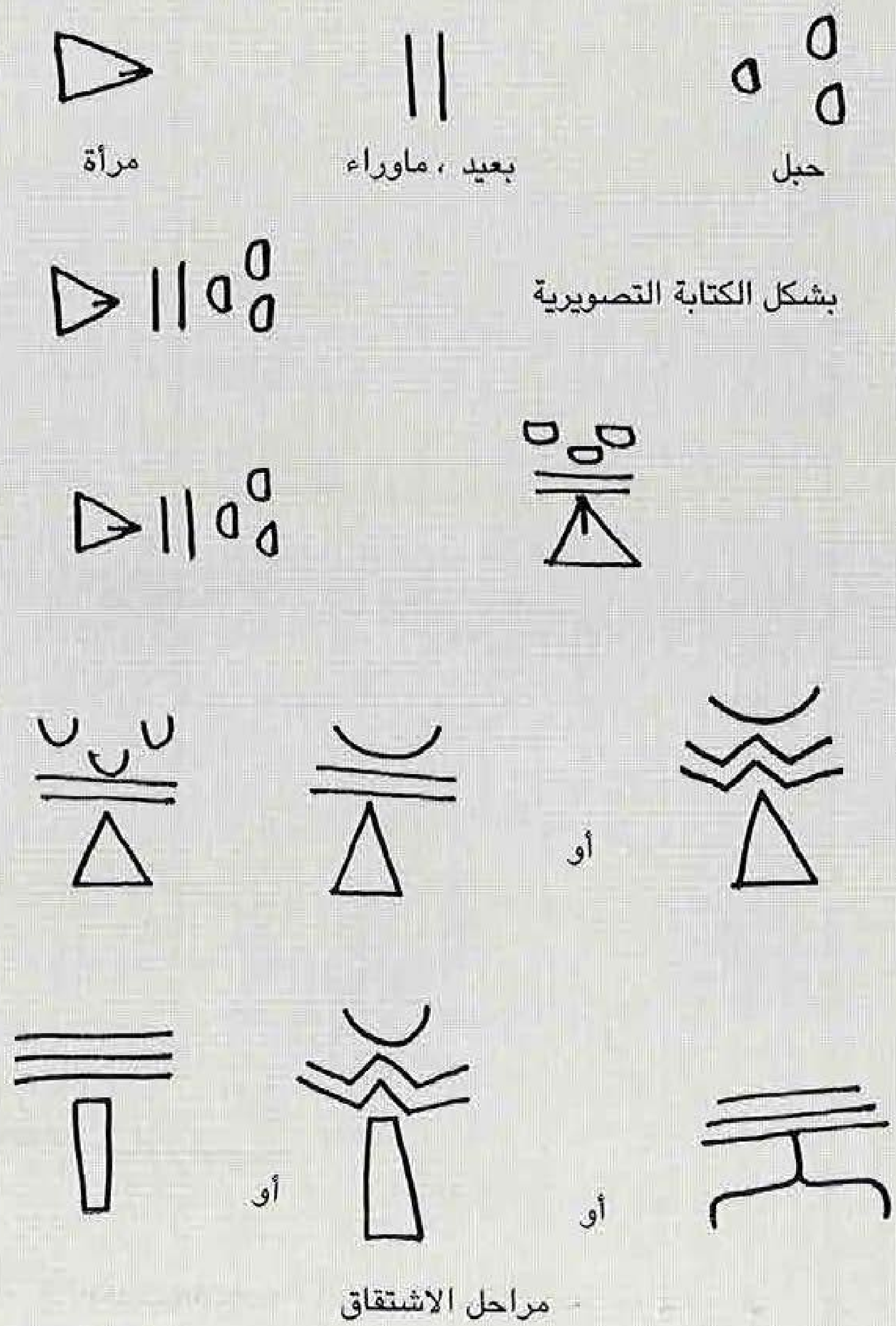
بشكل الكتابة التصويرية



مراحل الاشتقاق

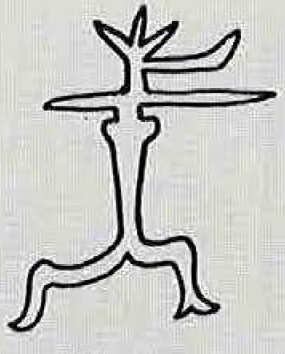
انانا ـ الهة الحب

الرسم ـ ٨ أ



مراحل الاشتقاق

الرسم ـ ٨ ب



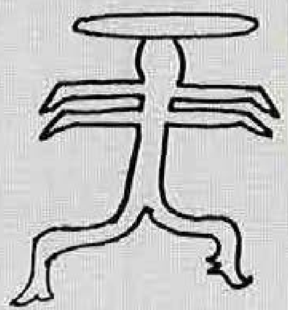
رقم ١٣١
شكل ذو رجلين ، ذو معنى جنسي



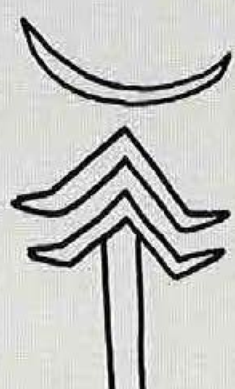
رقم ١٠٧
بشكل رجلين ، ذو معنى جنسي



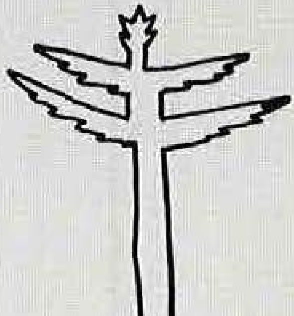
رقم ١٦٤
بشكل النخلة مع ٣ أغصان



رقم ٢٩٣
بشكل رجلين ، ذو معنى جنسي

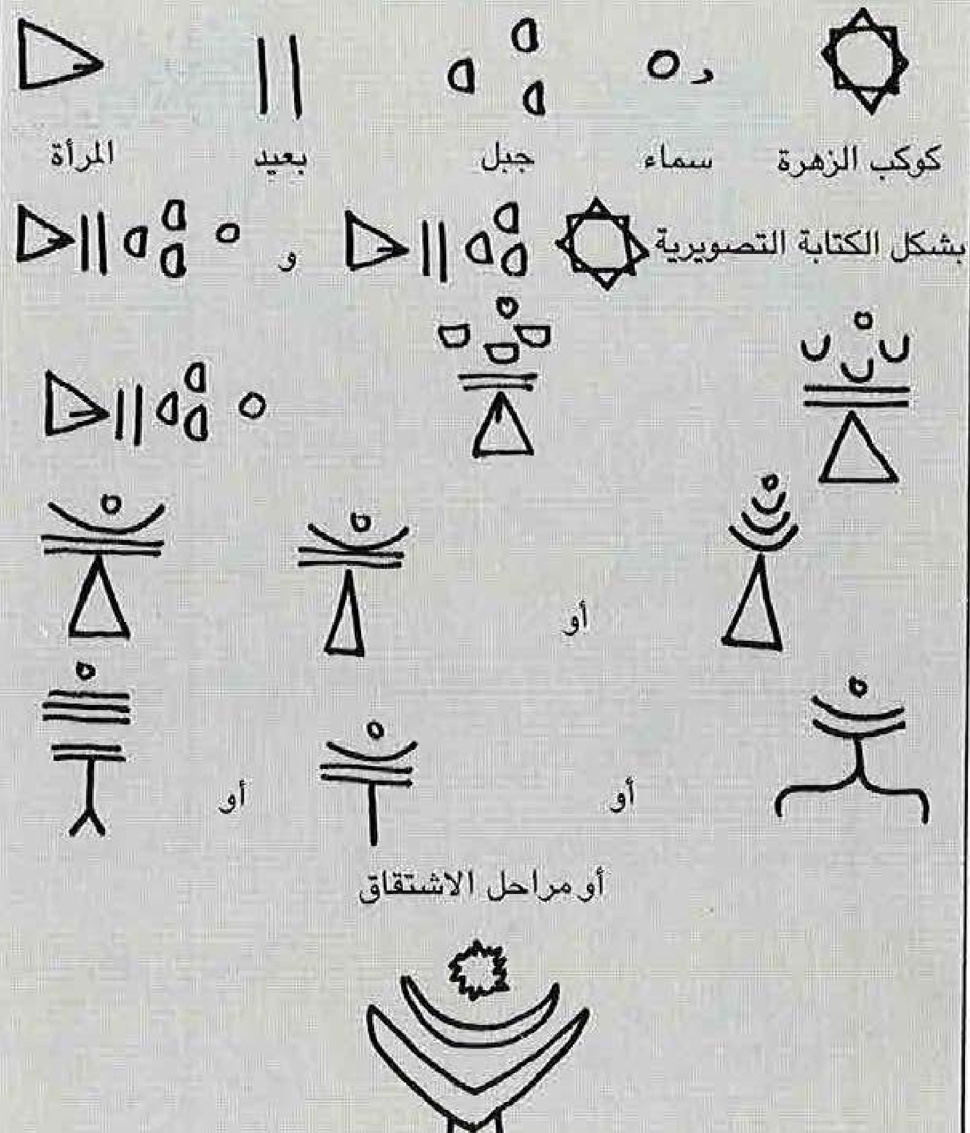


رقم ٣٢٨
أنانا ـ السيدة فوق الجبل



رقم ١٢٢
بشكل النخلة مع غصنين والجزء العلوى

الرسم ـ ٩ أ

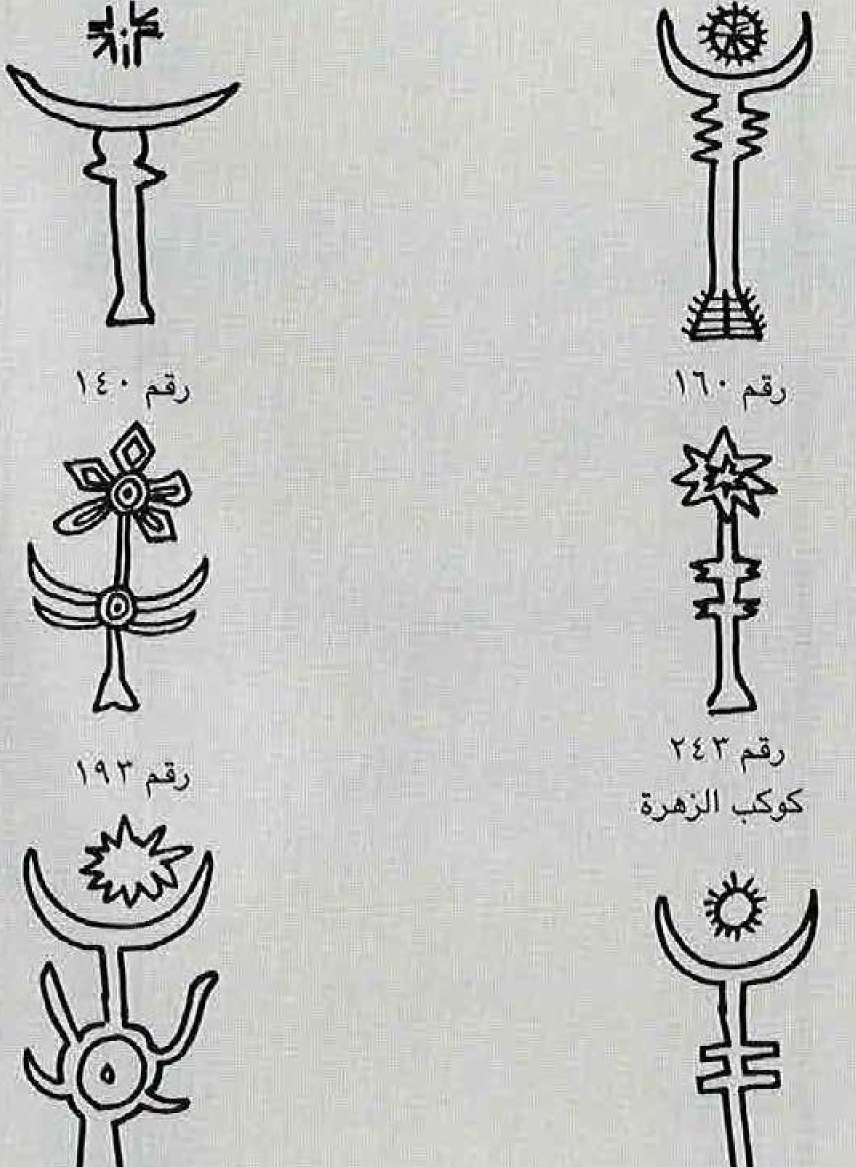


رقم ٢٩٥

بشكل رجلين في الوضع الجنسي

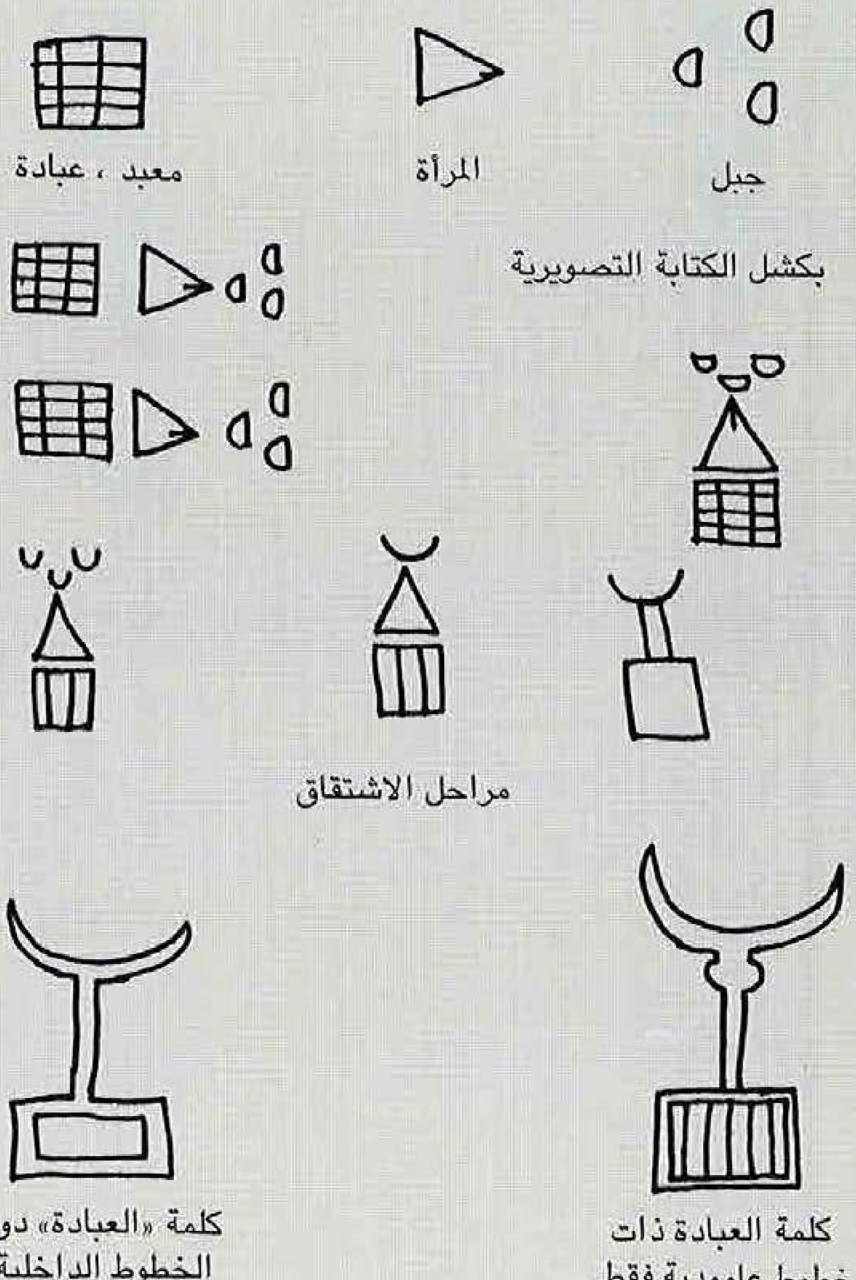
انانا ـ السيدة عبر الجبل من السماء

الشكل ٩ ب



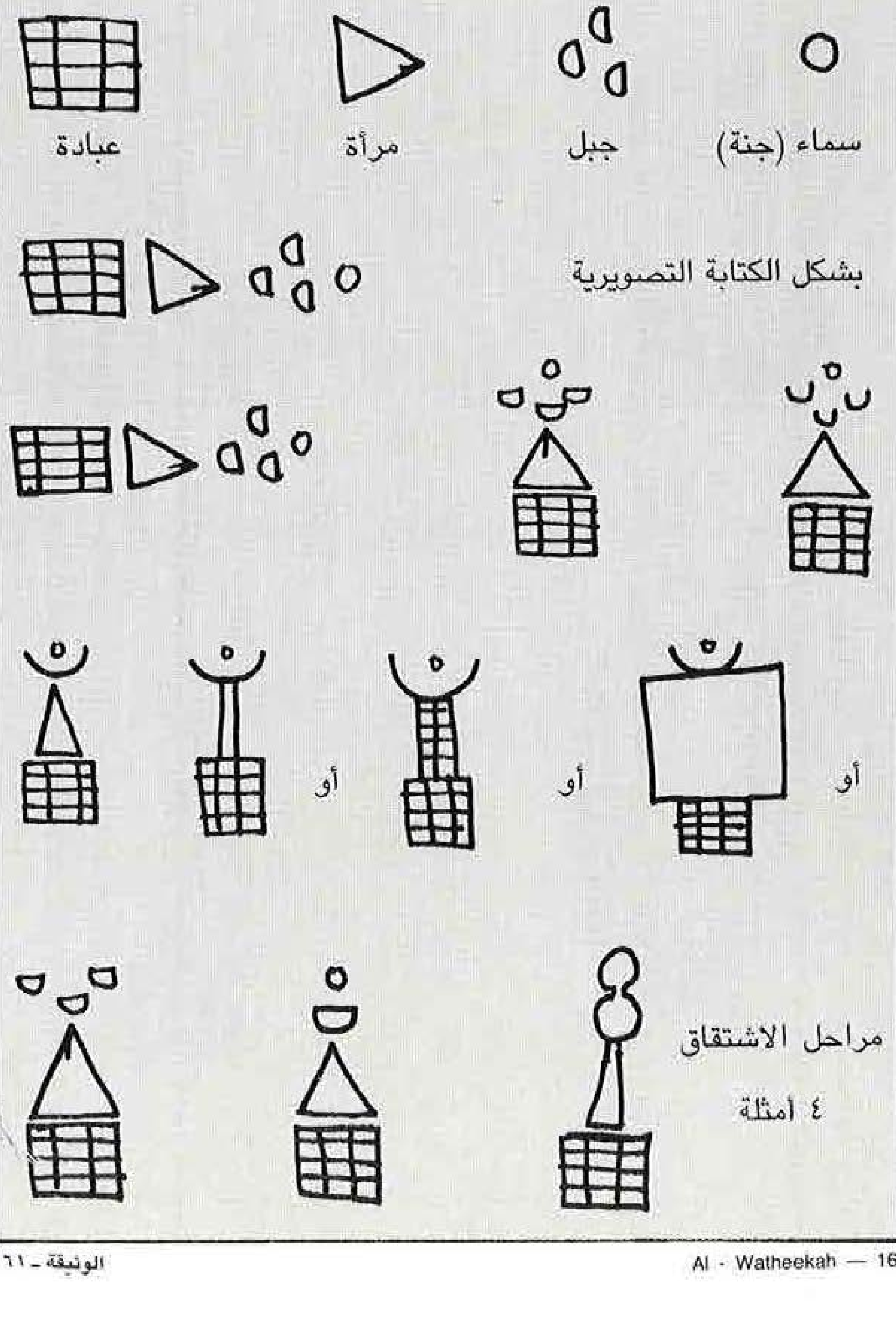
انانا ـ السيدة ما وراء الجبل من السماء

الرسم ـ ١٠

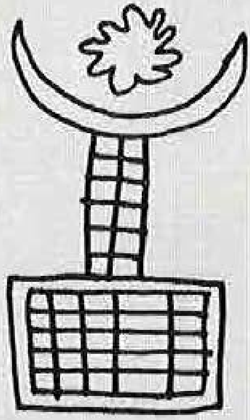


انانا ـ عبادة سيدة الجبل

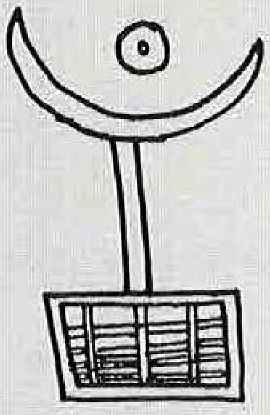
رسم ١١ ـ أ


سماء (جنة)
جبل
مرأة
عبادة
بشكل الكتابة التصويرية
أو
أو
أو
مراحل الاشتقاق
٤ أمثلة

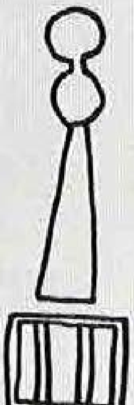
رسم - ١١ - ب



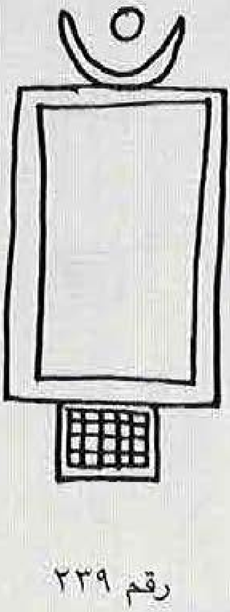
رقم ١٨٩



رقم ٧



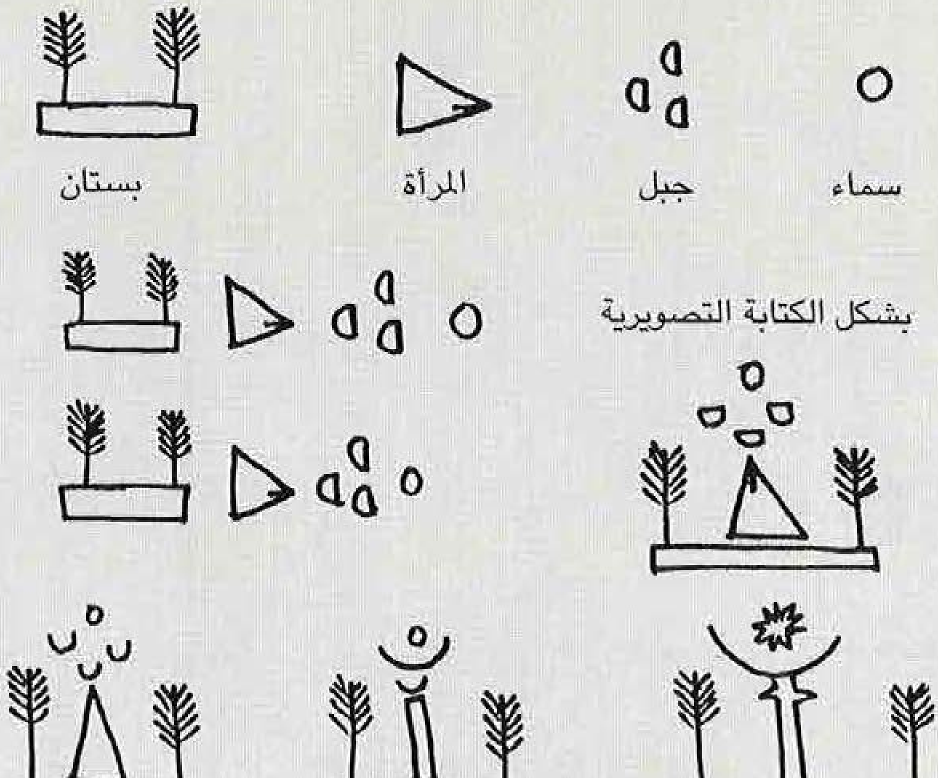
رقم ١٩١



رقم ٢٣٩

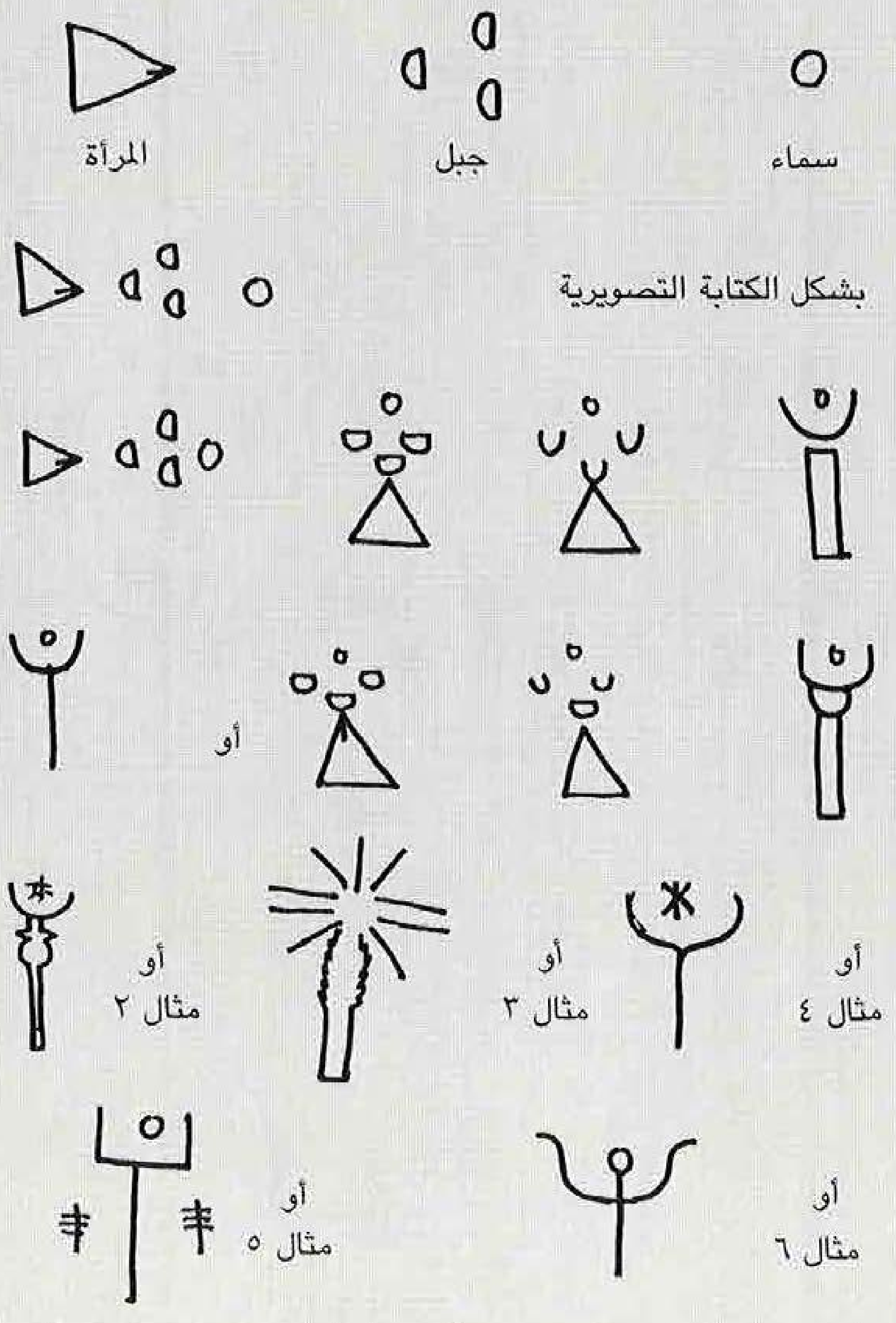
انانا ـ عبادة سيدة الجبل من السماء (الهة السماء)

رسم = ١٢



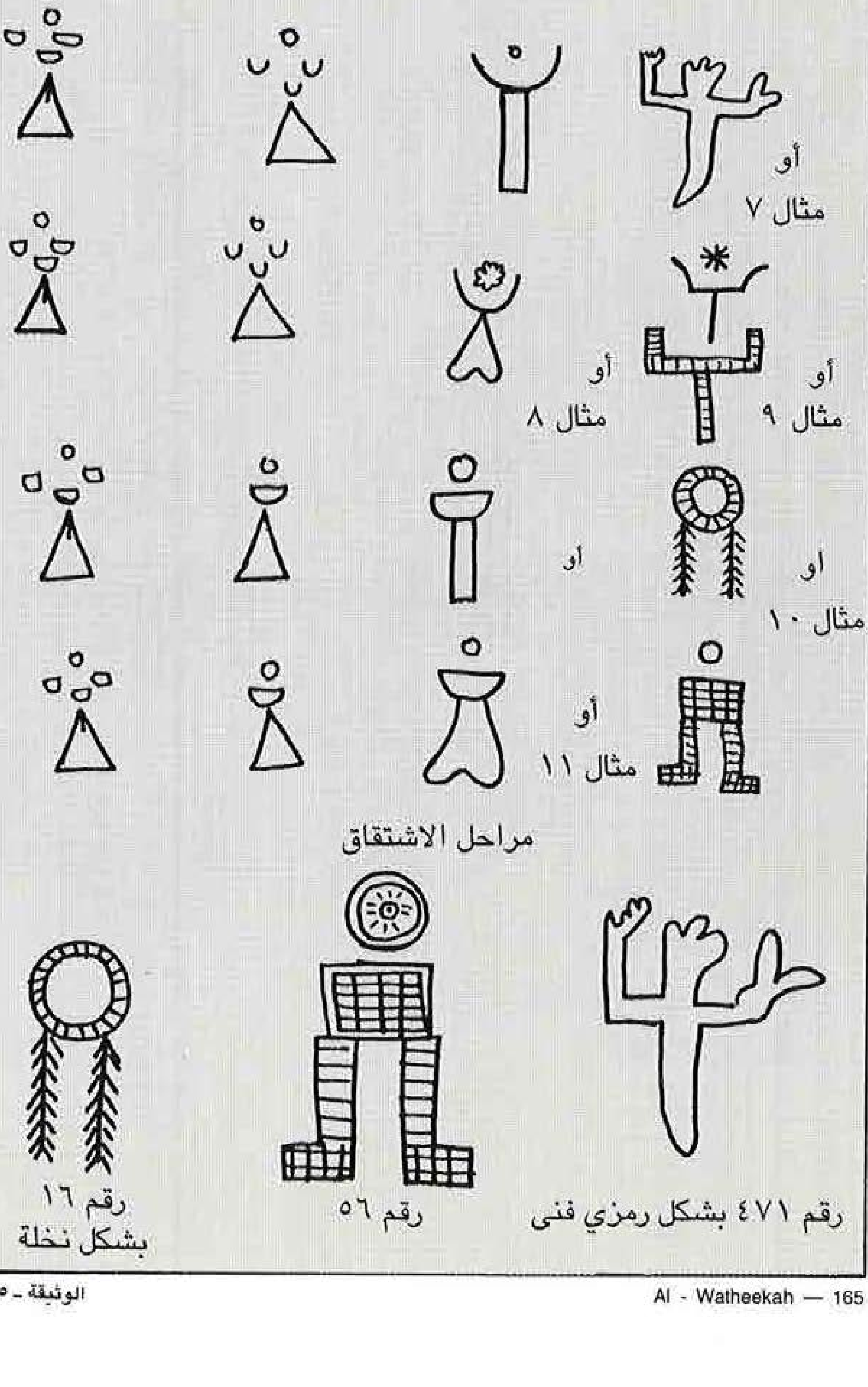
انانا ـ الهة مخزن التمور والحب

شكل ـ ١٣ أ

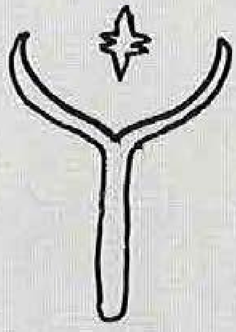


سماء
جبل
المرأة
بشكل الكتابة التصويرية
أو
أو
مثال ٤
أو
مثال ٣
أو
مثال ٢
أو
مثال ٦
أو
مثال ٥

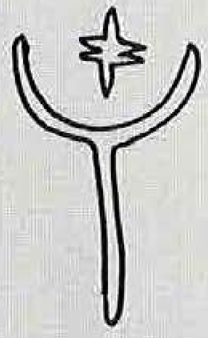
رسم - ١٣ - ب


أو
مثال ٧
أو
مثال ٨
أو
مثال ٩
أو
أو
مثال ١٠
أو
مثال ١١
مراحل الاشتقاق
رقم ١٦
بشكل نخلة
رقم ٥٦
رقم ٤٧١ بشكل رمزي فنى

رسم ـ ١٣ ج



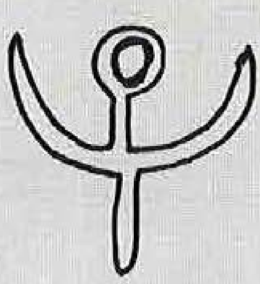
رقم ٢١١



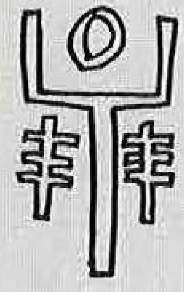
رقم ٣٣٨



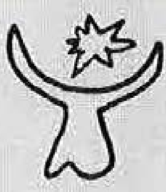
رقم ٧٦



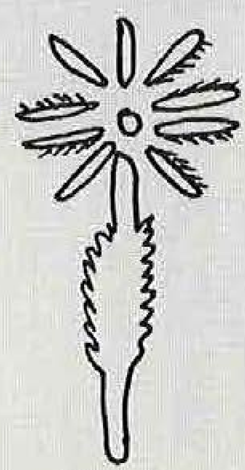
رقم ٢٨٠



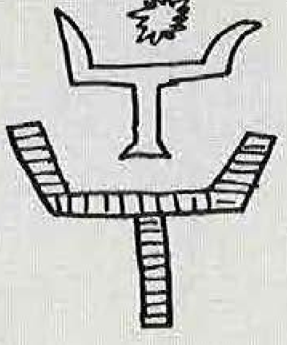
رقم ٣٤٠



رقم ١٩٤

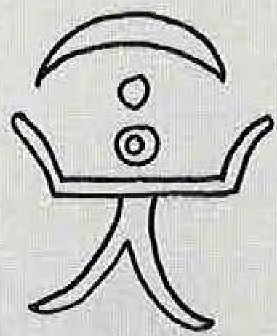


رقم ١٩١

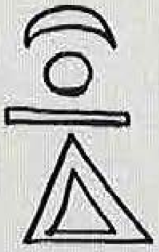


رقم ٣٤١

رسم ـ ١٣ ـ د



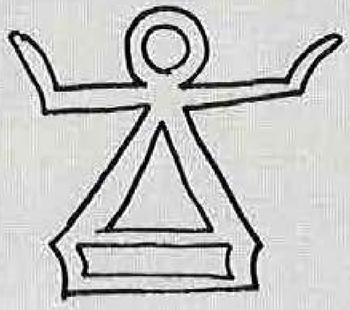
رقم ١



رقم ١



رقم ١



رقم ٣ قرطاجنة



رقم ٢



مصر

رقم ٢

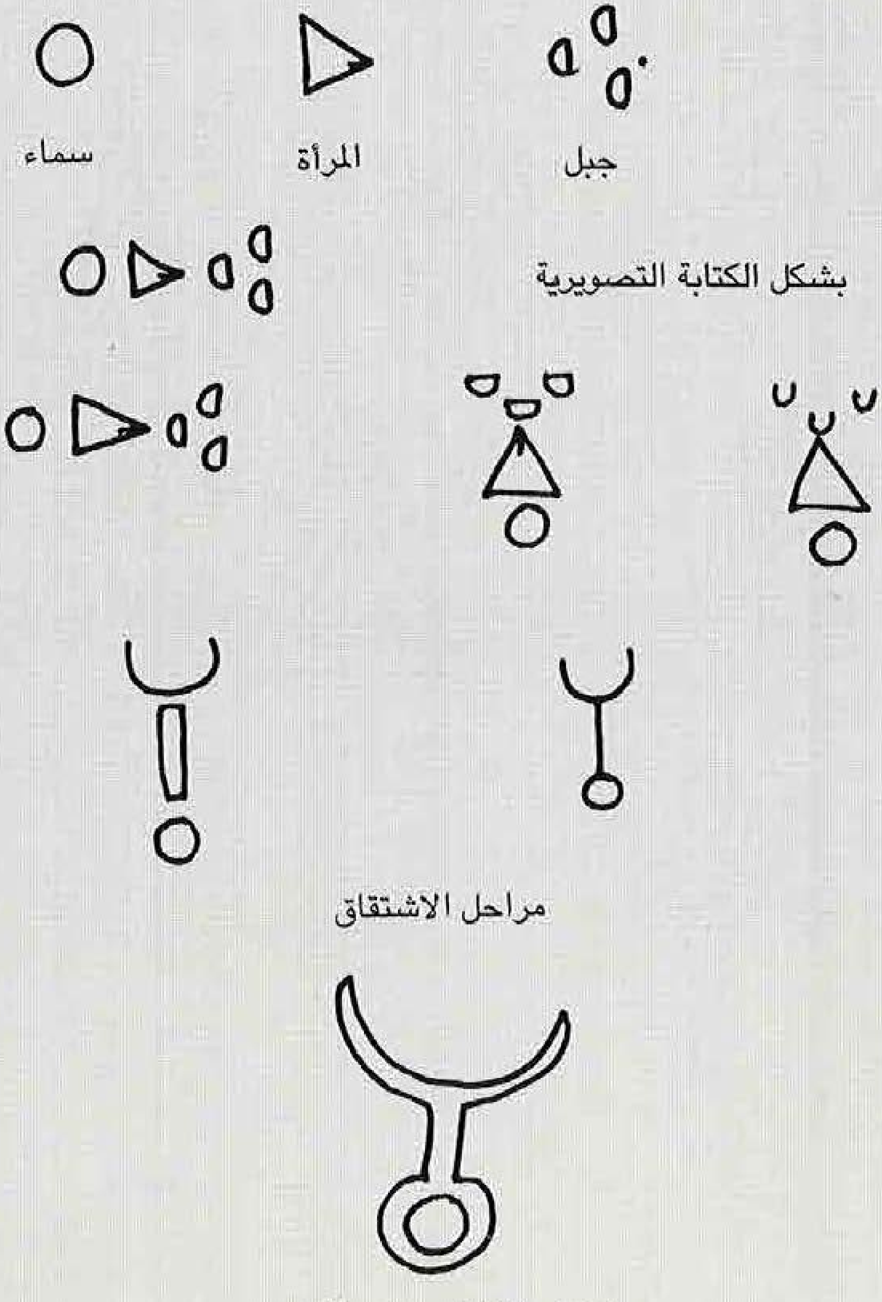
رمز يماثل رمز انانا الدلموني

رقم ١ ـ ساجا امريكا ص ٥٨

رقم ٢ ـ ص ٦٧

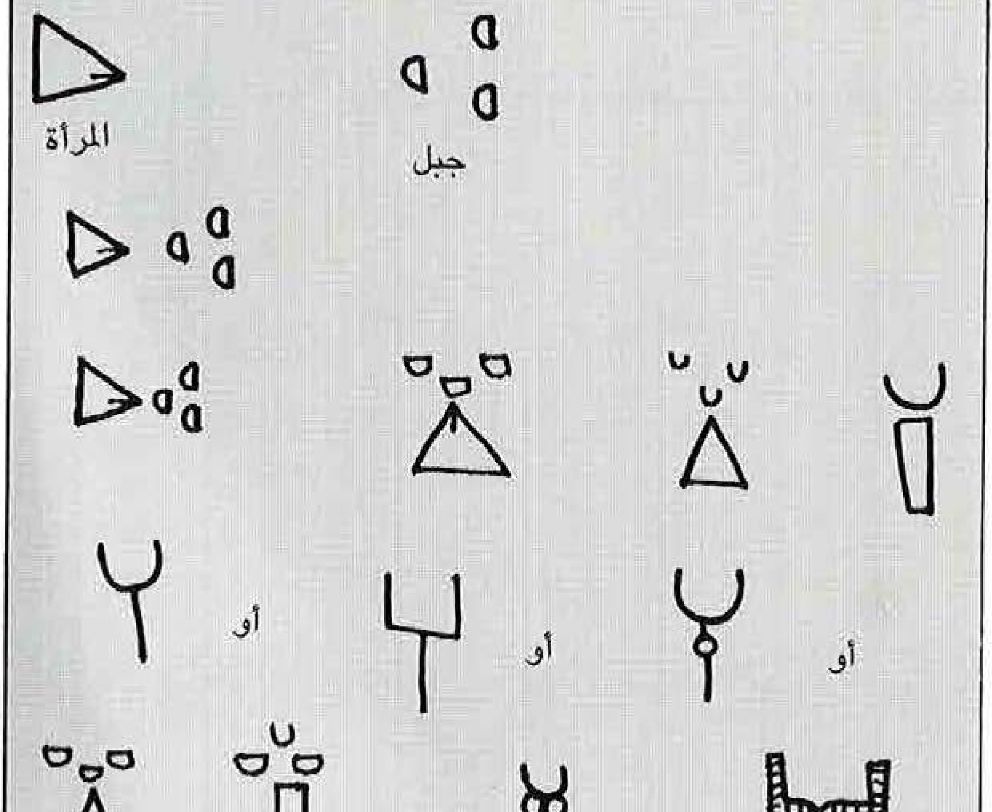
تاريخ قرطاجنة رقم ٣ ـ ص ١٠٥

رسم ـ ١٤

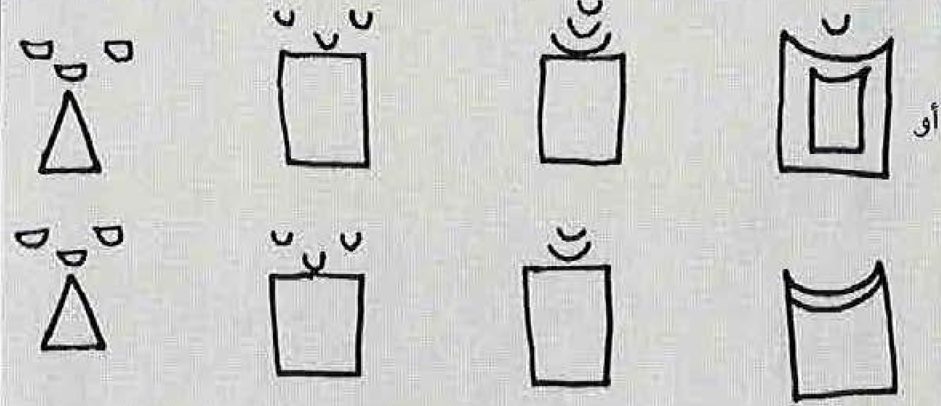


انانا ـ الهة السماء والحب

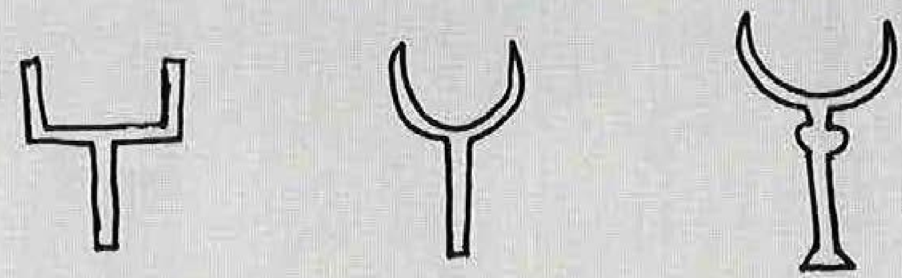
رسم ـ ١٥ أ



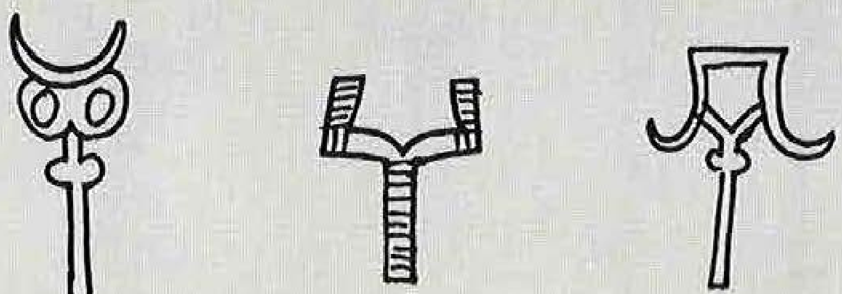
رسم ـ ١٥ ـ ب



مراحل الاشتقاق

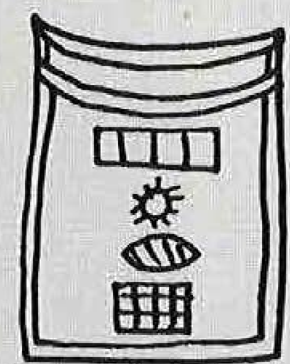


رقم ١٨٥ — رقم ١٧٦ — رقم ٢٨٧

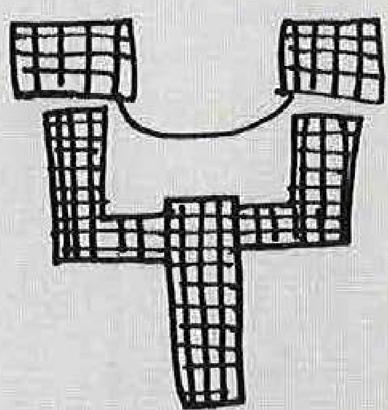


رقم ٣٣٢ — رقم ٢٦٣ — رقم ٢٠٩

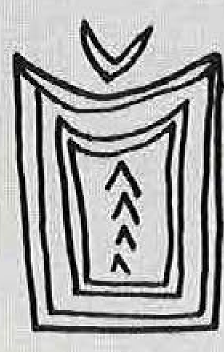
رسم ـ ١٥ ـ جـ



رقم ٣٤٢



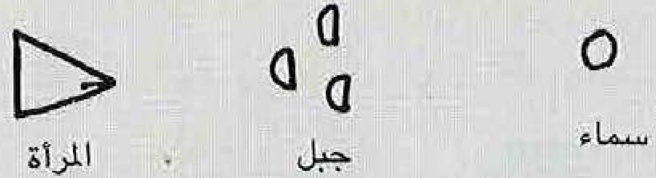
رقم ٣٤٤

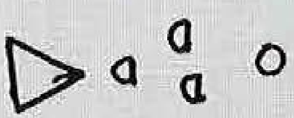


رقم ٣٣٥

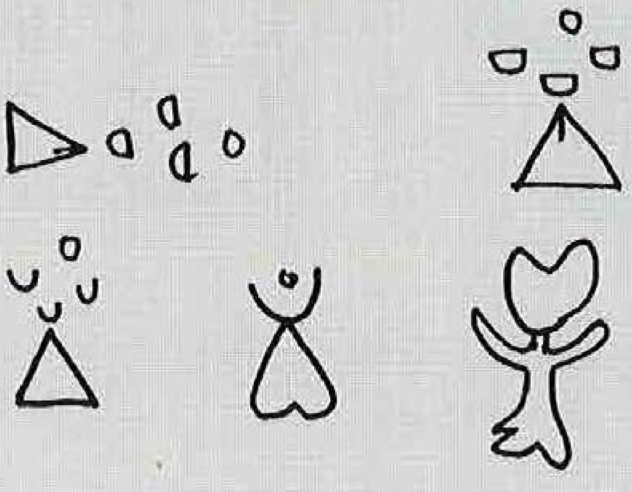
انانا ـ الهة الحب

الرسم ـ ١٦

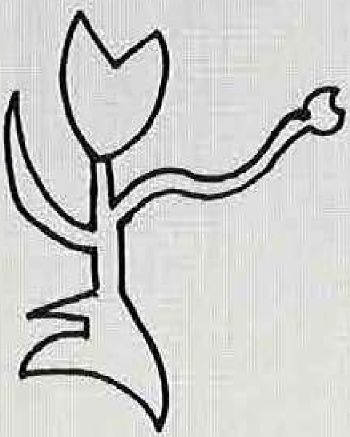




بشكل الكتابة التصويرية



مراحل الاشتقاق

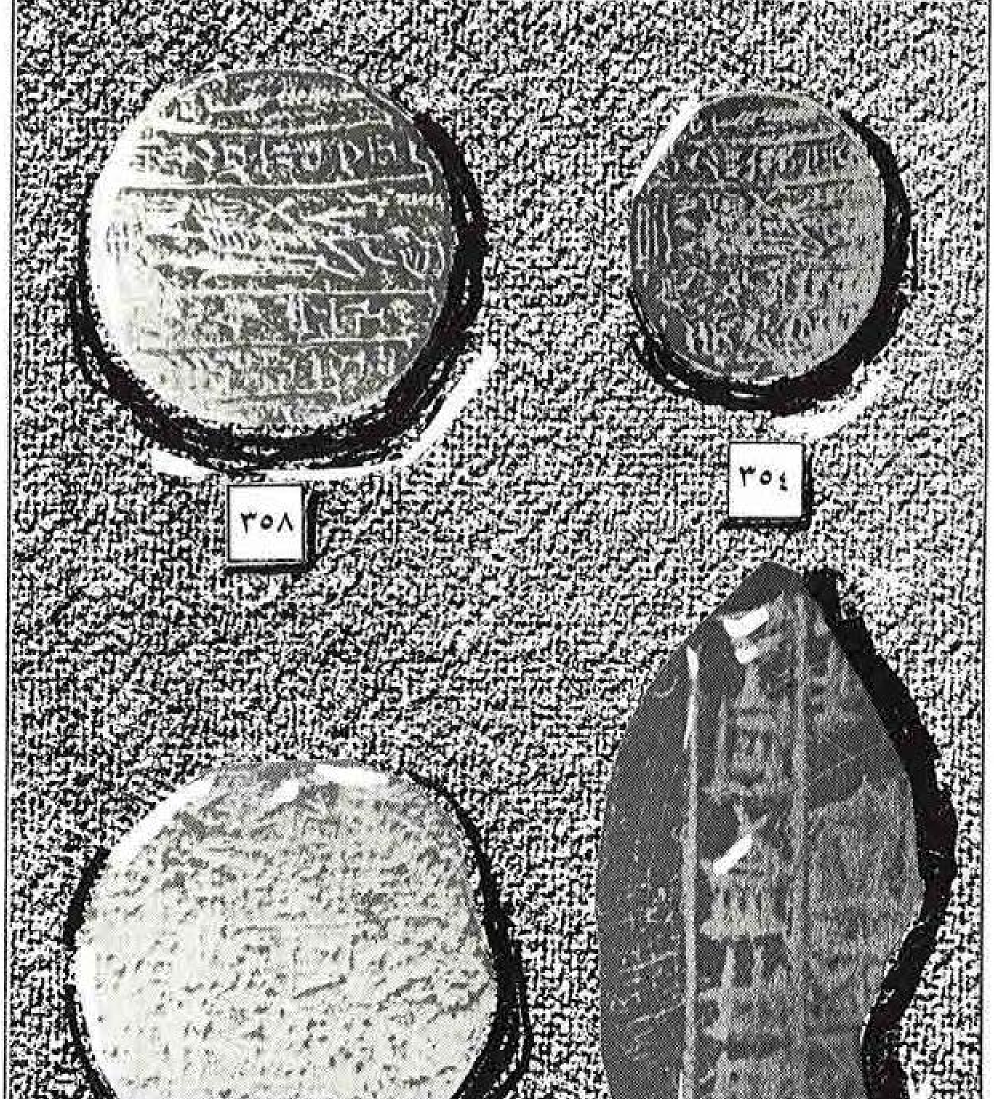


انانا ـ الهة الحب والخلود

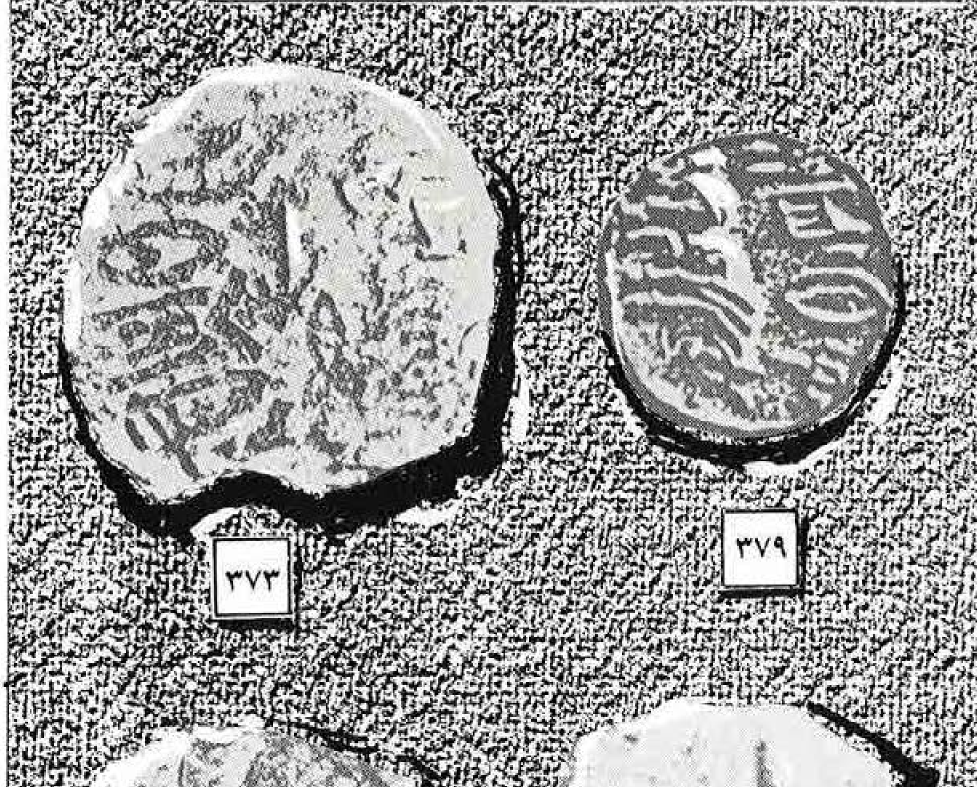
الأصل المشترك للكتابة الدلمونية وكتابة الرافدين

دلمون	الرافدين
الكتابة التصويرية حوالى ٨٠٠ـ٢٤٠٠ق.م	الكتابة التصويرية السومرية حوالي ١١٠٠ ـ ٤٥٠٠ ق.م
الكتابة بالادماج حوالي ٢١٠٠ ـ ٢٤٠٠ ق.م	الكتابة شبه الصورية السومرية
الكتابة المسمارية ٤ أختام ، حوالي ٢٤٠٠ ق.م الواح ، حوالى ٨٠٠ ق.م	الكتابة السومرية المسمارية حوالي ٢٥٠٠ ـ ٢٢٠٠ ق.م
نقوش وادى الاندوس حوالى ١٤٠٠ ق.م	الكتابة الاكادية المسمارية حوالي ٢٥٠٠ ق.م
	الكتابة الاشورية المسمارية حوالى ٧٠٠ ق.م
	الكتابة البابلية المسمارية حوالي ٥٠٠ ق.م

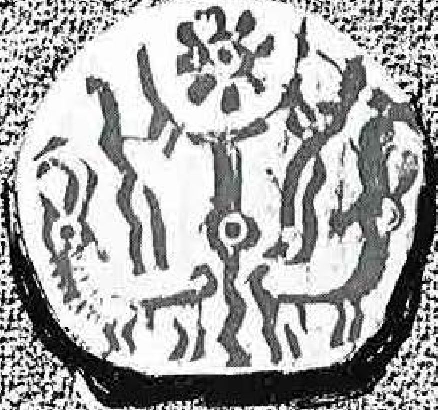
٧١ ـ ٣ ـ أ ـ أمثلة لأختام سومرية



٧١ ـ ٣ ـ ب ـ أمثلة لأختام وادى الاندوس :



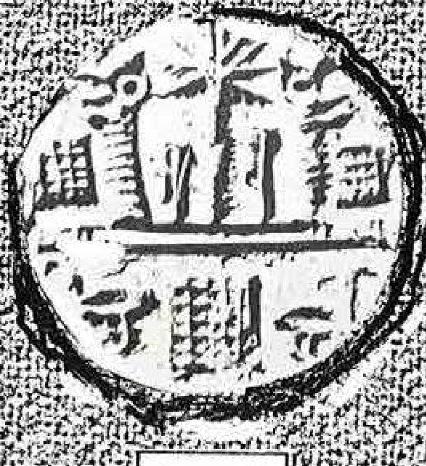
٧١ ـ ٢ ـ ج ـ أختام أمثلة



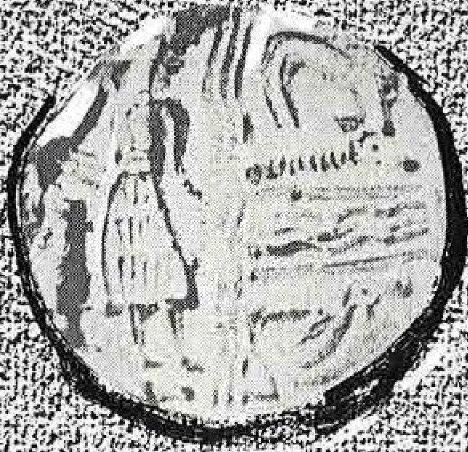
٢٤٠ رسم ١



١٠ رسم ٢



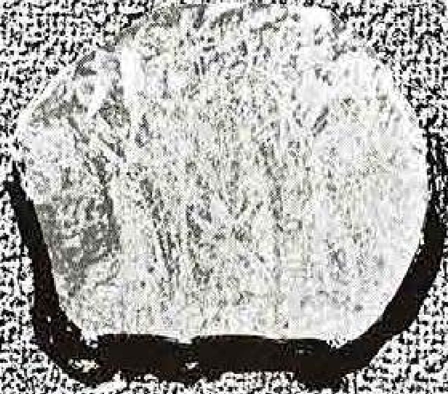
١٤ رسم ٣



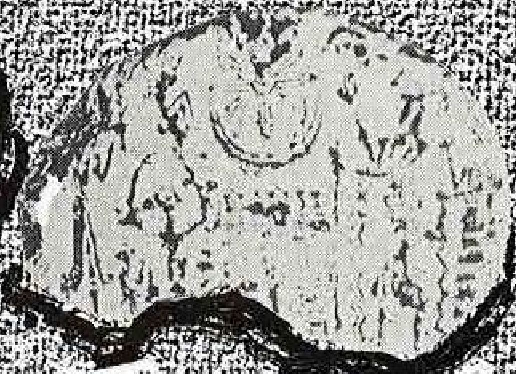
٢٧٤ رسم ٤



٧٣ رسم ٥



٣٠٣ رسم ٦



٢٧٩ رسم ٧



٨٩ رسم ٧



٣٢٨ رسم ٨



١٣١ رسم ٨



١٠٧ رسم ٨



٢٩٥ رسم ٩



١٤٠ رسم ٩



٣١٧ رسم ٩



٣٩ رسم ١٠



١٦٠ رسم ٩



١٨٤ رسم ١١



٨٥ رسم ١٠



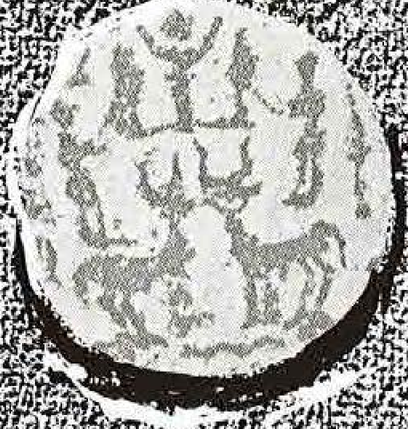
٢٩١ رسم ١١ و٨



٣٤٦ رسم ١١



٧ رسم ١١



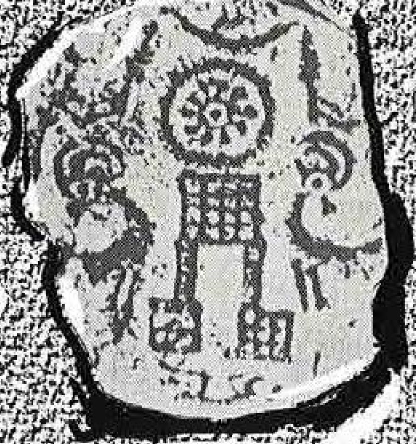
٦٨ رسم ١٢



٢٣٩ رسم ١١



٢٨٠ رسم ١٣



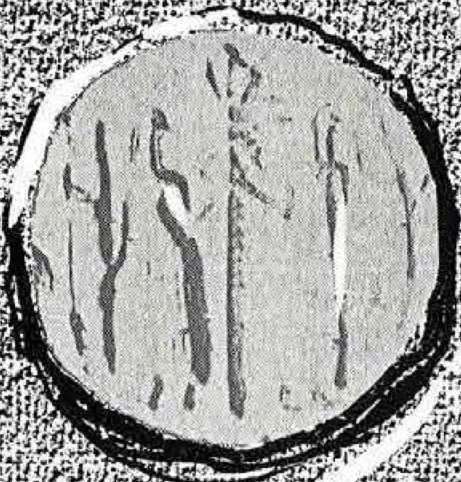
٥٦ رسم ١٣



٣٣٨ رسم ١٣



٣٤٠ رسم ١٣



١٦١ رسم ١٣

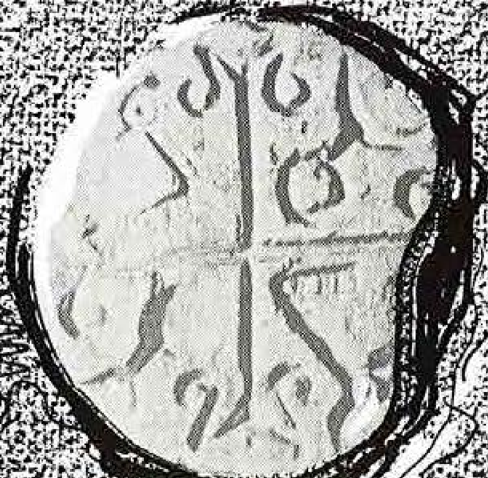

٧٦ رسم ١٣
١٩٤ رسم ١٣
٣٤١ رسم ١٣
٢١١ رسم ١٣



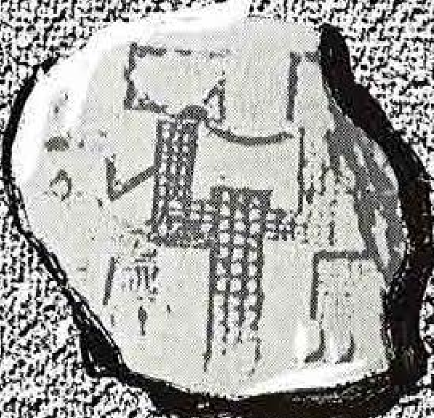
١٦ رسم ١٣



٢٦٨ رسم ١٥



١٧٤ رسم ١٤



٣٤٤ رسم ١٥



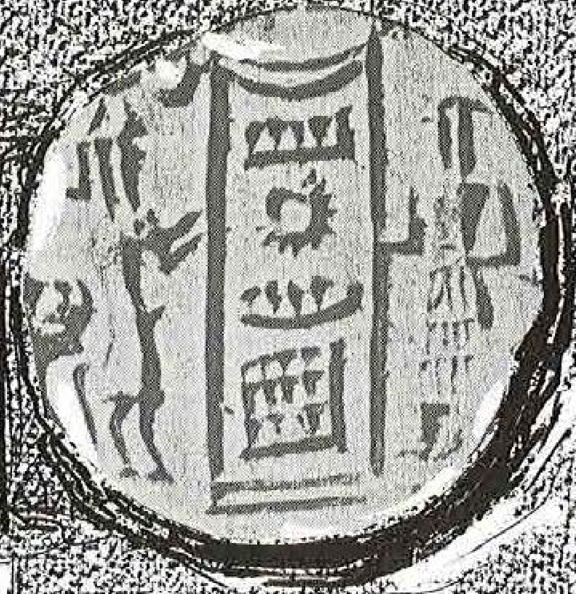
١٧٨ رسم ١٠



١٨٥ رسم ١٥



٢٠٩ رسم ١٥



٣٤٢ رسم ١٥



٣٨٥ رسم ١٥ (البحرين)



٤٤٦ رسم ١٦ (البحرين)

المراجع العربية :

١ - البنية الذهنية الحضارية في الشرق المتوسطى الاسيوي القديم/ بقلم يوسف الحوراني/ دار النهار للنشر/ بيروت ، لبنان ، ١٩٧٨ .

٢ - محاضرات في تاريخ العراق القديم/ بقلم د. عامر سلمان واحمد مالك الفتيان/ وزارة التعليم العالي والبحث العلمي/ بغداد ، عراق/ ١٩٧٨ .

٣ - الكتابة العربية والسامية - دراسات في تاريخ الكتابة واصولها عند الساميين/ بقلم د. رمزى البعلبكي/ دار العلم للملايين/ بيروت ، لبنان/ ١٩٨١ .

٤ - سومر ، الجزء ١ و٢ ، المجلد ٣٤ ، ١٩٧٨ ، المؤسسة العامة للآثار والتراث ، وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ، عراق ، انانا «عشتار» في النصوص السومرية والاكدية ، بقلم تلى حنون .

٥ - سومر ، الجزء ١ و٢ ، المجلد ٢٦ ، مديرية الآثار العامة ، وزارة الاعلام ، بغداد ، عراق ، ١٩٧٣ ، عشتار وتموز - جذور المعتقدات الخاصة بهما في حضارة وادى الرافدين ، بقلم د. فاضل عبدالواحد علي .

٦ - سومر ، فنونها وحضارتها/ بقلم اندرى بارو ، ترجمة د. عيسى سلمان وسالم طية التكريتي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، عراق ، ١٩٧٩ .

٧ - الوثيقة ، العدد الاول - السنة الاولى ، يوليو ١٩٨٢ ، كيف كان الرجال والنساء يلبسون في أيام دلمون ، بقلم علي اكبر حبيب بوشهري .

٨ - الوثيقة - العدد الثانى - السنة الاولى ، يناير ١٩٨٣ ، «الالف الثالث قبل الميلاد كان عهد الموسيقى في حضارة دلمون» ، بقلم علي اكبر حبيب بوشهري .

٩ - تقرير شامل عن الحفريات الاثرية في جزيرة فيلكا/ ادارة الاثار والمتاحف ، وزارة الارشاد والانباء ، الكويت .

١٠ - مجموعة صور اختام دلمون من متحف الكويت الوطني استخدم في البحث .

١١ - مجموعة صور اختام دلمون الموجودة لدى الباحث ، ٥٠٢ ختم .

١٢ - د. محمد رفيق مكهول ، مدير ادارة التنقيبات ، ادارة الاثار والمتاحف ، كراتشى ، باكستان .

١٣ - تاريخ قرطاج/ بقلم فادلين هورس ، ترجمة ابراهيم بالش ، منشورات عويدات/ بيروت ، لبنان ، ١٩٨١ .

المراجع الأجنبية :

1- Epigraphic Society Occasional Publications (E.S.O.P), Volume 10, part 2, 1982, San Digo Cal., U.S.A., "Malayopolynesian Vocabulary", By: Linus Brunner.

2- E.S.O.P., Volume 8, part 1, No. 27, 1980, Arlington, Mass., U.S.A., "Sun god Inscriptions on Dilmun Seals", By: Ali Akbar H. Bushiri.

3- E.S.O.P., Volume 3, part 2, No. 66, 1976, Arlington, Mass., U.S.A., "A Theory Concerning the Indus Seals", By: Donal B. Buchanna.

4- E.S.O.P., Volume 9, part 2, No. 228, San Digo, Cal., U.S.A., "Animals on the Seals of Dilmun", By: Ali Akbar H. Bushiri.

5- E.S.O.P., Volume 9, part 2, No. 227, 1981, San Digo, Cal., U.S.A., "Dilmun Civilization — Evidence of the Seals on Trade and Economy", By: Ali Akbar H. Bushiri.

6- "Dilmun Archaeoastronomy, Cosmos", By: Ali Akbar H. Bushiri, Unpublished paper.

7- "Unusual Act", By: Ali Akbar H. Bushiri, Unpublished paper.

8- Hunter, Farmers and Civilization — Old World Archaeology, W.H. Freeman and Co., San Francisco, Cal., U.S.A., 1979, "The Evolutions of Paleolithic Art", By: Lerio- Gourhan, #4.

9- Hunters, Farmers and Civilization — Old World Archaeology, W.H. Freeman and Co., San Francisco, Cal., U.S.A., 1979, "The Sumerian", By: S.N. Karmer, # 18.

10- Dilmun, A Journal of Archaeology and History in Bahrain, Bahrain Historical & Archaeological Society, Volume 10, 1982, "Dilmun's Ships", By: Ali Akbar H. Bushiri.

11- The Ancient Neareast, Volume I, Princeton University Press, Princeton, N.J., U.S.A., 1973, "Descent of Ishtar to the Nether World", By: E.A. Speoser.

12- History and Society: Essays in Honor of Prof. Nihawansan Ray, D.P. Chattopadhyoy Edition, Calcutta, India, 1979, "Seals as an Evidence of Indus West Asia Interrelations", By: Dilip K. Chakrabarti.

13- The Future of the Arab Gulf and the Strateg y of Joint Arab Action, Center for Arab Gulf Studies, University of Basrah, Basrah, Iraq, No. 56, 1982, "Archaeological Relationships in the Gulf," By: Archene Wolinski.

14- A Modern Introduction to Logic, By: L. Usen Stebbeng, Harper Torchbook, N.Y., N.Y., U.S.A., 1961.

15- The Encyclopedia Americana, American Corp., N.Y., N.Y., U.S.A., 1949.

16- The New Encyclopedia Britannica, Encyclopedia Britannica, Inc., U.S.A., 1982.

17- Ancient Art in Seals. Edited By: Edith Porader, Princeton, University Press, Princeton, NJ., U.S.A., 1980.

18- Iran, By: R. Ghirshman, Penguim Book, Richard Clay Ltd., Bungay, Suffolk, U.K., 1978.

19- Babylon, By: Joan Oates, Thames & Hudson Press, London, U.K., 1979.

20- The Babylonian Legend of the Flood, By: Edmond Sollberger, British Museum Publications, Ltd., London, U.K., 1977.

21- The Face of Ancient Oriental, By: Sabatino Moscati, Anchor Books, Garden City, N.Y., N.Y., U.S.A., 1962.

22- The Sumerian, By: S.N. Karmer, The University of Chicago Press, Chicago, Ill., U.S.A., 1963.

23- Looking for Dilmun, By: Geoffrey Bibby, Proof Book Edition.

24- Assyrian Language, By: L.W. King, AMS Press Ltd., N.Y., N.Y., U.S.A., 1976.

25- Saga America, By: Barry Fell, Times Book, N.Y., N.Y., U.S.A., 1980.

26- America B.C., By: Barry Fell, A Demeter Press Book, N.Y., N.Y., U.S.A., 1977.

27- The Treasures of Darkness — A History of Mesopotamian Religion, By: Thorkild Jacobsen, Yale University Press, New Haven, U.S.A., 1976.

28- Semitic Writing — from Pictograph to Alphabet, By: G.R. Driver, Oxford University Press, London, U.K., 1976.

29- Sumerian Mythology, By: S.N. Karmer, University of Pennsylvania Press, Philadelpia, Penn., U.S.A., 1972.

30- The Gilgamesh Epic — and Old Testament Parallels, By: Alexander Heidel, The University of Chicago Press, Chicago, Ill., U.S.A., 1963.

31- The Merriam-Webster Dictionary, Pocket Books, N.Y., N.Y., U.S.A., 1974.

32- The Art and Architecture of Ancient Egypt, By: W. Stevenson Smith, Penguim Books, U.K., 1981.

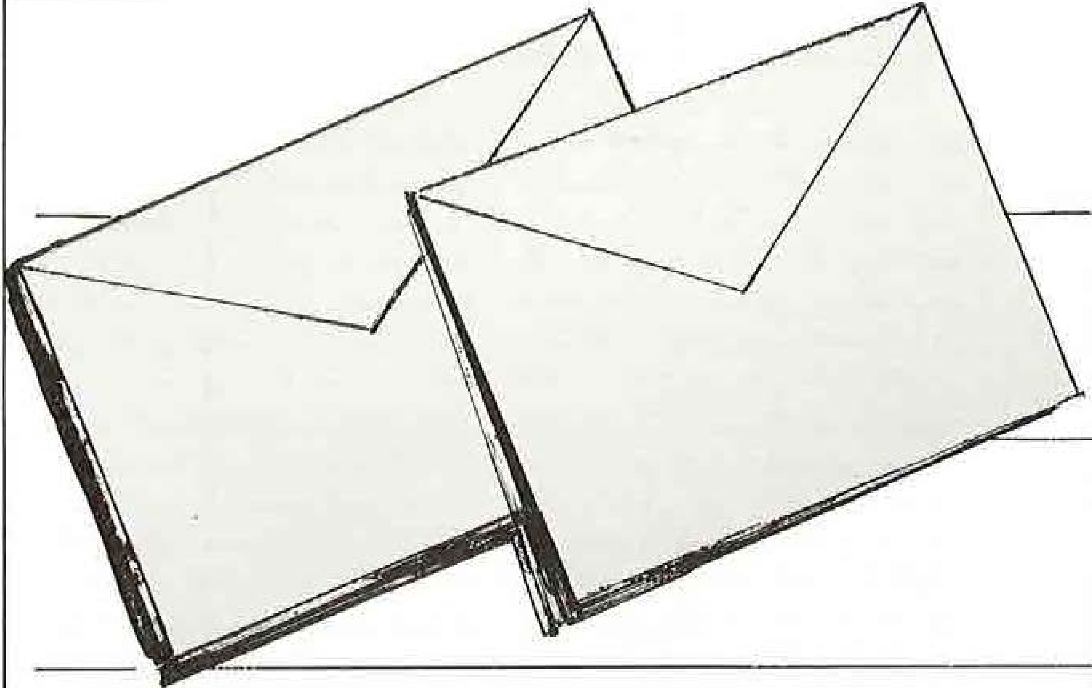
33- An Introduction to the Study of Man, By: J.Z. Young, Oxford University Press, London, U.K., 1979.

نشأة البريد وتطوره في البحرين في العصر الحديث

شهدت منطقة الخليج العربي، منذ مطلع العصر الحديث صراع قوى أجنبية عديدة تجاوز المصالح الاقتصادية الى الدخول في ميدان السياسة، بابعادها الاستراتيجية، بهدف ايجاد مراكز للنفوذ، ومن ثم الاستحواذ على المنطقة بكاملها.

ولعل تطور مهمة الوكالات التى اقامتها شركة الهند الشرقية الاوربية في العديد من مناطق الخليج العربي، باتجاه العمل السياسي والعسكرى، يؤشر المرتكزات التى تميزت بها مراحل التغلغل في المنطقة. ويعد تأسيس الوكالات البريدية أحد المظاهر الرئيسة في هذا المجال.

ومعروف ان المصالح الاجنبية المتنافسة قد زادت من اهمية المواصلات البريدية عبر الخليج العربي، وخاصة على اثر تعاظم النشاط البريطاني والفرنسي في المنطقة، حتى ان تلك المواصلات، مع مطالع القرن التاسع عشر التى حققت فيها بريطانيا الارجحية في



بقلم: الدكتور علاء موسى كاظم نورس ـ بغداد

الخليج ولمدة قرن ونصف تاليين، [١] استدعت وجود مكاتب بريد منظمة تنظيما دقيقا ونظام بريدي افضل [٢].

لقد كان الطريق البحري حول رأس الرجاء الصالح، يعد اكثر الطرق استخداما لنقل البريد الى الهند. غير ان طول هذا الطريق وبطئه اصبح لا يتلاءم وتصاعد حدة الصراع الدولي، مما أدى الى تبرير اهمية استخدام الطريق البرى [٣] عبر العراق وسوريا. وقد غدا هذا الطريق لفترة طويلة، البديل السريع والامين الوحيد للطريق البحري عبر رأس الرجاء الصالح [٤] كما كانت له خصوصية كبيرة في المجال العسكرى، حيث للاستخبارات المبكرة تأثير كبير على العمليات الحربية. وقد لجأت بريطانيا الى هذا الطريق بشكل كثيف في ابان حربها مع الهولنديين والفرنسيين في الهند، وكذلك خلال حرب الوراثة النمساوية (١٧٤٠ ـ ١٧٤٨) [٥]. وكانت تؤكد على وكلائها في الخليج العربي، بان لا يقتصر عملهم على النشاط التجارى بل على مدها بالمعلومات عن الهند والشرق. وقد أشار رؤساء شركة الهند في لندن، في رسالة لهم الى وكيل بندر عباس مؤرخة في ٢٥ شباط ١٧٤٨ الى انه : «عليكم انتم والمقيم ان تخبرونا برا عن كل الاحداث الهامة، لا تلك المتعلقة بفارس فقط، بل ايضا بالنشاطات التجارية في كل جزء من الهند وايضا فيما يتصل باسطول جلالته والاجراءات

الفرنسية التى سيكون لها اهمية قصوى خلال فترة الحرب [٦]

وقد كشفت حرب السنوات السبع (١٧٥٦ - ١٧٦٣) عن الاضرار التى تترتب بسبب تأخر نقل الاخبار عن طريق رأس الرجاء الصالح، اذ كانت اسرع رحلة عن هذا الطريق بين اوربا والهند تستغرق أحد عشر شهرا، بينما أن نقل الاخبار عبر الخليج العربي فصحراء الشام فحوض المتوسط قد يتم في خمسة اشهر. وقد ظلت السلطات البريطانية والفرنسية تجهل اخبار الحرب في اوربا بعد قيامها بسنة كاملة [٧] ويعزى ذلك الى ان الطريق البرى لم يعد يستخدم كثيرا لسنوات عديدة، بسبب المخاطر التى كانت تواجه حاملي الرزم البريدية من جراء مهاجمة القبائل البدوية في الصحراء، بحيث عثر على كميات من رسائل شركة الهند الشرقية الانجليزية ملقاة في الصحراء. واخذ مجلس ادارة الشركة بالتذمر في بداية عام ١٧٥٦ نتيجة لنقص المعلومات التى كانت ترسل برا من العاملين في الخليج العربي. مما استدعى التأكيد على الاهمية المناطة بالطريق البرى، وصدرت الاوامر بضرورة ضمان سلامته [٨] غير ان الاجراء الذي اتخذ هو أن يستخدم هذا الطريق في نقل النسخ الاضافية من المكاتبات، بينما ترسل النسخ الاصلية عن طريق رأس الرجاء الصالح [٩]. وخلال حرب السنوات السبع، حقق استخدام الطريق البرى لنقل البريد، فوائد جمة للبريطانيين حيث ساعدهم في انتزاع زمام المبادرة العسكرية في الهند لانهم سبقوا الفرنسيين باطلاعهم على نبأ اندلاع الحرب. ووقع الشيء ذاته اثناء نشوب حرب الاستقلال الامريكية، فقد باغت البريطانيون المواقع الفرنسية واستولوا عليها قبل ان يتاح للفرنسيين وقت للاستعداد [١٠] كما استخدمته الحكومة البريطانية بدرجة كبيرة اثناء الحروب النابليونية، وتلقت سلطاتها في الهند اخبار معركة النيل عن طريقه [١١]

ولقد ظل البريد ينقل بالطريق البرى حتى العقود الاولى من القرن التاسع عشر، حيث استعيض عنه بطريق البحر الاحمر البرى الذي افتتحت به خدمة طرادات شركة الهند الشرقية التى تسير بين بومباى والاسكندرية. والغي «بريد الصحراء» من البصرة [١٢] الى حلب عام ١٨٣٣، ولكن حل محله عام ١٨٣٧ بريد الجمل بين بيروت والمحمرة عن طريق دمشق وهي التى كان الجزء الغربي منها تحت ادارة القنصل البريطاني في سوريا والباقى منها تحت ادارة المعتمد البريطاني السياسي في العراق. وكانت نتيجة مداولات اللجان البرلمانية التى انعقدت في العامين ١٨٣٤ و ١٨٣٧ هى التبني بشكل نهائى لطريق البحر الاحمر [١٣] غير ان الاهتمام كان يتجدد نوعا ما بين حين وآخر بطريق الخليج العربي البرى [١٤]، حتى شهد عام ١٨٦٢، استئناف الاتصال المباشر المنظم، حيث أقرت حكومة الهند انشاء خط بواخر «للاغراض البريدية» لتسير بين بومباى والخليج العربي. وهذا ما استدعى تأسيس مكاتب بريد عديدة وايجاد نظام بريدي افضل في المنطقة. ولذلك باشرت حكومة الهند منذ عام ١٨٦٤، بناء على توصيات الموظفين السياسيين المحليين، في فتح مكاتب بريد [١٥] في مسقط وبوشهر ولنجة وبندر عباس والبصرة وبغداد وجوادر وجاسك والبحرين والمحمرة [١٦].

ويبدأ التاريخ البريدي للبحرين في الاول من آب ١٨٨٤، حين تم فتح دائرة بريد في المنامة [١٧] عاصمة الجزيرة وميناءها، تحت اشراف احد الاوربيين ويدعى «اوشيا» [١٨] وكانت دائرة ثانوية لدائرة البريد الهندسية

في بوشهر، خاضعة لادارة دائرة بومباي، وبقيت دائرة البريد الوحيدة في البحرين لمدة ٦٢ عاما [١٩].

ولقد شمل التامين البريدي الذي كان قد ادخل في الهند في اول كانون الثاني ١٨٧٨، مكاتب البريد في الخليج العربي واستفاد تجار اللؤلؤ في البحرين من نظام التامين لارسال كميات كبيرة من اللآلىء الثمينة الى الخارج. غير ان هذا النظام الغي في البحرين في اول تموز ١٨٨٥ مما شجع على طلب الحوالات المالية، وارتفعت العمولة عليها الى ٢٪ حوالى عام ١٨٩٠ بناء على شكوى من شركة الملاحة البخارية الهندية البريطانية في ان مبالغ كبيرة من النقود كانت تحمل في حقائب البريد بين البحرين وبوشهر مسببة خسارة لها في الشحن وزيادة كبيرة في مسئولياتها [٢٠].

ان دائرة بريد البحرين التى كانت تابعة في كل شيء للنظام الداخلي الهندى، عرضت للبيع الطوابع الهندية للملكة فكتوريا واختاما خالصة الاجرة. وان اغلب فئات الاصدارات من عام ١٨٨٢ وحتى عام ١٩٠٠، كانت مستعملة في البحرين، غير ان فئات معينة مثل فئة (٢/١١ أنة) واكثر من (٤ آنات) كانت نادرة.

وأول ختم ابطال بريدي استعمل في البحرين، يتكون من حرف (B) داخل دائرة صغيرة ذات اعمدة أفقية سوية مع ختم صغير لم يتضمن السنة، (نموذج ١). كما ان هناك ختم ابطال (نموذج ٢) معدا لختم الجبهة الخلفية للبريد الوارد، ولكنه معروف بالغاء طوابع البريد الصادر للخارج ما بين عامي ١٩٠٢ و ١٩١٢. ولاغراض محدودة بالغاء الطوابع، الدائرة المزدوجة الصغيرة بشريط للتواريخ في الوسط (نموذج ٣)، وقد وجد ذلك على وجه التحديد، على الطوابع الهندية للملك ادوارد السابع والملك جورج الخامس. وتطورت نماذج الابطال بعد الحرب العالمية الاولى، وكان قسم منها يستعمل بشكل خاص لالغاء الطوابع الهندية غير الموشحة [٢١].

وكانت اغلفة الرسائل تحمل فوق العنوان، الارقام ٨٦٤٢ (نموذج ٤) وهى توجد عادة على اغلفة من الدول الاسلامية خلال القرن التاسع عشر، ومعناها بحساب الجمل (بدوح) [٢٢] وتستعمل كدعاء لسلامة وصول الرسالة [٢٣].

وفي عام ١٩٢٧ تم افتتاح خدمة الخطوط الجوية الملكية ما بين القاهرة والبصرة، واصبحت الاغلفة من البحرين تحمل الشعار الازرق بالعبارة «البصرة ـ القاهرة/بريد جوى». وتوسعت الخدمة الى كراجي في نيسان ١٩٢٩. واستعمل شعار (BY AIR)، المدون داخل دائرة مزدوجة (نموذج ٥) على اغلفة البريد الجوى المرسلة من البحرين ما بين عامى ١٩٢٨ و ١٩٣٦.

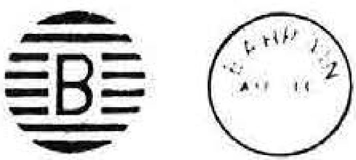
ولم تكن جميع الاصدارات من طوابع البريد الجوى الهندية مستعملة في البحرين، فإصدارات عام ١٩٣١ و ١٩٣٥ الخاصة بيوم التولية في نيودلهي واليوبيل الفضى، لم تكن معروضة للبيع.

واستعملت دائرة بريد البحرين في بعض الاوقات، طوابع «الخدمة» الهندية، غير انها كانت مخصصة لمراسلات دائرة الممثل السياسي والموظفين الحكوميين الزوار.

وعلى اثر اندلاع الحرب العالمية الثانية، انعكست اهمية البحرين كقاعدة بحرية، بتأسيس الرقابة البريدية في وقت مبكر من عام ١٩٤٠ كما انشئت في المحرق دائرة بريد امريكية وذلك في ١٥ حزيران ١٩٤٤ لخدمة وحدة القوة الجوية الامريكية، واستمرت في عملها حتى اواخر عام ١٩٤٥. وفي الوقت نفسه كانت في البحرين دائرة بريد الجيش

الهندية التى استخدمت من رجال الخدمة البـريطانيـين والهنود، وانتقلت بعـدها الى العراق في ١٥ نيسان ١٩٤٦.*

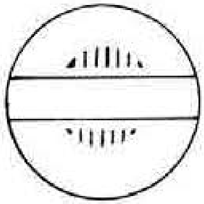
ولقـد تأسست في المحـرق ثاني دائـرة بحرينية للبريد وذلك في الاول من حـزيران ١٩٤٦ (٢٤)، وتلا ذلك نشاط بريدي واسع في السنـوات اللاحقـة. فقـد تـولت الوكـالة البريطانية في سنة ١٩٤٨ مسئولية الدائرة البـريديـة الرئيسية في المنـامة، والدائـرة الفرعية في المحرق (٢٥)، وفتحت دائرة بريد ثـالثة في العـوالي عام ١٩٥٠ (٢٦) وفي ١٥ شبـاط ١٩٥٣ تم اصدار أول طابـع محلي يحمـل صـورة الشيـخ سلمـان بن حمـد آل خليفة، وقد استعمل هذا الطابـع الذي اعد للاستعمال داخليا، على البريد الخارجي أيضا. كما استخدم أول ختم ذكر فيه اسم البحرين بالعربية وختم آخر ذكر فيه اسم المنـامـة (٢٧) وكـانت هـذه خـطوة نحـو الاستقلال البريدي تلتها خطوات اخرى في هذا المجال، حيث تم في عام ١٩٦٠ التفويض بـاصدار طابـع اعتيادي جـديد وصـدرت الطوابـع الجديـدة في اول تموز من العـام نفسه، وبدأ سحب الطوابع البريطانية من التداول وان بقيت نافذة حتى اواخر ١٩٦٤. وظهر آخر اصدار للوكالة البريطانية في ٢٢ شباط ١٩٦٤ وعليه صورة الحاكم الجديد سمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة. وفي الاول من كانون الثاني ١٩٦٦ تولت حكومة البحرين خدمات البريد الخارجي، وتوقفت منذ ذلك الوقت دائرة الوكـالة البريـطانية. وبـدأت مرحلة جـديدة في تعـدد الانشطة البريدية بحصـول البحرين على استقـلالها السياسي عام ١٩٧١.



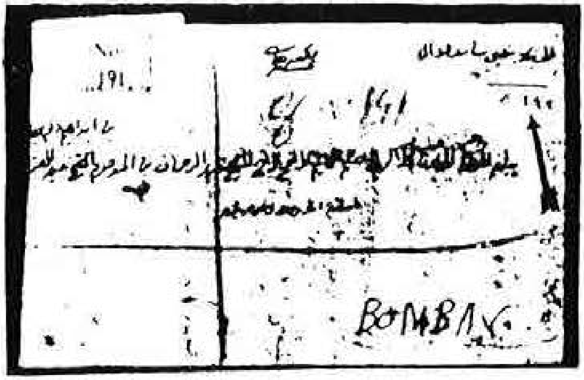
نموذج (١)



نموذج (٢)



نموذج (٣)



نموذج (٤)



نموذج (٥)

جدول مكاتب البريد الهندية البريطانية لقسم الخليج العربي «دائرة بومباى»

اسم مكتب البريد	تاريخ التاسيس	الدرجة	الموظفون	مهام خاصة	مواصلات البواخر	المتحصلات السنوية بالروبية	المصروفات السنوية بالروبية
مسقط	اول مارس ١٨٦٤	مكتب فرعي	وكيل ناظر بريد وكاتب وساعيان للبريد	حوالات مالية وتوفير صفقات واعمال البنوك	بريد سريع وبطيء اسبوعيا في كل من الاتجاهين	٣٦٩٠	١٥٦٠
بوشهر	اول مارس ١٨٦٤	مكتب رئيسي	ناظر بريد ١ كاتب ٢كتاب تحت الاختبار ٢ سعاة	•	•	٢٩٣٠	٤٥٦٠
لنجة	اول نيسان ١٨٦٧ (واصبحت دائمة في ١٨٦٨)	مكتب فرعي	وكيل ناظر بريد وساعي بريد ٣ حراس ايرانيين	•	بريد بطيء كل اسبوعين الى الهند وبريد بطيء اسبوعيا في الاتجاه المضاد	٤٥٠	١٣٠٨
بندر عباس	اول نيسان ١٨٦٧ (واصبحت دائمة في ١٨٦٨)	مكتب فرعي	وكيل ناظر بريد وساعي بريد واحد	•	بريد بطيء اسبوعيا في كل من الاتجاهين	١٧٥٠	١١٨٨
بغداد	اول كانون الثاني ١٨٦٨ (واصبحت دائمة في حزيران ١٨٦٩)	مكتب رئيسي	ناظر بريد كاتب واحد ساعي بريد واحد	•	بريد اسبوعي في كل من الاتجاهين بواسطة النهر	١٦٤٥	٢١٩٦
البصرة	اول كانون الثاني ١٨٦٨ (واصبحت دائمة في تموز ١٨٦٩)	مكتب فرعي	وكيل ناظر بريد كاتب واحد وساعي بريد واحد	•	بريد سريع وبطيء اسبوعيا في كل من ارتجاهين	١٧٥٢	١٧٧٦
جوادر	١٢ نيسان ١٨٦٨ (واصبحت دائمة في اول كانون الثاني ١٨٦٩)	مكتب فرعي مشترك	وكيل ناظر بريد وساعي بريد واحد	حوالات مالية وصفقات واعمال	بريد بطيء كل اسبوعين في كل من الاتجاهين	٧٨١	٧٥٦
جاسك	اول ايلول ١٨٨٠	فرع مكتب	كاتب تلغراف مسئول وساعي بريد واحد	حوالات مالية وتوفير صفقات واعمال البنوك		٢٥٥	٥١٦
البحرين	اول اب ١٨٨٤	مكتب فرعي	وكيل ناظر بريد وساعي بريد واحد	•	بريد بطيء كل اسبوعين الى الهند وبريد بطيء اسبوعيا في الاتجاه المضاد	٢١٠٦	٩٢٤
المحمرة	١٩ تموز ١٨٩٢	مكتب فرعي	وكيل ناظر بريد وساعي بريد واحد	•	بريد بطيء وسريع اسبوعيا في كل من الاتجاهين	١٣٥٧	١١٤٠

الهوامش

(١) عن تفوق النفوذ البريطاني في منطقة الخليج العربي، انظر : صالح محمد العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي ١٧٩٨ ـ ١٨١٠، بغداد ١٩٧٩، من ص ٢٦٨ ـ ٢٨٨.

(٢) للتفاصيل راجع :

J.G. Lorimer, Gazetteer of the Persian Gulf, Oman, and Central Arabia, (Calcutta, 1915), vol. I, part.II, Appendix K.P. 2439.

(٣) يعد الطريق الذي يربط بين البصرة وحلب عبر الصحراء من اقدم الطرق واكثرها مباشرة، مما جعله يحظى باهمية خاصة. وقد كان البريد ينقل الى البصرة من بومباى على ظهر السفن المسلحة لشركة الهند الشرقية الانجليزية او عن طريق السفن الاوربية واحيانا بالسفن الهندية والعربية. وفي البصرة كانت السفن تسلم الرسائل الى السعاة من الفرسان التتار، الذين كانوا يتسلمونها من محطة الزبير خارج البصرة، ومنها يعبرون الصحراء الى حلب حيث يعاد ارسالها الى فينا ولندن عبر اسطنبول. وكان السعاة يقطعون المسافة الى حلب في غضون ١٣ ـ ٣٠ يوما على الرغم من ان معدل الرحلة لا يتجاوز ١٥ يوما. وفي نهاية القرن الثامن عشر، بعد ان تم تاسيس مقيمية في بغداد، اصبح البريد ينقل عن طريق بغداد الى اسطنبول مباشرة، وكان معدل طول الرحلة ٢٤ يوما صيفا و ٢٧ يوما شتاء.

J.B Kelly, Britain and the Persian Gulf 1795-1880, (Oxford, 1968), p.53.

(٤) Lorimer, Op. Cit., Vol. I, part. II, p. 2439.

(٥) عبد الامير محمد امين، المصالح البريطانية في الخليج العربي ١٧٤٧ ـ ١٧٧٨، ترجمة هاشم كاطع لازم، بغداد ١٩٧٧، من ص ٩٧ ـ ٩٨. وانظر العابد، المصدر السابق، ص ٥١.

(٦) أمين، المصدر السابق، ص ٩٨.

(٧) صلاح العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي، القاهرة ١٩٧٤، ص ٣٥.

(٨) امين، المصدر السابق، ص ١٠٠، ١٠٣.

(٩) Kelly, OP. Cit., p. 53

(١٠) العابد، المصدر السابق، ص ٥١ ـ ٥٢. وانظر : احمد مصطفى ابو حاكة، تاريخ شرقي الجزيرة العربية، ترجمة محمد امين عبدالله، بيروت، ص ٤٩.

(١١) Lorimer, Op . Cit, Vol. I, part. II, p. 2439.

(١٢) تمتعت البصرة منذ اوائل القرن الثامن عشر بميزة غير عادية من حيث الاتصال المباشر وان كان غير منتظم باوربا عن طريق حلب، وفي نهاية القرن، عندما انشىء اتصال كل اسبوعين بين بومباى والبصرة بواسطة سفن شركة الهند الشرقية الانجليزية، تم تنظيم خط من بريد الجمال بين البصرة وحلب تحت اشراف ممثل الشركة في البصرة واضيف اليه خط من بريد الخيل الى اسطنبول.

Lorimer, Op. Cit., Vol. I, Part. II, P.2439.

(١٣) حاول احد الضباط الانجليز وهو جسني الذي ترأس بعثة لدراسة مشروع الملاحة البخارية في دجلة والفرات، ان يقنع الحكومة في الهند، بعد قيامه بعمليات مسح مهمة لجزء من ساحل الشام ولنهرى دجلة والفرات، أن تنشىء خطا نهريا كل اسبوعين بين بومباى والبصرة وان تعيد فتح طريق الصحراء، غير انه لم يلق اي قبول لارائه.

للتفاصيل انظر :

Lorimer, Op. Cit., Vol. I, Part. IB, P. 1340

(١٤) اقترحت حكومة بومباى استخدام طريقي البحر الاحمر والخليج للمراسلات الرسمية شهريا بالتبادل، ولكن مجلس مديرى شركة الهند الشرقية امر بموجب استخدام طريق الخليج في حمل نسخ الرسائل، واستغلاله كاملا لهذا الغرض.

Lorimer, Op. Cit., Vol. I, Part. II, P. 2440.

(١٥) كانت مكاتب البريد في الخليج العربي اول الامر منضمة الى دائرة البريد في بومباي، ولكن في عام ١٨٦٩ انتقلت الى دائرة السند ووضعت تحت رقابة كبير مفتشي مكاتب البريد في السند. وفي عام ١٨٧٩ اعيدت مرة اخرى لبريد بومباي، واصبحت تحت سلطة ناظر البريد العام في بومباي. وفي عام ١٨٩٢ كونت مكاتب بريد الخليج، بما فيها مكاتب العراق، جزءا منفصلا كاقسام.
Lorimer, Op. Cit., Vol. I, Part. II, PP. 2445-6.

(١٦) انظر الجدول الملحق بالبحث والخاص بمكاتب البريد الهندية البريطانية لقسم الخليج العربي (دائرة بومباي).

(١٧) كانت الدائرة تقع، حتى تعيين موظف سياسي اوربي في البحرين، في منزل وكيل دار الاقامة في المنامة.

(١٨) كان اول مشرف على قسم الخليج البريدي شخص يدعى «اوشيا» الذي عين في ايلول عام ١٨٨٣، وقد قام بزيارات عديدة الى جميع المكاتب التي تحت اشرافه، كما انشىء تحت رعايته مكتب بريد البحرين، وخدمة بريدية لمدينة قشم. وفي عام ١٨٧٩ نقل مقر اشرافه الذي كان حتى ذلك الوقت في بومباي الى بوشهر. وفي عام ١٨٩٢ تغيرت التنظيمات مرة اخرى واصبح مكان المشرف في بومباي على ان يقضي اربعة شهور من السنة في رحلة تفتيشية على المكاتب التابعة له. ومن عام ١٨٩٣ الى عام ١٨٩٩ زيدت عليه، الى جانب الخليج، مسئولية المكاتب الفرعية في مدينة بومباي، ولكنه اعفي من هذا الواجب في السنة التالية، وفي عام ١٩٠٠ زود بسكرتير شخصي له.
Lorimer, Op. Cit., Vol. I, Part. II, P. 2446.

(١٩) Neil Donaldson, The postal Agencies in Eastern Arabia and The Gulf, (London, 1975), P. 57.
وانظر: Lorimer, Op. Cit., Vol. I, Part. II, P. 2449

(٢٠) Lorimer, Op. Cit., Vol. I, Part. II, P. 2447, 2449.

(٢١) Donaldson, Op. Cit., P. 58

(٢٢) موزع بريد الملائكة، فالرقم (٢) يعني حرف الباء والرقم (٤) حرف الدال والرقم (٦) حرف الواو والرقم (٨) حرف الحاء. ولا ندرى كيف تم التوصل الى معرفة اسم هذا الموزع الملائكي.

(٢٣) Donaldson, Op. Cit. P. 59

(٢٤) Donaldson, Op. Cit., P. 61, 65, 67, 69

(٢٥) في عام ١٩٥٤ اغلقت دائرة البريد في المحرق نتيجة لتقاعد مديرها عبدالعزيز، ثم اعيد فتحها في عام ١٩٥٧ كدائرة فرعية لدائرة بريد دولة البحرين.
Donaldson, Op. Cit., P. 153.

(٢٦) Ibid, P. 145. 148.

(٢٧) Ibid, P. 152.

(٢٨) Donaldson, Op. Cit., PP. 156-7, 163.